



ما فی هذا المجلد من السور الكريمة

انعم الله على عبده المقصر الراجي ... حسن ... عفي عنهما

ثم انعم الله تعالى على عبده السيد عبد الله العاصي ... عفي عنه

ثم انعم الله تعالى على عبده بعفوه ومغفرته محمد بن عثمان ابن موسى المعروف بمسجر زاده ... كما انعم بسمعه آمين

٧٥

75

الجزء الثاني من
كتاب ملاك التاويل
القاطع بذوي الالحاد والتعطيل
في توجيه المتشابه اللفظ من اي التنزيل
تاليف الشيخ الامام العلامه شيخ الاسلام
ابي جعفر احمد بن الزُبَيْر شيخ الشيخ
ابي حيان رحمهما الله تعالى وعفا
عنهما ○ خُتِمَ بِهِ رحمه الله نُحَاةُ الاندلس
ومحدثوهَا ومُؤَرِخُوهَا صح الدين المتين
نفع الله به امين امين امين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ورسوله

سورة يوسف عليه السلام الآية الأولى منها قوله تعالى
انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وفي سورة الزخرف
انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون فورد هنا جعلناه موضع
انزلناه في الآية الأولى فللسائل ان يسال عن موجب هذا التخصيص
لاتفاق الوارد في الآيتين لفظا ومعنى من غير ما ذكر والجواب
والله اعلم ان آية سورة يوسف لما كانت توطية لذكر قصصه
عليه السلام ولم تتضمن السورة غير ذلك الا ما اعقبت به
في آخرها مما يعرف بتعجيب ما تضمنته مما كان غيبا عند
قريش والعرب ومستغربا ما كان اهل الكتاب يظنون انهم
انفردوا بعلمه فانزل الله هذه السورة موفية من ذلك لا تمه
ومعرفة عن قصصه العجيب ومودية الحكم واعمه ولا انسب عبارة
هنا من قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا لعلم العرب واهل الكتاب
ان ذلك منزل من عند الله تعالى لموافقته ما عند اهل الكتاب ولقطع
العرب والجميع ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يتلق ذلك القصص عن
احد من العرب واذا لم يكن عندهم منه تاويلا دخل في تعرفه الى
احد فكان قصصا وآية محكما بصحة رسالته صلى الله عليه وسلم
وعظيم تلك المنزلة فالتعبير بالانزال هنا بين واما آية الزخرف
فلم تبن على اخبار بل اعقبت بآي الاعتبار والتلطف في التنبيه

والتذكار

صفحا ان كنتم قوما

والتذكار قال تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما
مسرفين وهذا اعظم التلطف وقال تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
ثم مضت الآي هذه السورة على نحو هذا الاعتبار وما ناسبه
وقد ذكر سيبويه رحمه الله في اقسام جعل التي بمعنى صير
ملحقا لها بظننت واخواتها ومنه قولهم [illegible] الطين خزفا
وذلك انتقال وتصيير فالمراد في الآية جعل الكتاب معتبرا
هدى ونورا والمنتبهون به والمعتبرون باياته والمخاطبون
به مخلوقون بعد سبق العدم والفاصح خطابهم به مشاهدة بعد
وجودهم فصح بالتعاقب حالهم التصيير وجل عن التغير
والحدوث كلام الحكيم الخبير فكلامه سبحانه قديم ليس بمخلوق
فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد فقد وضح معنى الجعل هنا
ومسوغه وانه لا يناسب هنا غيره [illegible] على ما يجب والله اعلم
الآية الثانية من سورة يوسف قوله تعالى ولما بلغ اشده آتيناه
حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وفي سورة القصص
ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين
للسائل ان يسال عن ثبوت قوله واستوى في سورة القصص
ولم يثبت ذلك في سورة يوسف وهل كان يمكن ورود العكس
في الآيتين والجواب عن ذلك ان الاشد [illegible] فيه من

البلوغ الى ان يتم له اربعين سنة وقد قيل بالزيادة على الاربعين
وظاهر القرآن ان الاشد يقع على ما دون الاربعين لقوله تعالى
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة فلو كان الاشد الاربعين
لادى الى عطف الشي على نفسه فانما الكلام في قوة ان لو قيل
حتى اذا بلغ اشده واستكمل وتم بالزيادة والله اعلم فاذا كان
وقوع الاشد على ما ذكره فاولى ان يكون الاعلى حال من العمر يحصل
فيه الضبط والتدبير والاحكام للامور والفهم للخطاب وتحقيق
مقادير الامور وهذا يحكى بشهادة انما ابتداؤه عند البلوغ او قبل
البلوغ ثم يستحكم الى الغاية التي اليها انتهى تمام القوة واستحكام
العقل وذلك الاربعون وفي راس الاربعين سنة بعث الله
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم ان الله سبحانه قال في قصة يحيى
بن زكريا عليهما السلام وآتيناه الحكم صبيا وهذا اولى في سن حكم
غير الاربعين وقد قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام حال
القايه في الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
وهذا حال ابتداء الوحي من الله تعالى انما يكون بعلم وحكمة وموسى
عليه السلام اذا ابتدى بالوحي وسماع الكلام بعد فراره خوفا من
فرعون قال الله تعالى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما
وجعلني من المرسلين وافصحت اي القرآن الى ذلك كان بعد
رجوعه ومكانه بشعيب عليه السلام اباه ابنته ولم يخرج من مصر

حتى

حتى ايتمر به للقتل وبعد ذلك الذي كان من ... وقصاه عليه
ومجموع هذا انما هو بخروجه عليه السلام عن سن الابتدا الى استكمال
الاشد وهو الاستوا فقيل في قصته ولما بلغ اشده واستوى اي
استكمل وانتهى الى احسن الحالات في السن واما يوسف عليه
السلام في الوحي اليه في الجب بجار فان بلغ ما يسمى اشدا غير
حالة الاستوا فامتنع مجي الاستوا في قصته وورد في قصة موسى
وكلام المفسرين اذا تومل وان لم يكن فيه افصاحا يشعر بهذا ويحمل
افصاحا
على ما يجب والله اعلم **الاية الثالثة من سورة يوسف** عليه السلام
قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل
القرى وفي سورة النحل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم فاسالوا اهل الذكر ان ك... لا تعلمون وفي سورة الانبيا
كنتم لا تعلمون
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم وفي سورة الفرقان وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق **فللسائل** ان يسال عن اختصاص ما بين الايتين
الاخرتين بسقوط من منها وثبوتها في الايتين الاوليين
والجواب عن ذلك والله اعلم ان اية يوسف وقع بعدها قوله
تعالى وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله وسبحان الله
وما انا من المشركين وقوة السياق في هذه الاي يدل على معنى
العموم وتعطيه فناسب ذلك زيادة من المبينة للاستغراق
من المبينة

وكذلك قوله في سورة النحل والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر يؤكد ذلك المعنى فناسبه
زيادة من لاستغراق ما تقدم من الزمان أما قوله تعالى في سورة
الأنبياء وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فتقدم قبلها إنكار
الكفار كون الرسل من البشر في قوله ما هذا إلا بشر مثلكم واقتراحهم
الآيات في قولهم فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فلما انطوى هذا
الكلام على ضربين من اقتراحهم الآيات وإنكارهم كون الرسل
من البشر وقد بين لهم حال المقترحين في قوله تعالى ما آمنت قبلهم
من قرية أهلكناها فلما تقدم هذا أتبع ببيان الطرف الآخر وهو
التعريف بأن من تقدم من الرسل إنما كانوا رجالا من البشر مختصين
بتخصيصه سبحانه ولم يكونوا ملائكة فعل لنبينا صلى الله عليه
وسلم وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فعل هنا قبلك كاملا في
نظيرها ما آمنت قبلهم فلم تدخل هنا من كما لم تدخل في النظير الآخر
إذ التناسب والتحام الجملة المنطوية على طرفي مقصدهم من
الاقتراح وإنكارهم كون الرسل من البشر وكذا الوارد في سورة
الفرقان في قوله وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الأسواق وإنما ورد جوابا لقولهم مال هذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولا داعي هنا للقسم
إذ هو جواب لا يقتضي لا داعي لوروده من فوره هذا كله في أنواع
نظام

نظام ما على تناسب وإذا اعتبر الناظر استوضح أن كلا من هذه
الآي لا يمكن إتيانه في موضع غيره والله أعلم الآية الرابعة في
سورة يوسف قوله عز وجل أفلم يسيروا في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين قلت
تكرر هذا الضرب في الاعتبار بأحوال من تقدم من الأمم وما أعقب
المكذبين تكذيبهم في عدة مواضع منها ما ورد فيه بعد همزة
التقرير فاء التعقيب ومنها ما ورد بواو النسق فأما تقدم الهمزة
قبلها فلما لها من الصدرية فلا يتقدم حرف العطف عليها
ولما جرت في عطفها في هذه الآي على ما ذكرنا من تخصيص بعض
هذه المواضع بالفاء المقتضية مع التشريك الترتيب والتعقيب
وبعضها بالواو المقتضية مجرد التشريك والجمع كان ذلك مظنة
سؤال فللسائل أن يسأل عن اختصاص كل واحد من هذه
المواضع بما اختص به عطفه على ما قبله فمن الوارد بالفاء آية
يوسف المذكورة آنفا وفي سورة الحج أفلم يسيروا في الأرض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها الآية وفي سورة غافر أفلم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا أكثر منهم الآية
وفي سورة القتال أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فهذه أربع آيات
مما ورد آنفا ومن الوارد بالواو قوله في سورة الروم أولم يسيروا

فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم
قوة واثاروا الارض وعمروها الاية وفى سورة الملايكة اولم يسيروا
فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد
منهم قوة وفى سورة المومن اولم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا فى
الارض فهذه ثلاث ايات والجواب عن الضرب الاول اما اية سورة
يوسف فان قوله تعالى افلم يسيروا فى الارض مربوط بما قبله ومبنى
على ما تقدم كالحال فى جواب مبنى على ما قبله الا ترى ان قبل الاية ايات
تخويف وترهيب كقوله وكاين من اية فى السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون ثم قال تعالى وما يومن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون ثم قال تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله ثم قال
تعالى قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى قل لهم يا
محمد هذه سبيلى ادعوا الى الله الاية ثم قال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
نوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان
عاقبة من تقدم فالكلام من حيث معناه فى قوة الشرط والجزا
فورد بالفا وليس موضع الواو ويشهد لهذا الغرض ويعضده
قوله تعالى ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
افلم يسيروا فى الارض اي فان شككتم فسيروا فى الارض
وعلى

وعلى هذا المعنى ورد من هذا ومن هذا القبيل اية سورة الحج
الا ترى ان قبلها قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين
وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير ثم
قال فكاين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها
وبير معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا فى الارض اى فهلا
ساروا فى الارض قاصدين الاعتبار فيعقلوا بقلوبهم ويسمعوا
باسماعهم وابصارهم فعلى هذا هو المعنى ولا مدخل لواو العطف
هنا وانما الملايم الفا لما تعطيه من السببية والارتباط واما
الوارد فى اخر سورة المومن فقد تقدم قبلها قوله تعالى يريكم اياته
فاى ايات الله تنكرون ثم قال تعالى افلم يسيروا فى الارض اى فهلا
ساروا فى الارض فاعتبروا بما فى الارض من الايات قال تعالى
وفى الارض ايات للموقنين فالمعنى على هذا وليس المعنى
العطف المجرد من معنى التسبب فالموضع للفا لا للواو والنسق
واما الوارد فى سورة القتال فان قبل الاية يا ايها الذين امنوا
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا
لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
ثم قال افلم يسيروا فى الارض الملايم هنا الفا لما فى الكلام من معنى
التسبب والتخصيص المحرز هنا ما يناسب او يلايم مرتكبهم

من التوبيخ فالوضع للفا المقصود بها ربط الكلام بما قبله واما
الضرب الثاني فما ورد بالواو فلعطف ذلك على ما قبله تشريكا
في سببية فيه ولا بمعنى جوابيه ولا مقصود تعقيب ولا ربط
مقصود بها من المعاني بما قبله سوى التشريك خاصة ففي سورة
الروم متقدما قبل الاية قوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى فعطف على
هذه عطف تشريك لا سببية فيه قوله تعالى اولم يسيروا في الارض
فيسر كت الانسان على الحض على الاعتبار ومقصودهما فعطف
احداهما على الاخرى بما يقتضي ذلك وليس الا الواو واما الفا وثم
فلا مدخل لواحدة منهما والله اعلم واما سورة الملائكة فمقدم بينها
قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين فاحلوا على ما اطرد
فيهم من سنته تعالى فيهم من اخذهم بتكذيبهم سنة الله التي قد
خلت في عباده ثم اعقب فاحالتهم على من قرب منهم ومضى شاهدوا
اثاره وتعرفوا على قرب اخباره فقيل اولم يسيروا في الارض فقوله
فهل ينظرون وقوله اولم يسيروا مسلك واحد من الاعتبار فصل
لهم بحسب بعدما امروا باعتبار حاله فعطف احد الشيئين على
الاخر مع اتحاد النوع المعتبر ولا يعطف مثل هذا الا بالواو خاصة
وما سوى الواو فلا يلايم ولا يناسب والله اعلم واما الاية الاولى
من سورة المومن فملحوظ بها ما نيطت به في معناها من قوله
تعالى

تعالى هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السما رزقا وما يتذكر الا من
ينيب وليس بعد هذه الاية من معناها الا قوله اولم يسيروا في
الارض فمن اياته تعالى التي اراها لعباده ما اجراه من سنته فيمن
خلا من الامم فوقعت الاحالة على ذلك بعطف الاية من قوله اولم
يسيروا في الارض على ما به نيطت حسبما تقدم ولا يناسب ذلك
غير الواو سورة الرعد الاية الاولى منها قوله تعالى المر
تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق هنا سوالات
احدها السور الخمس المكتنفة لهذه تقوله الر وخصت سورة الرعد
وهي سادستها بزيادة الميم فقيل المر فللسائل ان يسال عن ذلك
والسوال الثاني قوله تعالى والذي انزل اليك من ربك الحق وعطف
هذه الجملة على ما قبلها يقتضي ان المعطوف مغاير لما عطف وا لا
لزم منه عطف الشي على بعضه والجواب عن الاول والله اعلم
انه وان كان مفهوما مما تقدم فلهذا الوارد هنا ما يخصه وهو ان
السورتين المكتنفتين لهذه السورة وهي سورة يوسف وسورة
ابراهيم لم يرد فيهما من الكلام المجتمع في تركيبهما الالف واللام
والميم والرا ما ورد في سورة الرعد اما سورة يوسف ففيها من ذلك
كلمة الامر من قوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان ولفظ المجرمين
في قوله ولا يرد باسه عن القوم المجرمين واما سورة ابراهيم ففيها
قوله تعالى قضي الامر وقوله من الثمرات وقوله وسخر لكم الشمس والقمر

وقوله عند بيتك المحرم وترى المجرمين فهذه خمس كلمات **واما**
سورة الرعد فقد ورد فيها من ذلك قوله تعالى وسخر لكم الشمس
والقمر وقوله يدبر الامر وقوله من كل الثمرات وقوله وما تغيض الارحام
وقوله وهم يكفرون بالرحمن وقوله فلله المكر جميعا فهذه ست كلمات
من هذه التركيب لم يرد في مكتنفيها زيادة ما ورد فيها من التركيب
ورد في مطلعها ما ورد في زيادة الميم والله اعلم **والجواب** عن السوال
الثاني بعد تمهيده وهو انا ان قلنا ان المراد بالمعطوف الكتاب
بجملته هو المنزل كان من عطف الشي على نفسه وان قلنا ان بالكتاب
التوريه والانجيل او احد الكتابين ففي هذا من البعد ما لا يخفا به
اذ لم يتعبد من هذه الكتب الا بالايمان فانزالها ووجودها على الجمله
على ما تقرر في شريعتنا فكيف تقع الاحاله في الاعتبار عليهما
ولم نومر باعتبارهما في حكم ولا امر ولا نهي وان قلنا ان المراد
بايات الكتاب ايات السوره وبالكتاب السوره وبالذي انزل
اليك سائر القران كما قال الزمخشري كان اقرب وفيه تحويم على
المقصود من غير ايضاح مخلص **فاقول** ونسال الله توفيقه ان
الدلائل الاعتبار به على تفاصيلها منحصره في منهجين هما حصول
التوحيد واثبات الرساله وعلى حسب تفاصيلهما دارت الاي
الاعتبار به والتذكر في كتاب الله تعالى **احدها** ما يدرك بالحواس واطاله
التفكر في الموجودات وارتباطها ولحظ الانتقالات والاستارات

وتقلب

وتقلب الاكوان وحركاتها في السرعة والبطو وحصول الحمسة
منها ومطارح شعاعها ومقادير الازمان وتقلب الليل والنهار
بالطول والقصر وايلاج الليل في النهار والنهار في الليل وتعاقب
الفصول بالحر والبرد وتسخير الرياح وما في ذلك كله من علم الاحكام
وجليل الاتقان الى ما يرجع الى ذلك مما يستقل به ويحرم بدلالته
العقول والمنهج الثاني ما يرجع الاعتبار به من المامورين احوال
الامم والقرون المتقدمة ودعا الرسل اياهم وما كان من جواب
مكذبيهم حين تمردوا وعتوا فكلا اخذ بذنبه ونجاة المومنين
من كرامة فعلى هذين المنهجين دارت اي الكتاب العزيز
المنطويه على تذكير العباد وتحريكهم للاعتبار **فمن الاول**
قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
الي قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقوله تعالى ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله
لقوم يعقلون وقوله ان في السموات والارض لايات وقوله
وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم الى ما يجاري هذه
الاي مما يشير الى دلائل الافاق ودلائل الانفس وما يرجع الى
ذلك من دلائل التوحيد والتذكير به فالربع الاول من القران
اكثر ثم يليه في ذلك الربع الثاني ثم ذكر التذكير الثاني انما ذلك
والله اعلم لان الضرب الاول معقول ومستنده ضروري

لان ما ادركه حسيه وبه اعتبر الذين انتهى الى العلم من الادلة ومعنى كل في الفترات فمنهم المصيب والمخطي وهو معتبر منصوب للعالم من لدن وجودهم الى قيام الساعة لا تضطر فيها الى نقل ناقل وعلى الاعتبار به من حيث الادلة يسر النظر في ايات الرسل وما جاءوا به متحدين ويعرف الخارق للعادة من غيره فلهذا والله اعلم صدر هذا الضرب مبدوا به في الترتيب الثابت عليه المصحف واسع ما الضرب الحقيق فمن عرف الجائز والمستحيل امكنه الاعتراف بالبداءة والعودة وارسال الرسل والثواب والعقاب فحصل العقل الجواز وحصل التصديق بوقوع هذا الجائز من اخبار الرسل بالنظر في معجزاتهم فبدئ بالضرب الاول بمقتضى الترتيب ولم يقع في الربع الاول من القران بسط اعتبار بالضرب الثاني الاخباري وانما امعن بذكره في الربع الثاني وبسط الاخبار عن القرون المهلكة والامم السالفة مع انبيائهم وما اعقبهم التكذيب واخذ كل قرن من المكذبين بما اخذوا به ولم ينقطع التنبيه والتحريك مع ذلك بما في الضرب الاول وما يرجع اليه ثم قد تجد السورة الواحدة مجردة لهذا الضرب كسورة الرعد والضرب الثاني كسورة الاعراف وسورة يوسف عليه السلام وقد تجمع السور الضربين على السوا وما يقارب به كما في سورة الحجر واما سورة البقرة فقد تضمنت من كل من الضربين ما فيه شفا على احمال مما اشير اليه من الضرب الثاني

اذ

اذ هذا الضرب انما استوفي تفصيله في الربع الثاني ثم ان الضرب الاول هو الذي يدرك بالعيان من ايات اللوح المحفوظ المتضمن لكل من الضربين قال تعالى كل في كتاب مبين واذا قلنا ان الاشارة الى اللوح انما يريد ما يستدل به ويعتبر بما نصب تعالى من الايات الدالة على عجايب من مصنوعاته اذ لولا نصب تلك الدلائل ووضوح الاعتبار بها لما اطلعنا على ما دلت عليه فكانا بادراكها شاهدنا بالعيان طرفا مما في اللوح المحفوظ واطلعنا عليه وبلغ كل بحسب ما قدر له الوصول اليه من تضمنه اذ هو محتو على كل شي قال تعالى وما من غايبة في السما والارض الا في كتاب مبين وتتباين احوال المعتبرين فعلى هذا يفهم المراد من قوله ان الاشارة بقوله تلك ايات الكتاب الى اللوح المحفوظ وهو مراد من قال بذلك في سورة البقرة من المفسرين وسورة النمل ومن قال به ايضا في سورة الرعد وهو الظاهر فيها و قوله والذي انزل اليك من ربك الحق اشارة الى الضرب الثاني وهو ما طريق تعرفه الخبر الصادق وذلك اخبار الامم مع انبيائهم على ما تقدم وما نبينه بعد وهذا الضرب يوصل ايضا الى المقصود الا انه لا يوصل اليه الا من جهة الخبر وان كان من تضمن ما في اللوح واذا وضح هذا التحصيل لم يبق اشكال في فهم ما تقدم من ان الاشارة بقوله تلك ايات الكتاب الى غير ما اشير اليه مما عطف عليه من قوله والذي انزل

اليك من ربك الحق وقوله في الحجر وقرآن مبين وكذلك الوارد في النمل
وان خالف في التقديم والتأخير لقوله فيها تلك آيات القرآن وكتاب
مبين فتقدم هنا الاشارة الى الضرب المؤخر في السورتين قبل
ويشهد لهذا ويوضحه رعي التقابل المناسب في هذه السورة
وبنا النظم وبنائه على ذلك الا ترى ان سورة الرعد لم تنطو من الضرب
الثاني على قصة واحدة وانما دارت بها الاعتبار به على ما به
الاعتبار من الضرب الاول خاصة وسيعود الى بيان ذلك بايراد
آيها وانما لم يذكر فيها شيء من الضرب الثاني لان الضرب الثاني
لان بنا السورة انما هو على الضرب الاول ولهذا لم يشترك المعطوفان
في اسم الاشارة الا ترى ان قوله تعالى والذي انزل اليك من ربك الحق
جملة مستقلة وقد وقع الموصول فيها وهو الذي مبتدا خبره الحق
وما بينهما صلة والجملة معطوفة على الجملة قبلها وكل واحدة منها
مستقلة ولا تسلط لاسم الاشارة على الجملة الثانية اما قوله في
سورة الحجر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين فقوله وقرآن مبين
معطوف على الكتاب المضاف اليه الخبر عن اسم الاشارة وهو آيات
وداخل تحت اسم الاشارة وهو من عطف المفردات والواو
عاطفة جامعة حملها مفرد على مفرد والمراد بالآيات آيات الكتاب
وما عطف عليه وشرك معه بخلاف آية الرعد اذ العطف فيها من
عطف الجمل واما الوارد في سورة النمل فمثل ما في سورة الحجر وحكم

اسم

اسم الاشارة منسحب على ما اضيف اليه خبر اسم الاشارة وما
عطف عليه وهو من عطف المفردات ايضا كآية الحجر وكلا
الآيتين مخالف لما ورد في سورة الرعد فلما وقعت الاشارة
في سورتي الحجر والنمل الى الضربين معا تضمنت كل واحدة
من السورتين ما به الاعتبار ذكر الضربين معا ولما اختصت
الاشارة في سورة الرعد بالضرب الاول لم يقع اخبار بغير ذلك
الضرب وهذا يرفع كل اشكال فيما تقدم ومما يزيد وضوحا فيما
تقدم ان سورة الحجر لما تقدم فيها ذكر الكتاب قدم فيها من الضرب
الضرب المعتبر من آيات اللوح المحفوظ فقال تعالى ولقد جعلنا
في السماء بروجا وزيناها للناظرين الى قوله وارسلنا الرياح لواقح
الآية ثم بعد ذلك ذكر مصاب الاعتبار من الضرب الثاني في قوله
تعالى ونبئهم عن ضيف ابراهيم الى قوله فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون فتأخر ما ورد في هذه من الضرب ليطابق تأخر ذكره
في قوله وقرآن مبين ولما تقدم في سورة النمل من الاسمين المضاف
اليهما خبر اسم الاشارة القرآن وتأخر الكتاب قال تعالى طس تلك آيات
القرآن وكتاب مبين ثم تقدم الضرب المشار اليه اولا فقال
تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله
وذكر من القصة مجملا ما اذا اعتبر في باتم ما يحصل المعتبر به
على اعلى مقصود درب لخلاصه وذلك الى قوله فانظر كيف كان

عاقبة المفسدين ثم اتبع بقصة داود وسليمان وما اشتمل ذلك
من قصة بلقيس وما تلاها ثم اعقب بعد بالضرب الاخير بقوله
تعالى امن خلق السموات والارض الى قوله بل هم منها عمون
ولما لم يقع في سورة الرعد اشارة الى غير الضرب الاول كانهم
لم يردهما من اي الاعتبار الا ما هو منه ولم يقع في السورة غير
ذلك فقد بان بحول الله ما اعتمدناه جوابا عن السوال الثاني ووضح
التناسب وجلالة النظم ثم اعلم بعد ان ما اعتمدناه من هذا الماخذ
لم ينفرد به اذا حقق بعض التفسير وارباب النظر وبيان ما جرى به
غير واحد ممن تقدم من المفسرين على اختلاف في ترجمتهم عما
يتضمنه منها القريب ومنها البعيد وكل منها اذا امعن فيه النظر
ربما ادى الى ما نقرر ولم ابعد عنهم الا توفية النظر على ما اعتمدته
واظهار المناسبة وابداء شواهد ونظائر موضحة لما اعتمدته فمن
ذلك ما تردد للمفسرين في قوله تعالى في سورة البقرة ذلك الكتاب
من ماثور ما حكوه عن من تقدم من ان الاشارة الى اللوح المحفوظ
ذكر ابن عطية وغيره من غير تعرض لزيادة ونسبوا ذلك الى ابن
جني وقال بعضهم في قوله تعالى في سورة النمل تلك ايات القران
وكتاب مبين قال المراد بقوله وكتاب مبين الى اللوح المحفوظ
وذكره الزمخشري ولا شك ان هذا انما تقدم بسطه وزاد الزمخشري
على هذا ما ذكر في سورة الرعد من ان المراد بايات الكتاب اية السورة

وبالكتاب

وبالكتاب السورة وبالذي انزل اليك ساير القران وهو نحو ما قلناه
الا ترى ان ايات السورة لم تخرج عن الضرب الاعتباري المدرك
لكل ذي عقل سليم على ما تقدم وما يتبعه بعد وتلك ايات اللوح
واسم الكتاب فهذا ما قلناه وقد انطقنا به من الوارد في سورة
الحجر والنمل ما يشهد بانه المقصود قطعا وقال بعضهم في قوله
تعالى في سورة البقرة ذلك الكتاب انه واقع على القران وعلى
الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ ثم قال بعد ذلك مستدلا لذلك
اشارة الى غايب يعني ان الاشارة بذلك انما اشار به الى البعيد
الغايب ولوضوح ادراكه صحت الاشارة اليه ثم قال بعد وام
الكتاب غيب ولذلك حسن فيه ذلك ثم استدل على ان الاشارة
الى ام الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ بان القران الحاضر المتلو على
السفيقنا قد ارتاب فيه من لم يرد الله هدايته به فقالوا اساطير
الاولين وذهبوا به كل مذهب وام الكتاب يعني ما بدا منصو با
وظهر ليس كذلك فهو الذي لا ريب فيه اذ هو مشاهد للابصار
ومدرك للعيان لمن اهتدى واستبصر قال جل جلاله الر تلك ايات
الكتاب المبين فقال الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
يدبر الامر يفصل الايات لقوم يعقلون قلت وعلى هذا استمرت
وتوالت ايات هذه السورة لم يتخللها غير ما هو اية منصوبة

للاعتبار الا ما استدعاه سور ذاته منها او بعضها من غير ان يتخللها
ما يدرك بالخبر كثير سى على هذا دار كلام من اشرنا اليه وهو مما ...
وضبطته وقد استشهدت عليه ونظرته فما ظهر لي مما العبر ...
كلامه قلت ومما استشهد به من ذكرت كلامه على ما اختاره
من كون الاشارة بقوله في مطلع سورة البقرة ذلك الكتاب الى اللوح
المحفوظ استحكام تنزل ما بعده عليه ووضوح النظم وبنائه
على ذلك الا ترى قوله تعالى هدى للمتقين الذين يؤمنون اي مما بالغيب صح
غاب عنهم من مضمون ام الكتاب استدلالا بما يدل من اياته على ما
غاب فقبلوا ما اخبر الله به على السنة رسله مما لا يدرك مشاهدة
استدلالا لما ادركوه وشاهدوه لما اخبروا به فامنوا بالله ورسله
واعتقدوا من صفاته سبحانه ما هو عليه ونزهوه عما لا يليق به
تعالى وصدقوا ما اخبرت به الرسل من كل غائب عنهم متلقا من
اخباره سبحانه فبنوا ذلك على اهتدائهم للاولى ومعتبرهم الشاهد
المرئي حين وفقوا للاعتبار فامنوا بالغيب كما اخبر تعالى عنهم
ثم قال تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك والمراد بهذا المنزل اليه
القران وقوله وما انزل من قبلك من الكتب المنزلة كالتورية
والانجيل فعال في الجمع اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
فما ابين النظم على هذا فانه اوضح شي قلت ومن البين ان مدار
هذا الجواب بجملته انما بناؤه على ان اسم الكتاب في سورة البقرة او
حيث

حيث وقع من فواتح هذه السور واشير اليه بذلك او تلك او وقع
في غير الفواتح فيصح ان يراد به فيها او في بعضها اللوح المحفوظ
لان تكون الاشارة اليه اذ اشهد به السياق ووضح عليه النظم
فاذا اسلم هذا فما بيناه عليه اوضح شي ولا يمكن الا تسليمه اذ
لا معارض يمنع من عقل ولا نقل فان اعترض معترض بالمنع
فقد خالف جميع المفسرين والله اعلم الاية الثانية من سورة
الرعد قوله تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ثم قال تعالى وفي الارض
قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان
في ذلك لايات لقوم يعقلون للسائل ان يسال عن قوله في الاولى
لقوم يتفكرون وفي الثانية لقوم يعقلون وهل كان يصح ورود
الاولى مكان الثاني والثاني مكان الاول والجواب ان معتبرات
الاية الاولى من مد الارض وما ذكر بعد ذلك اوضح للاعتبار
ومعتبرات الثانية اغمض الا ترى ان تجاور قطع الارض وتقاربها
في الصفات والشيات من سهل وحزن ثم تخرج انواع الجنات
من النخيل والاعناب وضروب الاشجار والنبات والزرع واختلاف
الطعوم في ثمراتها والالوان والروائح وتفاوت الطيب

والمنافع الحاصلة عن ذلك من غذاء ودواء ونافع ومضار مع
تقارب الارض وتجاورها وتشاكلها وسقيها بماء واحد كما قال
تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فهذا
مما تنقطع الافكار وتقصر العقول عن تعجيب الصنع الرباني
فيه **واما** معتبرات الاول فيتوصل بالفكر الى الحصول على
الاعتبار بها وتعقلها وعجيب الحكمة فيها وغموض ما في الآية
باد ولا يتوصل الى بعض ذلك الا بعد طول الاعتبار والتأييد
منه سبحانه والتوفيق فلما كان العقل اشرف واعلى ناسبه ان
يتبع به ما هو اغمض واخفى وناسب الفكر ما هو اظهر واجلى
فقيل في عقب الاية الاولى لقوم يتفكرون وفي عقب الثانية
لقوم يعقلون ولو ورد العكس لم يكن ليناسب والله اعلم
الاية الثالثة من سورة الرعد قوله تعالى ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها وفي سورة النحل ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض من دابة والملائكة فيها **سؤالان** خصوص اية
الرعد بمن واية النحل بما وزيادة قوله والملائكة ولم يرد ذلك في
سورة الرعد **والجواب** عن الاول ان ورود من في سورة الرعد
لا سؤال فيه فان قبول الاوامر وامتثال الطاعات بالقصد والاختيار
لمشيئة الله سبحانه انما يكون ذلك من اصحاب العقول وهم
الملائكة والانس والجن وهم المقصودون في الاية فوردت
من

من الواقعة في العقلاء ولهذا قيل طوعا وكرها لان ذلك انما يتضح
من العاقل فالاية واردة على ما ينبغي **واما** اية النحل فراعي
فيها لفظ دابة الوارد فيها اذ هو عام للعاقل وغيره فوردت
الاية بما الواقعة على الانواع والاجناس مناسبة لما تقدم من
الاطلاق والعموم **والجواب** عن السؤال الثاني ان قوله تعالى
في اية النحل والملائكة تخصيص لهم لجليل حالهم تعينوا بالذكر
مع دخولهم في العموم المتقدم وهذا كقوله تعالى وجبريل وميكال
مع دخولهما تحت لفظ الملائكة ثم ذكر الوارد في اية النحل انما
ورد فيه من لفظ دابة **فان قلت** لم لم يخصصوا بالذكر في اية
الرعد **قلت** لانه لم يقع هناك لفظ دابة الذي هو الموجب لتعيين
الملائكة وتخصيصهم بالذكر فكل على ما يجب ويناسب والله اعلم
الاية الرابعة من سورة الرعد قوله تعالى قل من رب السموات
والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي
الظلمات والنور وفي سورة الفرقان واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون
موتا ولا حياة ولا نشورا **للسائل** ان يسأل عن تقدم النفع على
الضر في سورة الرعد وعكس ذلك في سورة الفرقان **والجواب**
عنه والله اعلم ان اية الفرقان قد عطف عليها بالواو المشركة

في الاعراف والمعنى قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا
وقدم قبلها ما عطفت عليه بالواو ايضا وذلك قوله واتخذوا
من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فقد انعقدت هذه
الجمل المعطوفات في انطواء كل جملة منها على متقابلين كالضدين
ففي الاول عدم الخلق في قوله لا يخلقون مقابلا لذكر الخلق والايجاد
في قوله وهم يخلقون وفي الثانية الضر مقابل للنفع وفي الثالثة
الموت والحياة وبنى مجموعها على تأخير اشرف المتقابلين
يعني الاول الاشارة الى الخلق في قوله تعالى وهم يخلقون وقد
تأخر عن ذكر عدم الخلق في قوله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
وكذا في الثانية الضر والنفع والنفع اشرف وفي الثالثة الموت
والحياة والحياة اشرف فطرد تناسب الآي على ما اوضحنا
تقدم الضر على النفع في آية الفرقان اما آية الرعد فلم يعرض
فيها ما يحمل على ما ذكر من التناسب فجاءت من حيث وردت
على ما يجب من تقديم النفع الذي هو مطلب العاقل وكان قد
قيل فيها اذا لم ينفعوا انفسهم فكيف ينفعونكم ثم اتبع بما
تكمل به التعريف بحال من اتخذوهم اولياء من انها لا تضر ولا
تنفع فجاء كل على ما يجب ويناسب ولا يمكن خلافه **فان قلت**
اذا كان تقديم النفع كما في سورة الرعد واردا على ما يجب
من حيث هو الذي تطلبه نفوس العقلاء فلم ينسب تلك الجمل

المعطوفات

المعطوفات في آية سورة الفرقان على تأخير الاشرف في
تلك المتقابلات حتى لزم ان يتقدم فيها الضر قبل النفع لتناسب
وهلا كان بناؤها على عكس ذلك وكان يحسن التقابل وورود
النفع قبل الضر كما في آية الرعد **قلت** لما تقدم قبل الجملة المذكورة
في سورة الفرقان قوله سبحانه وخلق كل شيء فقدره تقديرا
فناسب هذا من ذكر آلهتهم وصفها بانها لا تخلق فقيل واتخذوا
من دونه آلهة لا يخلقون شيئا فحصل من وصفه سبحانه بانه خالق
كل شيء وان آلهتهم لا تخلق شيئا ما افصح به من توبيخهم وتقريعهم
في قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وتناسب هذا اوضح تناسب
وابينه ولا يمكن خلافه ثم بنى عليه ما بعده ليناسب ذلك كله
وحصل منه ان الوارد في كل من السورتين لا يمكن فيه العكس
بوجه وربنا سبحانه اعلم بما اراد **الآية الخامسة** من سورة
الرعد قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا
بالحياة الدنيا وفي سورة القصص ويكأن الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف وفي سورة
العنكبوت الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وفي
سبأ قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
وفي سورة الشورى له مقاليد السموات والارض يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم **للسائل** ان يقول ان

هذه الايات الخمس قد انطوت مطابقة على معنى واحد وهو
اخباره سبحانه بانه المنفرد بالقبض والبسط كما انفرد بالخلق
والامر فاذا اجتمعت في هذا المعنى فما وجب انفراد اية
العنكبوت واية سبا بزيادة ما ورد فيهما من التخصيص في
قوله من عباده وقوله له ولم يرد ذلك في السورة الاخرى
والجواب عنه والله اعلم ان اية العنكبوت لما تقدم قبلها
في قصة ابراهيم عليه السلام قوله لقومه ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
ثم ضرب سبحانه مثلا لما عبد من دونه فقال مثل الذين اتخذوا
من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الاية ثم انس
عباده المومنين بقوله يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون ثم قال وكاين من دابة لا تحمل رزقها
الله يرزقها واياكم فاخبر سبحانه بانه المنفرد برزق الكل
كما انفرد بخلقهم فناسب هذا قوله تعالى الله يبسط الرزق
لمن يشا من عباده ويقدر له تخصيص بعد ان عم بقوله الله يرزقها
واياكم تشريفا للمومنين ليستانسوا بما جرى لهم من الغرض
ويذكروا في حال القبض والبسط بالاضافة اضافة تشريف
ولما لم يتقدم في السور الاخر مثلما تقدم يقابلها ما يفهم منه
ان المومنين بقصد تخصيصهم بذلك الخطاب بوجه الاثر
قوله

قوله في اية الرعد وفرحوا بالحياة الدنيا وليس هذا من شان المومن
فان الدنيا سجنه وانما فرحه بربه وبما يرجوه منه في اخرته **واما**
اية القصص فمنصوص فيها على ان الذين تمنوا حال قارون
ومكانه هم القائلون ويك ان الله يبسط الرزق لمن يشا من
عباده ويقدر فانما قالوه عالمين بان الله سبحانه بسط
لقارون ما بسط فعلموا انه القابض الباسط وانه لا يمتنع عن
احد ما بسط له **واما** الشورى فقد بعدها ما هو ابين شي في
تعميم المومن والكافر وذلك في قوله تعالى له مقاليد السموات
والارض فمن اين يرزق المومن والكافر الا من عنده فلم يقصد
في هذه الاية تخصيص المومن وتشريفه لما قصد في تلك فلما اختلف
القصد اختلف الوارد فجا ذكر كل اية على ما يجب ولا يمكن خلافه
والله اعلم **الاية السادسة** من سورة الرعد قوله تعالى فامليت
للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان عقاب وفي سورة الحج فامليت
للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير **للسايل ان** يسال عن وجه
تعقيب الاولى بقوله فكيف كان عقاب والثانية بقوله فكيف
كان نكير مع تساوي الايتين في مقصود الوعيد لمكذبي
الرسل عليهم السلام **والجواب** والله اعلم ان العقاب اشد موقعا
من النكير ان الانكار قد يقع على ما لا عقاب فيه بالفعل وعلى ما
فيه العقاب بالفعل اما مسمى العقاب فانما يراد به في الغالب

احد بعذاب مناسب لحال المجرم اثر معصيته وعقيب جريمته
وتقدم في اية الرعد قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك
والاستهزا امر مرتكب زايد على التكذيب من التهاون والاستخفاف
بحرمة مرتكبه اشنع جريمة فناسبها الافصاح بالعقاب اما الاية
الاخرى فان الوعيد بها المذكورين بالتكذيب ولم يذكر منهم استهزا
قال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فلم يخرج
عن هولا بغير التكذيب وليس كالاستهزا فقد يومن المكذب
ويصلح حاله اما المستهزئ فلا يصلح وقد كفى الله نبيه اياهم
قال تعالى انا كفيناك المستهزئين فناسب النظم بعقيب
كلامه بما يناسب مرتكب من قدم فيها ولم يكن العكس الوارد
لتناسب والله اعلم الاية السابعة من سورة الرعد غ قوله تعالى
وكذلك انزلناه حكما عربيا وفي سورة طه وكذلك انزلناه
قرانا عربيا والمراد بالمنزل في الموضعين واحد وهو القران
ثم اختلفت العبارة عنه في السورتين للقائل ان يسال عن
وجه ذلك والجواب والله اعلم ان سورة الرعد لم يتقدم فيها
شي من القصص الاخبارية وانما المتقدم فيها تفاصيل احكام
مرجعها بجملتها الى اختلاف احوال المكلفين جريا على ما سبق
من قضائه فيهم وتفصيل احوالهم حسب ما قدره سبحانه في ازله

وما حكم به عليهم كقوله سبحانه افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى ثم بين تعالى حكم كل من الفريقين بعد
وصفهم ثم اعقب بمثال الفريقين فقال فيمن هداه لهم جنات
عدن يدخلونها الى قوله فنعم عقبى الدار واتبع بحال الاخرين
الموصوفين بنقض عهده سبحانه واخبر بان لهم اللعنة ولهم
سو الدار وبين تعالى حكمه في بسط الرزق لمن يشا وقبضه
عمن يشا فقال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر واعلم تعالى
انه يضل من يشا ويهدي اليه من اناب ثم وصفهم باطمينان
قلوبهم بذكره وما منحهم في قوله طوبى لهم وحسن ماب ودارت
الاي بعد على ان كل جار في خلقه فبتقديره وتناسب ذلك
الى الاية وكلما تقدم فهو حكمه سبحانه السابق في خلقه فاعقب
ذلك بقوله وكذلك انزلناه حكما عربيا قال الزمخشري
حكمته عربية اي مترجمة بلسان العرب ولما تقدم اية سورة
طه قصص موسى وما جرى من فتنة قومه بعده بفعل السامري
وما كان من قول هارون عليه السلام وتذكيره اياهم وقول بني
اسرائيل عليه عاكفين الى قوله كذلك نقص عليك من انباء ما
قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا والمراد به القران ثم اتبع
هذا بالاية الى قوله وكذلك انزلناه قرانا عربيا وقصصا مقروا
بلسان العرب مذكرين وفق للاعتبار والاتعاظ به لعلهم

يتقون او يحدث لهم ذكرا فناسب كل من العبارتين موضعه اتم مناسبة
ولم يكن عكس الوارد ليناسب والله اعلم الاية الثامنة من سورة
الرعد قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية وفي سورة الروم ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
فللسائل ان يسال عن وجه ذلك وما ورد على قصده والجواب
عن ذلك ان المتقرر في الكتاب العزيز انه اذا ورد اسم نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم مع غيره من الرسل عليهم السلام مفصحا
باسمائهم في اية واحدة فانه يتقدم اسمه ظاهرا كان او مضمرا
ثم يذكر بعده من تضمنته الاية منهم عليهم السلام كقوله تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وقوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
الاية فان قلت قد تقدم هنا قوله قبله من النبيين قلت المجموع
جمع السلامة بالواو والنون رفعا والياء والنون نصبا وجرا
من الفاظ العموم عند الاصوليين فقوله من النبيين يعم
نبينا وغيره من النبيين عليهم السلام فلما افصح من ذكر
في الاية من اولي العزم اشعارا بتفضيلهم على من سواهم بدا به
عليه السلام فقال ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم الاية ومثل هذا قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته
ورسله ثم قال وجبريل وميكال وقد دخلا تحت عموم وملائكته

مع

مع ان لفظ النبيين بالالف واللام اوضح في العموم اذ ليس
المضاف في العموم كالتعريف بالالف واللام فاقول انما قدم
المجرور في قوله من قبلك رسلا الى قومهم في اية الروم لمكان ضميره
صلى الله عليه وسلم واما اية الرعد فموازن لها ومناسب ما
بعدها من قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فما جرى
المضمر في الايتين للموازنة والتقابل والثانية منها محمولة
على الاولى في رعي ما ذكر فان قلت فلم تاخر ضميره عليه السلام
في الاية الاولى عن ذكر الرسل قلت لان ذكرهم هنا عليهم
السلام لم يرد معرفا باحوالهم وبما منحوا من الاصطفاء والتكريم
ولو ورد ذكرهم لهذا الغرض لكان اسمه عليه السلام متقدم
الذكر كما في الاي الواردة بذلك وانما ذكر هنا اساءة مكذبي
اممهم اليهم وتنيلهم منهم ضروب المضرات وليس ذلك مما
يعرف من مناصبهم في التفضيل وانما ذكر ذلك ليتاسى بهم
نبينا صلى الله عليه وسلم في الصبر والتحمل وليقتدي بهداهم كما امر
في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل
لهم ثم انه صلى الله عليه وسلم له السيادة المعروفة والمكانة المعروفة
فقدم ذكرهم في قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك وتاخره عليه
السلام لما ذكر ثم وردت الاي بعد مجرى الاخبار منها على
ذلك احرازا للمناسبة والموازنة وايضا فليس ذكرهم مجملا

عن مفصل لذكرهم على التعيين باسمائهم فقد تقدم الايما الى ذلك
والله سبحانه اعلم بما اراد سورة ابراهيم عليه السلام الاية
الاولى منها قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد وقوله
في سورة الحج وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط
الحميد وفي سورة سبا ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك
من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد فورد في هذه
السور الثلاث ذكر الصراط مضافا في السورتين منها الى العزيز
من اسمائه ثم اتبع بالحميد واقتصر في سورة الحج على ما اضافه
الى اسم الحميد فللسائل ان يسال عن ذلك والجواب عنه والله اعلم
ان اية ابراهيم ورد فيها قوله تعالى لنبيه عليه السلام لتخرج الناس
من الظلمات الى النور وكان السابق من مفهوم هذا ان ذلك الامر
بيده عليه السلام وقد قال تعالى ليس لك من الامر شي وقال ان
عليك الا البلاغ وقال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشا فلما كان المسبوق من مفهوم اية ابراهيم كما ذكر
اشارة وصفه تعالى بالعزة الى قدرته تعالى وقهره وانه لا يكون من
العباد الا ما سبقت به ارادته التي لا تخرج واقع عن حكمها
وتعالى ان يكون في ملكه ما لا يريد ولو شا لهدى الكل قال تعالى ولو
شينا لاتينا كل نفس هداها فاحرز الوصف بالعزة هذا المعنى العظيم

ولو

ولو لم يرد هذا الوصف لما احرز هذا المقصود وكان الوارد من قوله
في اية سبا ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق
والرؤية هنا بمعنى العلم والحق مفعولها الثاني والضمير فصل لا موضع
له من الاعراب ومحال ان يرى من وصفه بالعلم حكم الله جاريا في
خلقه الا على ما يشاوه ويريده وانه لو شا لجمعهم على الهدى
فهذه الاية كاية ابراهيم من غير فرق وبوصفه سبحانه بالعزة
تمام مقصودها كالمتقدمة وليس للمدعوين الا ما سبقت به
ارادته تعالى ولا بيد نبيه صلى الله عليه وسلم اخراجهم ولا هداهم
ولم يرد في هاتين الايتين ان الاخراج من الظلمات الى النور
والهداية مما وقع وانقضى وانما مقتضى الايتين رجا اخراجهم
اجابتهم وهدايتهم عند دعائه عليه السلام اخراجهم ولا هداهم
ثم الرجا راجع الينا وربنا المنزه المتعالي عن الاتصاف وقد احاط
علمه سبحانه بما يكون منهم وانما خوطبنا على ما نتعارف قال سيبويه
رحمه الله وقد تعرض لهذا وقد ذكر هذا قوله تعالى ويل للمكذبين
وويل للمطففين فقال لا ان تقول دعاها هنا لان الكلام بذلك
قبيح ولكن العباد انما كلموا بكلامهم وجا القران على لغتهم وعلى
ما يعنون والله اعلم قيل لهم ويل للمطففين وويل للمكذبين
اي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لان هذا الكلام انما يقال لصاحب
الشر والهلكة فقيل هؤلاء ممن دخل في الهلكة ووجب

لهم هذا او مثل هذا فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والعلم قد
اتى من واما يكون ولكن اذهبا انتما على طمعكما ورجائكما
ومبلغكما من العلم وليس لهما اكثر من ذا اما الرب فعلمها وشأنه
قاتلهم الله فانما اجرى هذا على كلام العرب الذي به انزل القران
فقد تبين تساوي هاتين الايتين في استدعائهما وصفه تعالى
بالعزيز لما تحرر من المعنى المتقدم **اما** اية سورة الحج فقوله تعالى وهدوا
الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد اخبارا منه سبحانه بما
شاء لها ولا من فوزهم وفلاحهم قد تم حكمه وانقضى فلم يكن
لتناسبه ما يفهم القهر وانما المناسب ما يفهمه اسمه الحميد
فورد كل على ما يجب ويناسب ولم يكن على عكس الوارد ليناسب
ولا يلايم والله سبحانه وتعالى اعلم **الاية الثانية** قوله تعالى الله الذي
خلق السموات والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم وقال في سورة النمل امن خلق السموات والارض وانزل
لكم من السما ما فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما لكم الاية **يسال** هنا
عن تاخر لكم في اية ابراهيم عن لفظ انزل وايلائها اياها مقدمة في اية
النمل ما وجه ذلك **والجواب** ان اية ابراهيم قد تقدمها قوله تعالى
قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة الاية وقد علم المومنون ان
الله غني عن العالمين وان المنزل من ما السما انما هو رحمة للعباد
واحيا للارض بعد موتها ليخرج ما ينبت فيها سبحانه من انواع الحبوب

والثمرات

والثمرات وغير ذلك مما به صلاح احوال العباد وتتميم معايشهم
ولم يغب عن المومنين المذكورين قبل ان ربهم غني عن ذلك كله
ومنفرد بخلقه والانعام به فلم يحتج هنا الى تنبيههم بان ذلك لهم
لاتصالهم التذكر وموالاة الاعتبار والغفلة واخر ذكر ذلك
الى ذكر الرزق ليجري مع قوله في الزينة والطيب من الرزق
قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامه **اما** اية النمل
فقد تقدمها قوله تعالى آلله خير اما يشركون فلما تضمنت تعسف
المشركين على سوء مرتكبهم وعماهم عن التفكر والاعتبار
قصد تحريكهم وايقاظهم من رقدة الغفلة فقيل وانزل لكم
ليحصل تنبيههم واعلامهم ان انزال الما من السما انما هو لهم وانه لا حاجة
له سبحانه اليه فاستجد الكلام تعنيفهم ويشهد لهذا قوله تعالى
عقب الاية ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون
اي يعدلون بربهم غيره او يعدلون بعبادته الى عبادة غيره
وكل هذا شرك لا فلاح معه فلما قصد في الاية الثانية ما ذكرناه قدم
المجرور وشانه ابدا اذا قدم احراز معنى التنبيه حيث يقصد
التحريك والايقاظ لذي غفلة اما اذا تاخر فلا يحرز هذا المعنى على
الصفة التي يحرزه مقدما وتامل الوارد من هذا في نظائر هذه كقوله
تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون خطابا لمن تقدم ذكره
في قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وقوله خطابا

لفرعون في اخباره تعالى عنه قال فمن ربكما يا موسى الى قوله تعالى فما بال
القرون الاولى وقد تقدم بيان هذا في قوله تعالى ولم يكن له
كفوا احد وما انشده سيبويه رحمه الله من قول الشاعر لفرس
وربا حلد ما ما دام. ولا اشكال في ذلك لمن اعتبر الاية الثالثة
قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم
كفار وفي سورة النحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور
رحيم ما عقب في الاولى قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها بغير
ما عقب في الثانية فيسال عن ذلك والجواب عنه والله اعلم
ان اية ابراهيم تقدمها قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
واحلوا قومهم دار البوار ثم قوله وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن
سبيله ثم ذكر انعامه على عباده في قوله الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم الى قوله
واتاكم من كل ما سالتموه فناسب ما ذكره تعالى من توالي انعامه
ودرور احسانه ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل وجعل الانداد
وصف الانسان بانه ظلوم كفار واما اية النحل فلم يتقدمها غير ما
نبه سبحانه عباده المومنين من توالي الائه واحسانه وما
ابتداهم به من نعمه من لدن قوله خلق الانسان من نطفة ثم توالت
الائه الامتنان والاحسان بقوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء
ومنافع فذكر تعالى بضعا وعشرين من امهات النعم الى قوله مبينها

وموقظا

وموقظا من الغفلة والنسيان افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون
ثم اتبع بقوله سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فناسب ختام
هذا قوله تعالى ان الله لغفور رحيم وجاء كل على ما يجب والله اعلم
الاية الرابعة قوله تعالى هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا
انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب للسائل ان يسال عن وجه
اختصاص اية ابراهيم بقوله ليذكر واية ص بقوله ليتذكر بتا الفعل
والجواب والله اعلم ان كلا من الموضعين حاصل فيه التناسب اما
اية ص ففي قوله ليدبروا حرفان من الحروف الشديدة وهما البا
والكاف وبناوهما مضعف فسبق عليهما قوله وليتذكر وفيه
ايضا حرفان من حروف الشدة وهما التا والكاف وبناوهما مضاعف
والتناسب بهذا واضح واما اية ابراهيم فورد فيها ولينذروا به وليعلموا
وقد عريت الكلمتان من حروف الشدة وانما جميعها من الرخوة
وهي ضد الشدة فناسبها عطفا عليها قوله وليذكر واذ ليس فيه
من الحروف الشديدة غير الكاف وايضا فان يذكر ويتذكر معناهما
واحد والاصل المدغم مفكوكه فلفظ يذكر بان عن يتذكر وهو الاكثر
استعمالا واخف لفظا فقدم في سورة ابراهيم واخر الاثقل في سورة
ص على الترتيب المتقرر على ما تقدم في قوله ومن تبع هداي في
سورة البقرة وقوله ومن اتبع في سورة طه وقد تقدم من هذا نظاير
وسياتي امثالها واطراد ذلك شاهد برعيه تحصل التناسب للفظين

وان عكس الوارد لا يناسب والله اعلم **سورة الحجر** الاية الاولى غ
قوله تعالى تلك ايات الكتاب وقران مبين وفي سورة النمل تلك
ايات القران وكتاب مبين فورد في هاتين السورتين ذكر
الكتاب والقران معا منسوقا احدهما على الاخر ثم اختلفت كيفية
الايراد فقدم في الاولى ذكر الكتاب واخر في الثانية **والجواب** عن
هذا قد تقدم في سورة الرعد **الاية الثانية غ** قوله تعالى ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون
وفي سورة الزخرف وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي
الا كانوا به يستهزئون **للسائل** ان يسال عن تخصيص اية الحجر بقوله
من رسول واية الزخرف بقوله من نبي **والجواب** والله اعلم انه
لما تقدم في اية الزخرف لفظ كم الخبرية وهي للتكثير ناسب ذلك
ذكر كل ما يوحى اليه من نبي مرسل ونبي غير مرسل فورد هنا ما يعم
الصنفين عليهم السلام وأما اية الحجر فلم يرد فيها ولا قبلها
ما يطلب بالتكثير مع ما تضمنت من قصد تانيسه عليه السلام
وتسليته فخصت بالتعيين باسم الرسالة له عن قولهم انك لمجنون
وما جرى للرسل قبله عليهم السلام من مثل ذلك ومن البين ان
موقع رسول هنا امكن في تسليته عليه السلام فجا كل على ما يجب
من المناسبة والله اعلم **الاية الثالثة غ** قوله تعالى كذلك نسلكه
في قلوب المجرمين وفي سورة الشعراء كذلك سلكناه **فللسائل**

ان

ان يسال عن وجه ورود نسلكه في سورة الحجر وورود سلكناه في
سورة الشعراء **ووجه** ذلك والله اعلم انه تقدم اية الحجر قوله تعالى
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وهو قول العتاة
من كفار قريش وغيرهم الذين عتوا بقوله تعالى تهديدا ووعيدا
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ولم يتقدم في
هذه السورة اخبار بحال غيرهم من مكذبي الامم سوى التعريف
بان كل قرية اهلكت فباجل معلوم وكتاب سابق لا يتاخر عليه
ولا يتقدم بحالها ولا حال من بعدهم كما قال تعالى فهل ينتظرون
الا سنة الاولين وقوله كذلك نسلكه الضمير للذكر المتقدم وهو
هنا القران والمراد بسلوكه في قلوبهم ما تحصل عندهم ووقعوا به
من معرفتهم بباهر نظمه وبديع ايجازه وعلى تناسبه وانه يفوق
كل كلام مع انه بلسانه وقد علموا مع هذا عجزهم عن معارضته مع انه
لم يرد بغير لسانهم ولا بما لا يعرفونه من محاولتهم ومخاطبتهم فاذا
المراد بسلوكه في قلوبهم بعد كانوا متيقنين انه ليس من كلام البشر
وبهذا اخبر سبحانه عنهم تسلية لنبيه عليه السلام فقال فانهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وبعجزهم عن
معارضته قامت الحجة عليهم ثم امتنعوا عن الايمان بما سبق لهم
في الازل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم
كل اية فورد هنا نسلكه بلفظ المبهم مشعرا باستمرار حالهم وموافاتهم

على ذلك وقد تاكد هذا بوصفهم بالاجرام وتسجيل حالهم السيئ
بقوله لا يؤمنون واداة لا نافية للمستقبل فناسب هذا لفظ
المبهم المضارع **اما** اية الشعرا فقد تقدمها ذكر قوم نوح وهود
وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من الامم المكذبين بعد سلوك
ما ذكر سبحانه انه في زبر الاولين في قلوبهم فلما تقدم امرها و لا
وانقطعت ازمانهم وقعت العبارة بالماضي فقال تعالى كذلك سلكناه
ولم يناسب هنا غير الماضي فقد وضح ورود كل من الموضعين
على ما يناسب ولم يناسب عكس الوارد والله اعلم **الاية الرابعة**
قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين
وفي سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين **للسائل** ان يسال
عن وجه اختلاف العبارتين من ورود اللعنة في سورة الحجر
بالالف واللام وفي ص بالاضافة مع اتحاد المعنى **والجواب**
عن ذلك والله اعلم ان اية الحجر وردت بالالف واللام وفي الاداة
المقتضية للحصر الجنسي حيث لا عهد وذلك وارد على ما يسعى
لما قصد هنا من المبالغة ولا سوال فيه واما الوارد في سورة ص
مضافا الى المتكلم فوجه المناسبة اللفظية لقوله ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي فجرت العبارتان على معنى واحد ومسلك متناسب
ولم يكن ليناسب العكس فيما ورد والله اعلم **الاية الخامسة** قوله
تعالى انا نبشرك بغلام عليم وكذلك في سورة والذاريات قالوا لا تخف

وبشروه

وبشروه بغلام عليم وورد في سورة والصافات وبشرناه بغلام
حليم خلاف الوصف بالعليم في السورتين **ووجه** ذلك والله اعلم
ان اية والصافات لما وردت كالتمهيد لما تلاها متصلا بها من
قوله فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فلقي
الذبيح عليه السلام ما اخبر به ابوه لعلمه انه من امر الله بالرضى
والصبر والقبول قال ابن عطية في تفسير حليم صابر محتمل عظيم
للعقل قال والحلم العقل فاحسن عليه السلام جواب ابيه معربا
له محتسبا نفسه فناسب هذا الموضع ورود وصف الذبيح بالحلم
ولما لم يات في الايتين الاخريين ذكر الامر بالذبح ناسبها الوصف
بالعلم وهو صفة الانبيا فورد كل على ما يجب ويناسب والله اعلم
الاية السادسة من سورة الحجر قوله تعالى ان في ذلك لايات
للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمومنين
فيها سوالان جمع ايات في الاولى وافراد ذلك في الثانية وتخصيص
الاعتبار اولا بالمتوسمين وثانيا بالمومنين **والجواب**
ان المتقدم من ذكر ضيف ابرهيم وجلمه عليه السلام منهم مع انه
كان لا يهاب كثرة الرجال لما منح من القوة والايد الى حال النبوة
وتخصيص الخلة ثم بشارة الملائكة بالولد مع بلوغ الكبر ثم سواله
اياهم عن سوالهم اذ ذاك فاخبروه انهم ارسلوا لاهلاك قوم
لوط وكانت مدينتهم على اقرب من حيث كان ابرهيم عليه السلام

فسالهم اشفاقا ورحمة جبل عليها الرسل والانبيا ايهلكون ان
كان فيهم مومنون وعن ذلك السوال والمحاوره عبر بالمجادلة
في قوله يجادلنا في قوم لوط اي يجادل رسلنا وهي محاورته معهم
وسواله اياهم حتى عرفوه ان ال لوط عليه السلام ناجون الا امراته
ثم اعقب ذلك من مجي الملايكة من عند ابراهيم الى لوط وانكار لوط
اولا اياهم حتى علم انهم من الملايكة ثم امرهم اياه بان يسري باهله
وان يتقدمهم امامه ولا يلتفت الى من وراه ولا يعرج على شي
فان قومه هالكون صبيح ليلتهم ثم الاخبار بمجي قوم لوط لما
سمعوا باضيافه فظنوا انهم من البشر جاوا مسرعين طامعين
في غلبة لوط عليه السلام وقهره في ضيفه لياخذوهم لاغراضهم
الشنيعة ومن قبل كانوا يعملون السيات فذكرهم عليه السلام
وامرهم بتقوى الله عز وجل فقال ان هولا ضيفي فلا تفضحون
واتقوا الله ولا تخزون ثم عرض عليهم نساآله وقومه بالوجه
الحل لذلك فقال هولا بناتي ونسا قوم كل نبي بنات له وهو لهم بمنزلة
الاب ثم ذلك عليهم شيا وعند تمردهم وطغيانهم قال عليه السلام
لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديدا وعشيرة تحميني فقالت
الملايكة اذ ذاك انا رسل ربك لن يصلوا اليك اي لا سلطان لهم
عليك ولا عون فروي ان جبريل عليه السلام نفخ في اعينهم
فخرجوا قد عموا ما يلبسون ورآهم ان عند لوط سحرة او كما

قالوا

قالوا ثم صبحهم العذاب فاخذتهم الصيحة مشرقين قال تعالى
فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل هذه جمل
ومقدمات عجايب من الايات يجول فيها اعتبار المعتبرو ويتسع
له النظر ويتوسم منها المتفرس مخايل الهلاك ومقدمات التلف
لاوليك الاشرار فقال ان في ذلك لايات للمتوسمين اي المعتبرين
او المتفرسين والناظرين فهذا مناسب لما تقدم ثم لما تحصل من قوله
تعالى فجعلنا عاليها سافلها مدينتهم الشاهد اثره من شاهد
المراي بعدهم قال تعالى وانها لبسبيل مقيم اي طريق واضح ودليل
بين لمن شاهده وابصره وذلك امر مدرك ومعتبر متحد خالص
لنا تفصيل قصصه بخبره الصادق عليه السلام قال تعالى ان
في ذلك لاية للمومنين فافرد اية وقال للمومنين اي المصدقين
الشاهدين امرهم بما كان على ما يجب ولو لم يكن ليناسب المتقدم
افراد اية ولا جعل العبرة للمصدقين مع ذكر المتوسمين في
الاخرى ولا المتاخر بما ورد في الاولى بل ورد كل على ما يجب ويناسب
والله اعلم الاية السابعة ع قوله تعالى واخفض جناحك للمومنين
وفي سورة الشعرا واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
فزيد هنا قوله تعالى لمن اتبعك ومقصود الايتين واحد فللسائل
ان يسال عن وجه هذا التخصيص والجواب عن ذلك والله اعلم
انه لما لم يتقدم اية الحجر تخصيص لمدعو تقدمها خطابه عليه السلام

التأنيس والتسلية عن من أعرض والرفق لمن آمن فقال تعالى
ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين لم يحتج هنا إلى زيادة
ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين والإنذار
تستصحب التخويف والاستعلاء على من تخاطب به أتبع ذلك
تلطفا وإنعاما على من آمن به من عشيرته صلى الله عليه وسلم
وغيرهم بقوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
فقيل هنا لمن اتبعك ليكون أنص في تعميم المؤمنين مطلقا من
العشيرة وغيرهم ولو قيل هنا واخفض جناحك للمؤمنين
لما كان نصا في التعميم بل كان يحتمل أن يراد به خصوص المؤمنين
من عشيرته عليه السلام وكان تذييل واخفض جناحك لمن آمن
منهم أي من العشيرة لأن لفظ المؤمنين هنا وإن عم فإنه بما تقدمه
وبني عليه من قوله وأنذر عشيرتك الأقربين يشبه الوارد
من العمومات على سبب خاص وذلك مما يكسر سورة عمومه
ويدخله الخلاف فجيء بالمجموع من قوله لمن اتبعك من المؤمنين
لرفع ذلك الاحتمال ومعنى العموم كما في الآية الأخرى فإن قلت
إن الضمير المرفوع من قوله فإن عصوك راجع إلى عشيرته
عليه السلام وذلك مما يلزم أن يكون للمعنيين فالكلام بقوله
هنا من المؤمنين لا يمنع أن يراد به الخصوص فالجواب
أن رجوع الضمير إلى العشيرة على اللزوم غير لازم بل يمكن رجوعه

إلى

إلى الجميع ممن هو متماد على كفره ومتبع أما الأول فبين وأما
الثاني فللارتداد وقد قال تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
إيمانهم فيبطل رجوع الضمير إلى الكل أو لا يستصحب المؤمن
الخوف ولهذا قيل فإن عصوك لوقوع اسم المعصية على الكفر
وما دونه سورة النحل الآية الأولى منها قوله تعالى ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات
إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون
وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون
يسأل عن توحيد آية في الأولى والثانية وجمعها في الآية
الثانية المتوسطة وعن تعقيب الأولى بقوله لقوم يتفكرون
وتعقيب الثانية بقوله لقوم يعقلون والثالثة لقوم يذكرون
والجواب عن السؤال الأول أن الإشارة بقوله إن في ذلك في
الآية الأولى إلى المنزل من السماء في قوله هو الذي أنزل من السماء
ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ثم قال ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات أي ينبت لكم
بالماء المنزل من السماء وحده في الصفة ضروب الأقوات والفواكه
وأنواع الثمرات فقيل إن في ذلك لآية بالإفراد لأن الإشارة
إلى الماء أو إلى إنبات أنواع الثمرات المختلفات في الطعم والألوان

مع وحدة المادة من الماء وهو واحد وكذلك الاية الثالثة الاشارة
فيها الى الجنس والواحد الواقع عليه لفظ ما من قوله وما ذرأ لكم
في الارض مختلفا الوانه فافرد هذا الضمير ايضا لرجوعه الى ما الواقع
على جنس واحد متنوعة في الارض تشتمل على انواع مختلفة
في المطعوم والالوان مع وحدة المادة من الماء وهو واحد ولذلك الاية
الثالثة فاورد لفظة الاية كما افرد لفظة الضمير لوقوع ذلك على الجنس
الذي عبرت عنه ما وهو جنس واحد فاقتضى ذلك افراده واما
الاية المتوسطة فالاشارة فيها الى خمسة اشيا مختلفة احال عليها
في الاعتبار وسخرت لنا بتسخير الله قوام معاشنا وصلاح احوالنا وعدد
حسابنا وهي الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وكل
واحد من هذه تتبع جهات النظر فيه والاعتبار عجائبه فالليل
للسكن والراحة والنهار للاكتساب والتصرف والسياحة
والشمس للاضاءة والتسخين والقمر للنورية والترطيب والتلوين
وبكلا النيرين تعرف الشهور والسنين لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار والنجوم للاهتداء في ظلمات
البراري والبحار وجهات الاعتبار بهذا الجنس تفوت الاحصا
والاشارة الى هذه المتعددات جمع فعل الايات والجواب
عن السؤال الثاني وهو وصف المعتبرين في الاية بالتفكر
وفي الثانية بالعقل وفي الثالثة بالتذكر ان انبات الزرع

والزيتون

والزيتون والنخيل والاعناب ومختلف الثمرات بالماء المنزل
من السماء مع كونه واحدا والمنبت به مختلف الانواع والطعوم
والمنافع ام يوصل الى معرفته وارتباطه باستعمال الفكر في ذلك
وان لم يطل بشرط السلامة من الغفلة فيحصل بمجرد الفكر
على عظيم المعتبر واما تسخير الليل والنهار الى ما ذكر معهما فلا
يكفي في معرفة ذلك والحصول على الاعتبار به بمجرد الفكر
فان العلم بتسخير هذه مما يغمض ويخفى على الا على ذوي
البصاير والنظر السليم والعقول الراجحة فلم يقع الفكر هنا
بل وصف المعتبر بها بما هو فوق الفكر وتامل ما تعقب به
موضع الاعتبار في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر الايات
الى قوله لقوم يعقلون لما كان في الاعتبار بما انطوت عليه
هذه الاية غموض وخفاء قيل لقوم يعقلون واما الاية الثالثة
وهي قوله وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه فبداءة الفكر السالم
وقصد التذكر كاف في حصول الاعتبار بذلك فاذا تاملت ما
ذكرناه والفت ذلك كله واردا على اجل مناسبة وعلمت
ان كل اية من هذه الثلاث ايات لا يناسبها الا ما اعقبت به الاية
الثانية من سورة النحل قوله تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لتاكلوا
منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك

مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ففي هذه الآية ثلاث
سؤالات **الاول** لم اخر المجرور في سورة النحل فقيل مواخر فيه وقدم
في السورة الاخرى فقيل فيه مواخر **والثاني** زيادة الواو في قوله
ولتبتغوا من فضله في سورة النحل وسقوطها في سورة الملائكة
والثالث زيادة منه في سورة النحل في قوله وتستخرجوا منه حلية
وسقوط ذلك من سورة الملائكة **والجواب** عن الاول
ان آية النحل بنيت على تأخر المجرورات كما تعلقت به وجرى الكلام
جريا واحدا للتناسب والتشاكل فقيل لتأكلوا منه وتستخرجوا
منه وترى الفلك مواخر فيه ولو قيل هنا فيه مواخر بتقديم المجرور على العامل
فيه وهو مواخر اسم فاعل مجموع من المخر وهو شق السفينة
الماء بجؤجؤها لما ناسب ما تقدم مما بنيت الآية عليه وتقدم في
المجرور من قبله اما آية الملائكة فمبنية على تقديم المجرور على ما
به تعلق قال تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا فتأكلون العامل في
المجرور الذي هو من كل متأخر عنه فناسب ذلك تأخر العامل
ايضا في المجرور الثاني ليتناسب الكلام بما آخره على ما بني اوله
ولم يكن يصح ما لا يناسب **والجواب** عن السؤال الثاني ان آية
النحل مبنية على قصد الاعتبار وتعداد النعم وقد اجتمع في قوله
تعالى وهو الذي سخر البحر الآية مجموع الامرين من الاعتبار وابدا
النعم بتسخير البحر واكل اللحم الطري منه واخراج الحلية للباس

ومخر

ومخر السفن اياه للمنافع والاكتساب فهذه نعم جليلة وفي
كل منها مجال للاعتبار ومتسع للتفكر والنظر فلما كان من
مقصود هذه الآية تعداد النعم ناسب ذلك عطف بعضها
على بعض لانه مظنة اطناب وبسط فقيل ولتبتغوا من فضله
والمجرور متعلق بفعل التسخير اي سخر لكم الاكل واستخراج
الحلية وجري السفن والابتغاء من فضل الله واما آية سورة
الملائكة فمبنية على ابدا القدرة وجليل الحكمة الا ترى قوله والله
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
الا في كتاب وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه
وهذا ملح اجاج فهذا مقصود به الاعتبار والتعريف بانفراده
سبحانه بخلق ذلك كله والقدرة عليه واحكام الصنعة واذا
تجرد ذلك ابدا النعم وجليل الاحسان الى ان مقصود الآية وبناؤها
على ما ذكرناه لم تجرد تاني الكلام للتعريف والامتنان فقال
تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله فتعلق المجرور
الذي هو لتبتغوا باسم الفاعل المجموع الذي تجرد الابتغاء من فضله
فالابتغاء هنا منحط في الكلام والامتنان مقصود الا ان مخر السفن
كانه ليس لشيء الا للابتغاء فلما تعلقت اللام بمواخر من حيث

لحمل اللفظ بعلى المعنى لم يصح دخول الواو ولم تكن كاية النحل فافترق
القصد ان ولم يلائم كل من الموضعين الا الوارد فيه والجواب
عن السؤال الثالث ان المعنى فى قوله ومن كل تاكلون لحما
طريا وتستخرجون حلية تلبسونها مستقل لا ابهام فيه ولا احتمال
لان تقدير الكلام ومن كل البحرين تاكلون واستخراج الحلية للباس
والكلام فى قوة المبتدا والخبر لا توهم خلاف ما ذكرنا واما قوله وهو
الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
فلو سقط هنا المجرور الذى هو منه لكان محالا للاحتمال وتستخرجوا
حلية لم تكن بالنص فى ان استخراج الحلية من البحر وان كان ظاهرا
الا ان هذا القدر من الاحتمال ينقدح هنا وغير منقدح فى اية
الملائكة فثبت الضمير هنا رافعا لهذا الاحتمال ولم يثبت
فى اية سورة الملائكة اذ لا انقداح فيها للاحتمال فورد كل على ما
يجب والله اعلم الاية الثالثة من سورة النحل قوله تعالى فادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وفى سورة
الزمر قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
للسائل ان يسال عن زيادة اللام فى اية النحل وسقوطها فى الاية
الاخرى من اوجه ذلك والجواب عن ذلك ان اية النحل تقدمها
ثمانى ايات او نحوها فى ذكرها ولا المقول لهم فادخلوا ابواب جهنم
وذلك اطالة فى ذكرهم واستقصاء ناسب التاكيد باللام المشيرة الى
معنى

معنى القسم واما الايات من سورة الزمر وسورة المومن فاين
المتقدم فى الاولى منهما قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى
قوله قيل ادخلوا وذلك كلام مرجع الى الوجازة اذ لم يذكر من كفرهم
مثل ما ذكر فى المذكورين قبل اية النحل من ردهم المنزل بقولهم
اساطير الاولين وذلك مقالة شنعاء من كفرهم فناسب الجار الواقع
قبل اية الزمر مع ما اجمل فيها من كفرهم سقوط اللام من قوله فبئس
واما اية سورة الزمر فلم يقع ايضا قبلها من استقصاء التعريف
ما وقع فى سورة النحل والاقصر من شنيع مرتكبهم على غير
التكذيب فناسب ذلك سقوط اللام كالى الزمر وورد كل على ما
يجب ويناسب الاية الرابعة قوله تعالى فاصابهم سيئات
ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وفى سورة الزمر فاصابهم
سيئات ما كسبوا وجه ذلك والله اعلم استدعاء التناسب
فى كل من الموضعين وقد ورد قبل اية النحل قوله تعالى مخبرا
عن المشركين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم
ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ثم صرف الكلام الى
كفار العرب فى توقفهم عن الايمان فقال هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله ثم قال كذلك فعل الذين من قبلهم والمراد من قالوا ما كنا
نعمل من سوء ومن كان على مثل حالهم فقيل بناء على قولهم ما كنا نعمل
من سوء فاصابهم سيئات ما عملوا وتناسب هذا ابين تناسب

واما اية الزمر فقد وقع قبلها قوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
الى قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيات ما
كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وبعد هذا قد قالها الذين
من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ثم قال فاصابهم سيات
ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء يعني كفار العرب سيصيبهم
سيات ما كسبوا فقد وضح وجه التناسب في الايتين وعكس
الوارد لا يناسب والله اعلم **الاية الخامسة** قوله تعالى وما بكم
من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف
تعلمون وفي العنكبوت فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما اتيناهم
وليتمتعوا فسوف يعلمون **للسائل** ان يسال عن وجه تكرار
اللام في قوله وليتمتعوا في سورة العنكبوت ولم تتكرر في الايتين
الاخريين وهل بين اية العنكبوت وايتي النحل والروم فرق
في ذلك يوجب تكرار الكلام حيث ذكر ام لا وهل قوله في سورة العنكبوت
اذا هم يشركون يعم جميع المشركين في ذلك وقال في الايتين الاخريين
اذا فريق فخص بعضهم ولم يعم فهل ذلك لموجب يقتضيه فهذان
سؤالان **والجواب** ان هذه اللام في قوله ليكفروا وليتمتعوا لام
الامر المقصود به التهديد والوعيد كقوله اعملوا على مكانتكم وقوله

ومن

ومن شاء فليكفر واذا تقرر هذا فقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق
ولا يخص واذا كان الخطاب عاما يشمل العام الكثير فما بعد شيء
ان يكونوا في بقيته على حد سواء بل يكون منهم المقبل والمعرض فعلى
هذا الحكم ورد في سورة النحل والروم اذا فريق منهم لان ما تقدم
من الخطاب الاخبار في قوله وما بكم الى قوله ثم اذا كشف الضر
عنكم وفي قوله في الروم واذا مس الناس ضر الى قوله ثم اذا اذاقهم
عام غير خاص فاخبر سبحانه بتفصيل احوالهم في بقيته وان منهم
فريق يرجعون الى ما كان عليهم من الشرك بربهم ومفهوم هذا
الكلام او عموده ان الفريق ليس مثلهم في ذلك فقد تفصل بقيتهم
وافترقت احوالهم تشاهد جرى العادة التي لا تنكسر واذا تقرر هذا
فالوعيد لانهم يعني بل يخص الفريق المسمى وان عم بلفظه تخويفا
لمن عدا ذلك الفريق وليكون ارهب للجميع وان تفصلت احوالهم
اما قوله في سورة الروم فاذا ركبوا في الفلك فليس هؤلاء كل الناس
ولا يتناول الخطاب غير من ذكر فقوله بعد اذا هم يشركون
يتناول جميع من شمله الضمير في قوله ركبوا وظاهر الخطاب تساوي
هؤلاء في تركبهم فالوعيد شامل لجميعهم ومتناول جملتهم فحسن
توكيد الوعيد لشموله لهؤلاء المخصوصين فقيل وليتمتعوا ولم
يحسن في المذكورين في ايتي النحل والروم لتفصيل احوالهم تحاكل على ما

لحب وتناسب الاية السادسة منه قوله تعالى وله المثل الاعلى
وهو العزيز الحكيم وفي سورة الروم وله المثل الاعلى في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم للسائل ان يسال عما زيد في اية الروم
من قوله في السموات والارض مع ان ذلك مفهوم من الاية الاخرى
ومعلوم لا يمكن خلافه وان لم يقع به افصاح في اللفظ والجواب
ان ذلك انما جرى بحسب مقتضى المقصود في كل من الايتين اما اية
النحل فتقدمها قوله تعالى للذين لا يومنون بالاخرة مثل السوء ولا
بحسب المفصل ومقتضى المقابل بقوله تعالى ولله المثل الاعلى
فطابق الكلام وتناسب موازنة لفظا ومدلولا تقابلا ولم يقع قبلها
ذكر السماوات والارض فلم يكن ليناسب ذلك ذكرها بعد واما
اية الروم فتقدمها قوله عز وجل وله من في السموات والارض
كل له قانتون ثم قال بعد وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض ووضح التناسب
في هذا غير محتاج الى زيادة بيان الاية السابعة منها قوله تعالى
ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن
يوخرهم الى اجل مسمى وفي سورة الملائكة ولو يواخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يوخرهم الى اجل مسمى فيها
سوالان احدهما قوله في الاولى بظلمهم وفي الثانية بما كسبوا والثاني
قوله في الاولى عليها وفي الثانية على ظهرها والجواب ان اية النحل

تقدمها

تقدمها قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو
كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام
يدسه في التراب فاشارة الاية الى وادهم البنات وهو اعظم
الظلم واشنعه اذ لم يتقدم للموودة جريمة ولا شبهة يتعلق
بها قاتلها فناسب هذا ذكر الظلم فقال تعالى ولو يواخذ الله الناس
بظلمهم ما ترك عليها من دابة والضمير من عليها للارض يفهمه
سياق الكلام فناسب ما اشير اليه من عظم ظلمهم التصريح بذكر
الظلم في قوله بظلمهم ولما لم يتقدم في اية سورة الملائكة افصاح
بمثل الظلم بل تقدمها قوله فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا
في الارض ومكر السيء الى قوله فهل ينظرون الا سنة الاولين فاشير
الى اجتراحاتهم وسمى اكتسابهم نفورهم ومكرهم السيء فناسب
ذلك قوله بما كسبوا ومن هنا ما ترك على ظهرها والضمير للارض
فسره السياق الاول بقوله على ظهرها المناسب في لفظ تركيبه
قوله بما كسبوا كما ناسب قوله عليها في الاية الاولى قوله بظلمهم
في قلة حروفه فناسب الموازن والمناظر والمقابل فورد كله على ما
يجب الاية الثامنة منها قوله تعالى والله انزل من السماء ماء فاحيى
به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا
خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون

منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون واوحى ربك
الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها
شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون
فى هذا ثلاث سوالات الاول منها افراد اية فى ثلاث مواضع مع
الثانى منها لا يحصل فيه للاعتبار بذكر الانعام ولبنها وذكر ثمرات
النخيل والاعناب وما يتخذ منها فيسبق فى الظاهر ان الوجه
جمع ايات بخلاف الاية الاولى والثانيه وقد افردت فقيل ان فى ذلك
لايات لقوم يعقلون والسوال الثانى ما وجه ختام الاولى بقوله
لقوم يسمعون والثانيه بقوله لقوم يعقلون والثالثه بقوله لقوم
يتفكرون والسوال الثالث ورد الانعام مفردا فى قوله نسقيكم
مما فى بطونه وما الفرق بين هذا وبين الوارد فى قوله فى سورة
المومنين وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها **والجواب**
عن السوال الاول ان قوله ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون راجع الى قوله
ومن ثمرات النخيل والاعناب الاية وذلك اعتبار باتخاذ السكر
والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب وهو نوع واحد
وقد افرد فى قوله يتخذون منه فجا افراده على ذلك واما اخراج
اللبن من بين الفرث والدم فى الانعام فلما رجع اليه قوله ان فى
ذلك لاية اذ قد اغنى عن ذلك قوله وان لكم فى الانعام لعبرة قوله

لعبرة

لعبرة كاف عن اية ومغن ذلك الغنا فلا وجه للجمع بينهما وانما
يرجع اية لما ذكر من ثمرات النخيل والاعناب كما تبين فاندفع هذا
السوال جمله وذلك لان الاولى الاعتبار فيها بالما المنزل من السما
والاعتبار فى الثالثه بما تضمنت من امر النحل والايحا اليه بما ذكر
فالاعتبار فى كل منها انما وقع بنوع مفردها وقع من تفصيل تصرفه
الى حال او وصف مع وحدة النوع **والجواب** عن السوال الثانى
ان وجه مناسبة قوله ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون والله انزل
من السما ما فاحيى به الارض الاية بنا ذلك على المتصل به فى قوله
وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ثم قال
والله انزل من السما ما فاتصل ذكر انزال الكتاب بانزال الما وقد
سماه رحمة لرحمة عباده به وما السما رحمة وقد سماه بذلك وبالمنزل
من الكتاب تذكر اعتبار الرحمة بالما المنزل من السما ولا يحتاج فى
ذلك الى كبير تذكر بل التنبيه على انزاله بالوارد فى الكتاب مع
مشاهدة منافعه كاف فى الاعتبار فى احيا الارض بعد موتها
اوضح شهادة لاحيا الموتى واخراجهم لما وعدوا فالتحم الكلام
وتناسب النظم والمعنى وانما تحصل ثمرة الكتاب المنزل بسماعه
وكذلك نهى المعرضون عنه اتباعهم فقالوا لا تسمعوا لهذا القران
وقال فى قسم من رحم بسماعه من الجن انا سمعنا قرانا عجبا وانما
يستجيب سامعه اذا كان غير معرض فاذا لم يصغ الى اعتبار

ما اعقب به من انزال ما السما فلهذا الالتحام ما اعقب الاية المذكورة
بقوله ان في ذلك لاية لقوم يسمعون والله اعلم واما الاية الثانية
فلما وقع فيها ذكر السكر في قوله تتخذون منه سكرا وذلك حكم
لا يمكن الوصول الى معرفة سببه ولا يعلمه بطريق الحواس
ولا يوصل الى ذلك بجهة تفكر او اعتبار رعي بقوله لقوم يعقلون
اذ العقل يسلم امكان ما لا يعلم علمه مما ليس بمحال فيكون مما
ينفرد تعالى بعلمه ويعجز البشر عن فهمه واما الاية الثالثة فمحل
مجال الفكر ومتسع الاعتبار فناسبه لقوم يتفكرون والجواب
عن السوال الثالث ان قوله نسقيكم مما في بطونه فافراد الضمير
وتذكيره من اداه الجنس وقد حكى سيبويه رحمه الله ان من العرب
من يقول هو الانعام وعليه حمل اية الانعام في تذكير الضمير
وورد في سورة المومنين على التانيث والجمع لما بني على ذلك
من قوله نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون
وعليها وعلى الفلك تحملون فتوسب بضمير الانعام ما اتبع به من
الضماير في قوله فيها ومنها وعليها فورد بصورة التانيث والجمع
الاية التاسعة من سورة النحل قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم
ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيا ان الله عليم قدير
وفي سورة الحج ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من
يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا وترى الارض هامدة
للسائل

للسائل ان يسال عن زيادة من في قوله من بعد علم شيا وسقوطها
من اية النحل مع اتحاد المعنى هل ذلك لسبب حامل يقتضي
زيادتها هنا وسقوطها هنالك والجواب ان سبب ذلك والله
اعلم التناسب والسياق وتشاكل النظم ومراعاة اللفظ الا
تكررين في قوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير
مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل
العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا
عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج فقد تكررت
لفظة من في هذه الاي في ستة مواضع الخمسة منها قبل قوله من
بعد علم والواحدة بعدها وكلها محرزة معناها الذي جي بها من
اجله الا التي في قوله من بعد اذ النظم مع سقوطها ملتيم والمعنى تام
فاستوي وجودها فاستدعاها سياق اية الحج للتشاكل والتناسب
المرعي في النظم ولم يكن في اية النحل ما يستدعيها اذ لم يقع في شي
من كلم الاية فردت حيث اقتضاها سياق النظم ولم ترد حيث
لم يرد ما يقتضيها فورد كل على ما يجب ويناسب ولا يمكن العكس
والاولى في قوله من البعث لابتدا الغاية وما بعدها للتبعيض
الا التي في قوله من بعد فانها زايدة رعيا للفظ لا التافية وان كانت هنا

مزيدة **الاية العاشرة** من سورة النحل قوله تعالى افبالباطل يومنون
وبنعمة الله هم يكفرون وفي العنكبوت اولم يروا انا جعلنا
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يومنون
وبنعمة الله يكفرون **للسايل** ان يسال عن ثبوت الضمير المنفصل
المبتدا في قولهم هم يكفرون في اية النحل وسقوطه من اية العنكبوت
مع ان المعنى متحد والعبارة متكررة اعني قوله افبالباطل يومنون
الاية فما وجه ذلك **والجواب** والله اعلم ان الوارد في اية النحل
راجع الى من قدم ذكرهم في قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا
مما رزقناهم وفي قوله ويجعلون لله البنات الى قوله للذين
لا يومنون وقوله ويجعلون لله ما يكرهون فقوله افبالباطل
يومنون وبنعمة الله هم يكفرون راجع الى المذكورين في هذه الاية
وليس راجعا الى ما اتصل به من قوله والله جعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة فلما كان قوله افبالباطل يومنون راجعا الى ما
تباعد اتى بضميرهم المشعر بالتعدد وهو ضمير الغايبين فقال
هم وارتفع بالاتيان به توهم عودة ضمير يومنون الى المفعول لهم
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة **فان** قيل لو قيل يومنون
ويكفرون على الخطاب لكان للمخاطبين بقوله اما على وروده
على طريقة الاخبار عن الغايبين فلا يتوهم ما ذكرت فلا ضرورة
تدعوهم الى ضميرهم **قلت** هذا لو لم يكن للالتفات من فصيح الكلام
وهو

وهو الرجوع من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى الخطاب
والى المتكلم كقوله: تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد *
وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العاير الارمد * وذلك من نبا جاءني *
وخبرته عن ابي الاسود * فتامل كيف التفت في قوله وبات
وباتت له ليلة بعد الخطاب بقوله تطاول ليلك ولم ترقد فرجع
من الخطاب الى الغيبة ثم قال وذلك من نبا جاءني فرجع الى
التكلم وانما خاطب بذلك نفسه وفي الكتاب العزيز هو الذي
يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم فقوله
وجرين بهم رجوع من الخطاب الى الغيبة وفي الكتاب العزيز
من ذلك كثير فاذا تقرر ان الالتفات من فصيح كلامهم فما يمنع من
احتمال ان يفهم قوله افبالباطل يومنون على انه راجع الى المخاطبين
بقوله وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة على طريقة الالتفات
رجوعا من الخطاب الى الغيبة فجا قوله وبنعمة الله هم يكفرون
بضمير الغايبين رافعا لهذا الايهام ومخلصا المعنى المقصود
بالكلام من رجوعه الى من قدم ذكره فهذا موجب هذا الضمير
المبتدا هنا اما قوله في سورة العنكبوت اولم ير الذين كفروا انا
جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يومنون
وبنعمة الله يكفرون فكانهم لا يرجع شي منه الى متقدم قبله متباعد
منه بل هو مستقل بنفسه والمعنيون بقوله اولم يروا هم المرادون

بقوله افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون وليست هذه الاية
مثل اية النحل فيما تقدم يحتاج فيها الى ما احتيج هنا فكل من الايتين
وارد على ما يجب ويناسب ولا يمكن عكس الوارد على ما تمهد والله
اعلم **الاية الحادية عشرة** منها ع قوله تعالى وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وفي سورة الملك قوله هو
الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما
تشكرون فورد في هاتين الايتين معنى شكرهم على المعروف
من هذه العبارة او تعليله بمقتضى اللفظ وورد في اية سورة
النحل ترجي شكرهم مع اتحاد المقصود من ابداء عظيم النعمه
بالاسماع والابصار **وللسائل** ان يسال عن الفرق **والجواب**
والله اعلم ان اية النحل مبتداة بقوله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيا فناسب هذا لكونه وصف حال قبل تعلق
التكليف وورد الترجي لا يكون منهم الشكر لدلالة ابائهم او حال لم
يتعلق بها الفعول امر او نهي او اعراض عن ذلك ولا يتعلق بهم
التكليف فناسب هذا ذكر الترجي اما الايتان بعد فالاخبار
فيهما عن احوال من استوفى سن التكليف وعقل الخطاب
وفهمها وتكرر عليه التذكار فلم يجد عليه شيا الا ترى قبل اية
سورة المؤمنين ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم
الى ما اتصل بهذا فقد صدر من هولا التعامي بخلاف الوارد في

اية

اية النحل فناسب ذلك نفي شكرهم واماتة للملك المخاطب من قبل
له بقوله تعالى توبيخا امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون
الرحمن الى قوله قل هو الذي انشاكم والاية مشيرة الى موالاة
انعامه سبحانه على عباده وادرار ارزاقهم الى ما جرى مع هذا
فناسب ذلك حين لم يجد عليهم مستمر احسانه وموالي انعامه
ان نفى تعالى شكرهم فقد وضح التناسب في هذه الاي وورد
كل واحدة منهما على ما يجب وان عكس الوارد غير مناسب
الاية الثانية عشرة ع قوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات
في جو السما ما يمسكهن الا الله وفي سورة الملك اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن
فورد في الاولى ما يمسكهن الا الله وفي الثانية الا الرحمن
ومقصود الايتين من التنبيه على الاعتبار بعظيم قدرته
تعالى وعلى حكمته في تسخير الطير في جو السما وتسخير
الهوا وتهيئته بتقدير الحكيم مقصود واحد **وللسائل** ان
يسال عن ذلك **والجواب** والله اعلم ان اية سورة الملك
لما انطوت على حالتين للطائر من صفه جناحيه وقبضهما
وهما حالتان يستريح اليهما الطائر فتارة يصف جناحيه
كان لا حركة به وتارة يقبضهما الى جنبيه حتى يلتزقا بهما
ثم يبسطهما ويقبضهما موالاة بسرعة كما يفعل السابح فناسب

هذا الانعام منه تعالى وورود اسمه الرحمن اما اية النحل فلم يرد
فيها ذكر هذه الاستراحة فيحل هنا ما يسكن اليه الا الله وناسب
ذلك وامتنع عكس الوارد لما تبين والله اعلم **الاية الثالثة
عشرة** قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن
للذين كفروا ولا هم يستعتبون وفي اية سادسة من بعد
هذه ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا
بك على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ففي الاولى
من كل امة وفي الثانية في كل امة وفي الاولى شهيدا ثم لا يؤذن
للذين كفروا وفي الثانية شهيدا من انفسهم وجئنا بك شهيدا
على هؤلاء **فللسائل** ان يسال عن موجب الاختلاف في الايتين
واعلم ان الاية الاولى متفق على المراد بها الانبياء عليهم السلام
مع اممهم لكن اي شاهد الثانية لاختلافهم فيها فاكثر المفسرين
لم يفرق بينها وبين الاولى فيما قصد بها وان نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم شاهد على امته كشهادة الرسل على اممهم ثم ان هذه
تضمنت زائدا الى ذلك حسبما نبينه واشار بعضهم الى الفرق بين
الايتين من غير تحرير ولا ركون الى توجيه يعتمد **فاقول**
واسال الله توفيقه ان هذه الاية الثانية المراد بها تخصيص
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالافصاح فيها مع ما شاركت فيه
الاولى مما منح من الكتاب العزيز وعظيم النعمة به عليه وعلى امته

فاستوقف

فاستوقف قوله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا وكرر ليبني
عليه ما بعد من قوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء الاية فهو من قبيل قوله تعالى وقال الملا
الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتقدم هذا قوله تعالى
قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب فكرر
قال الملا ليبني عليه ما اتصل به ونحو هذا قوله تعالى ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وقد تقدم امره عليه
السلام بهذا الا انه اعيد ليبني عليه ما بعد من قوله تعالى وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يفهم وحيث ما كنتم من البلاد او
المواضع التي خرجتم اليها ولم تكن الاية المتقدمة لتعطي ذلك
الا باعتماد من غير تحرير فلم يكن بد من اعادة ما ذكر لتحرير المعنى
المراد وقد مر بيان ذلك في سورة البقرة عند ذكر الاية المشار
اليها ومن نحو هذا في الاخبار قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون فكرر انكم ليبني عليه بالاعادة
والاخراج لما بعد من قوله في اول الاية انكم وهو مرتكب بليغ متكرر
في الكتاب العزيز وكذا الوارد في هذه الاية من قوله ويوم
نبعث تكرر لتعظيم ما بني عليه وقصد الاخبار به والبشارة
من قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى
ورحمة وبشرى للمسلمين فكم بين هذا الانعام العظيم

ومن الحاصل طي الآية المتقدمة من تخويف الوعيد ومما
اعقب به التعريف فيها بالشهادة من قوله تعالى ثم لا يؤذن
للذين كفروا ولا هم يستعتبون الى ما يلي هذا من الآيات بما
اعقبتا به وانبط بكل واحدة منها معرفتان بالحال في الطرفين
الاولى يعقب فيها التخويف والتهديد باشد الوعيد والثانية
قد اعقب تخويف تهديدها بترجي السلامة من مهول وعيدها
بما اتبعت به مما يفهم البشارة واللطف والانعام بقوله تعالى
وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين بعد ذكر نبينا عليه السلام المراد بهذا الخطاب
التعريف بشهادته لامته مفصحا بالاشارة اليه تنويها بتعظيمه
وبالانعام بما اولاه ومنح امته من الرحمة بالكتاب المهيمن
على ما سواه من الكتب المبين لكل شيء وللهدى والرحمة
والبشرى اوزعنا الله شكر نعمه وجعلنا من امة هذا النبي الكريم
عنه ولما كان قوله تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء حاصلا
منه تعيينه عليه السلام وتحقق كونه الشهيد على امته
وكونه من انفسها ورد ما قبله محرزا منه ذلك الغرض من تحقق
ذلك الحكم من ان كل نبي قبله انما كان من انفس القوم المرسل
اليهم ذلك الرسول لا من غيرهم وهو الشهيد عليهم وتحقق ذلك
في الثانية بما تحرزه حرف الوعا الذي يتولى ونعضده من استحكام

الاخبار

الاخبار بكون الشهيد من نفس الامة لان قوله من كل امة
يحتمل ان يراد به ان يكون منهم في مذهب او جامع بينهم وبينه
من غير ان يكون من انفسهم اما قوله في كل امة فالنص في
الاتصال واللزوم لا سيما بما اتبع به من قوله من انفسهم
فطريق من المتقابلين من قوله ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم وقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء فقد وضح
بما تسبب هذه الاية بالاية المتقدمة وبانت جلالة هذا النظم
العجيب وان ما توهم بتكراره ليس بتكرار اذ كان مقصود ما
اعيد مما تقدم ذكره التمهيد لما بني عليه فيحصل من هذه الاية
العظيمة جليل الاعتبار بهذا النبي الكريم وتانيسه كالاية
في قوله تانيسا للامة واعظاما لعظيم مكانته صلى الله عليه وسلم
لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم الى اخر الاية فهذا
والله اعلم فصل ما بين الايتين وقد بان فيه التناسب وجلالة
النظم وحسن الالتيام والله اعلم بما اراد **فصل** لم يتعرض
لهذه الاية اكثر المفسرين ومن تعرض لها الحقها بالاولى وقد
وقفت في التفسير الكبير للامام ابي الفضل الخطيب وقد
تعرض لهذه الاية فاورد ما اخذ الامامية القائلين بان كل
عصر لا يخلو من امام معصوم وذكر تخريج الاية عندهم على ما ثم
محله واتبع بان قال فثبت انه لا بد في كل عصر من اقوام يقوم

عصر

الحجة بقولهم ثم حكى عن ابي بكر الاصم ان المراد بالشهيد هو انه تعالى
ينطق عشرة من اجزاء الانسان تشهد عليه وهي الاذنان
والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان قال والدليل
عليه انه قال في صفة الشهداء انه من انفسهم وهذه الاعضاء
لا شك انها من انفسهم وذكر ان القاضي اجاب عن هذا من
وجوه **الاول** انه تعالى قال شهيدا على الامة فيجب ان يكون
غيرهم **والثاني** انه قال من كل امة فوجب ان يكون ذلك
الشهيد من الامة واحاد الاعضاء لا يصح وصفها بانها من الامة
هذا حاصل ما وقع في هذا التفسير ولم يقع فيه تعرض لشيء من
الفاظ الاية وتنزيل هذا الماخذ على الاية واخذها من ابعد شيء
وقد ذكرت في ذلك منزلا على الاية ما اراه الاولى في المراد
بها والله اعلم **واما** قول الامامية انه لا بد في كل عصر عصر
وقرن قرن من امام معصوم يشهد عليها في القيامة فباطل
وقد كفانا وجه فساده من تقدم وقول الاصم بعيد لما قاله القاضي
واما ما اعتمده ابو الفضل فبعيد وفيه ايضا ما يشبه الصغو
الى قول الامامية وقد ورد في الصحيح ان الرسل هم الذين
يشهدون على اممهم وعلى ذلك حمل المفسرون قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ولا
فرق بين هذه الاي والله اعلم **الاية الرابعة عشرة** وهي من

تمام

تمام ما قبلها **غ** قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى
ورحمة وبشرى للمسلمين فورد في الاولى زيادة ورحمة
مع اتحاد المقصود وفيما بعد من هذه السورة قل نزله روح
القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى
للمسلمين فورد في الاولى زيادة ورحمة مع اتحاد المقصود
في الموضعين من وصف الكتاب وهذا الظاهر الوارد في الموضعين
فيسال عن ذلك **والجواب** ان الاولى مقصود بها البشارة والانعام
لا يشوبه غيره وقد بين ذلك واما الثانية فوارد مورد
الزجر والتعنيف لمن لم يؤمن مع البشارة للمؤمنين الا ترى
ما تقدمها من قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر فجوبوا عن هذا بقوله قل نزله روح القدس
من ربك بالحق اي قل لهم يا محمد هذا الكلام ورد بعد ما ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر فاكتنف الاية المذكورة ما فهم
التعنيف لهم والوعيد على سوء مرتكبهم فوضح ان المقصود
لم يتمحض في الاثنين كما يتوهم البادي من ظاهرها وان زيادة قوله
ورحمة في الاولى مناسب لمقصودها من البشارة والانعام المجرد
عن اتصال ما يفهم تعنيفا او وعدا او لم يكن ورود ذلك ليناسب
الوارد في الثانية فورد كل على ما يجب والله اعلم **الاية الخامسة
عشرة** قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين

الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال بعد من
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبه
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وورد فى اية الزمر
ليكفر الله عنهم اسوا الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى
كانوا يعملون فورد هنا الذى مكان ما فى الايتين من سورة
النحل **فللسائل** ان يسال عن ذلك **والجواب** عنه والله اعلم
ان اية النحل الاولى لما افتتحت بما الموصوله فى قوله تعالى ما
عندكم ينفد والمراد بها الاطلاق والعموم كانت فى هذا الموضع
اولى من لفظ الذي وان اشتركا فى الموصولية الا ان الذى
لا تفارق الموصولية فهى كانها اعرف فى التعريف من ما
لخروج ما عن الموصولية من حيث انها تكون حال اسميتها
شرطا واستفهاما ولا تفارقها العموم والاطلاق فى هذين الموضعين
وما للابهام اذا كانت صفة او نكرة موصوفه او تعجبا او بالجملة
فالاطلاق املك بها وهو هنا مقصود واما الذى فلا تفارق
الموصولية والعهدية فهى اعلق من الجنسيه فما فى الايه احرز
للمقصود منها وردت فيها وتكررت فى قوله وما عند الله
باق ومعنى الحصر والتعميم فيهما واحد والكلام مراعى فيه
معناه وكان قد قيل كل ما عندكم ينفد وكل ما عند الله باق
ولفظ ما اجرى مع هذا من الذى لما تحرر من معنى الاطلاق

بيان
اغلب

ولما تقرر من التزامها العموم فى الشرط والاستفهام وانها
لا تمنع الاشتراك حال ابهامها فيما عدى الموضعين ومن اهل
النظر من يطلق العموم بمعنى منع الشركة والذى لا تقول
بهذا لا يمكنه انكار الابهام الاطلاقى وكيف ما قيل فان معنى
التوسعة لا تفارقها وليست الذى كذلك فكانت ما املك بالمعنى
المقصود فى الموضع ثم ناسبها وجرى معها ورودها فى قوله
باحسن ما كانوا يعملون ولم يكن الذى ليناسب فجا على ما يجب
وقوله تعالى فى الاية الثانية من عمل صالحا من ذكر او انثى الاية
جارية مجرى الاية التى قبلها ومن اقرب لها من الذى لما بينهما
من الاشتراك فى المعانى التى لا تشاركهما فيها الذى الا ترى
ان الذى لا تكون استفهاما البته ولا نكره ولا موصوفه ولا
مبهمة اذ لا تفارق التعريف **فان قلت** قد يدخلها معنى الشرط
فى نحو قولك الذى ياتينى فله درهم وهو المسوغ هنا لدخول الفا
فى خبرها فى مثل هذا المثال فيعطيها ادراك العموم **قلت** ذلك
متوقف على شروط معلومة ولو لم يتوقف ذلك على شرط
لبقى اشتراك فيما لا يدخله فيه الذى فمن على كل حال احرى
مع ما يناسبها وما يجرى معها من قوله قصد الاستغراق من
قوله من ذكر او انثى وهذا المنحى فى هذه الاية يعادل تكرار ما فى الايه
قبل هذه كذلك بهذا النظم من غير فرق فلم يكن ليناسب ذلك

ورود الذي مكان ما في قوله باحسن ما كانوا يعملون فمناسب
هذا بكله اوضح شي ولا يمكن في هاتين الايتين ورود لفظ الذي
مكان ما لمن لاحظ المراعي في علم نظم الكتاب العزيز واعتبر
التناسب الذي يعجز البشر عن محافظته رعيه ولا يمكن
الوفا به بوجه الا في كتاب الله سبحانه واما اية الزمر فواردة
في معنى الخصوص المقصود به طايفة بعينها الا ترى ما قبلها
من قوله تعالى والذي جا بالصدق وصدق به والمراد بالذي جا
بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالذي صدق به
سعد من اصحابه ممن سبق وحسن تصديقه كابي بكر رضي
الله عنه ومن قارب حاله وجرى في نحو مضماره وهاولا مخصوصون
لا يشاركهم في حالهم غيرهم ومنهم ورد ما بعد واليهم يرجع
الضماير من قوله هم المتقون وقوله لهم ما يشاون عند ربهم
وقوله ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم فلم يكن يصلح هنا
غير الاداة العهدية فجا بالذي في الموضعين من قوله ليكفر
الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون ولم يكن ما يناسب هذا لما تقدم فجا كل على ما يجب ويناسب
ولا يمكن فيه عكس الوارد في الضربين على ما تقدم والله
سبحانه اعلم بما اراد سورة بني اسرايل الاية الاولى منها
قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا
نفورا

نفورا او ما بعد ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل
مثل فابى اكثر الناس الا كفورا وفي سورة الكهف ولقد صرفنا
في هذا القران من كل مثل وكان الانسان اكثر شي جدلا ففي
الاولى ولقد صرفنا في هذا وفي الثانية للناس في هذا القران وفي
الثالثة باخير الناس يسال عن ذلك والجواب عنه والله اعلم
ان الاولى وقع قبلها افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملايكة
اناثا انكم لتقولون قولا عظيما وهذا خطاب مراد به كبار العرب
فلم يذكر فيه لفظ الناس من العام لهم ولغيرهم اذ الخطاب
خاص بهم واما الاية الثانية فقبلها قل لين اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ثم قال تعالى ولقد صرفنا
للناس فخص من الفريقين وعين ممن ذكر الناس اعتنا
بهم اعني بالجنس الانساني ليظهر شرفهم على الجن وقدم الناس
لما يعطيه تقدم المجرور وقد مر هذا وايضا فلتقل التكرر فيما
تقارب ولو قيل ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل
فابى اكثر الا كفورا الجا لفظ الناس كانه قد اعيد متصلا والعرب
تستثقل مثل هذا فقدم المجرور ليستحكم الفصل فلا تستثقل
اما اية الكهف فلم يتكرر فيها لفظ الناس فيقع استثقال فقدم
قوله في هذا القران لان تقديمه لهم اذ هو ابلغ في تنبيههم على
الاعتبار وقد مر قول سيبويه في مثل هذا واما اية الكهف فلم يقع

قبلها ذكر الثقلين معا فيحتاج الى ذكر تقديم الناس كما احتيج في
اية الاسرى الا ترى ان قبل اية الكهف ويوم يقول نادوا شركاي
الذين زعمتم الاية فلم يرد فيها ما في الاخرى وكان الاهم ذكر
القران الشافي ليعتبر ما صرف فيه من الامثال فقيل ولقد صرفنا
في هذا القران للناس من كل مثل ولكن الخطاب عام في الايتين
لم يكن بد من ذكر الناس بخلاف الاية الاولى من سورة الاسرى
اذ خطابها خاص بالقايلين من كفار العرب ان الملايكة بنات
الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا افتقر ورد كل من هذه الايات على
ما يناسب ويلايم ما اتصل به واما اختتام الاولى وما يزيدهم الا
نفورا فالضمير للمذكورين فمن خص بمقصود الخطاب المكنى
عليهم بقوله ليذكروا واما اعقاب الثانية بقوله فابى اكثر الناس
الا كفورا فليعطي اعادة الظاهر من التعنيف والتقريع ما لا يعطيه
المضمر ولان اول الخطاب وصدر الاية لما قدم فيه ذكر الناس
لشرف الجنس الانساني على الجن ثم لم يكن ممن لم يومن منه الا
العناد قيل فابى اكثر الناس ليعطي بفحواه ان كان قد قيل فابى
اكثر الناس على بشريتهم وتفضيلنا اياهم الا الكفر فاحرز الظاهر
ما لم يكن ليحرزه اضمارهم فتامل ذلك واما قوله عقب اية الكهف
وكان الانسان اكثر شي جدلا فمن المعلوم جدال كل كافر ومعاند
عن دينه ومذهبه وقال تعالى يجادلون في الحق بعد ما تبين وقال

تعالى

تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون اذا
كان الجدال من صفة كل مخالف لمذهب او معتقد لم يبق السوال
هنا الا عن وجه تخصيص هذه الاية بوصف الانسان هنا بالجدال
والجواب انه وصف هنا بذلك لتكون ختام هذه الاية تمهيدا
لما ياتي بعده من قوله تعالى ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا
به الحق فلما بني هذا على الاية واتصل الكلام والتحم نوسب
بينهما وليس في الايتين قبل ولا فيما تقدم كل واحدة منهما
او في ما بني عليهما ما يستدعي ذكر الجدال ولا الوصف به فلذلك
اعقبت كل واحدة منهما بما تقدم فاعقبت الاولى بقوله تعالى
وما يزيدهم الا نفورا لما تبين من استدعا معنى الاية ذلك واعقبت
الثانية بقوله فابى اكثر الناس الا كفورا لما تبين ايضا عند ذكر
ذلك واعقبت هذه الاخرى بما يناسب ما ورد عليه بعده وجا
كل على ما يجب **الاية الثانية** قوله جل وتعالى قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض للسايل ان يسال عن الوجه في ورود اسمه سبحانه
مضمرا في قوله من دونه في سورة الاسرى ومظهرا في قوله من
دون الله في السورة الاخرى وهل كان يجوز العكس **والجواب**
ان اية سبا تقدم قبلها قوله تعالى مخبرا عن الكافرين ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه ثم قال بعد اية من تمام الاية التي قبلها

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه يجي بالاسم الظاهر ليكون ابعد
عن ايهام عوده الضمير ورجوعه الى المسيح لهم في الاية المتقدمة
وانما المراد قل ادعوا كل من اتبعتم بعبادته او صغوا الى ما يريده
من اضلالكم ولا شك ان ابليس راس المضلين واولى من
امروا بتحقير الهم وقطع ابهم بدعايته في قوله قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله فورد التحفظ بايراد الظاهر مما كان الضمير
يوهمه وجاءت الاية على ما يجب اما اية بني اسرائيل فان قبلها
قوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم ثم قال وربك
اعلم بمن في السموات والارض الاية ثم قال قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه يجي بالضمير مناسبة ولم يكن ليناسب مجي الظاهر
هنا فجاء كل على ما يجب ويناسب والله اعلم فان قيل فقد ورد
قبل قوله ربكم اعلم بكم قوله ان الشيطان ينزغ بينهم كما ورد
قبل اية سبا فلم خصت اية سبا بعود الاسم ظاهرا دون اية بني
اسرائيل قلت ورد ذكره في بني اسرائيل محذرا منه موصوفا بنزغه
وعداوته مع ان الاية خطاب بامر المومنين بقوله وقل لعبادي
يقولوا التي هي احسن والاضافة في قوله وقل لعبادي اضافة تخصيص
والاسرار بما هو اولى وليس بواجب ولا المخاطب بهذا الا المومنون
ثم انها اتبعت بما يلائم الاية المتكلم فيها اجل ملايمة واما ورد
ذكر ابليس في سورة سبا فمتصل بالاية وابليس فيها موصوف

بانه

بانه اتبع وانه صدق ظنه على المذكورين والاية اخبار عن الكفار
والكلام كله اعلام بحالهم الى قوله قل الذين زعمتم فهذا الاعراض
عن لازم وورد كل من الايتين على اعلى تناسب واجل ملايمة
ولو قدر عكس الوارد لما صح على الجار المطرد في نظم الكتاب العزيز
والله سبحانه اعلم بما اراد **الاية الثالثة** قوله تعالى افامنتم ان
يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم
وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا
من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ثم ورد
بعد هذا بايات اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم
لا تجد لك علينا وكيلا **للسايل** ان يسال عن وجه ختم الاية
الاولى بقوله ثم لا تجدوا لكم وكيلا والثانية بقوله ثم لا تجدوا لكم
علينا به تبيعا والثالثة بقوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا والرابعة
بقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا **والجواب** ان معنى كل اية منها
استدعى تعقيبها بما به اعقبت فاما الاولى فلما تقدمها قوله
تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه اي
اضمحل تعلقكم بشي من اندادكم ومعبوداتكم سواه وبطل
ذلك ولجاتم اليه سبحانه كما قال في اية اخرى ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجارون فلما دعوتموه ونجاكم الى البر اعرضتم ورجعتم الى
ما كنتم قبل من شرككم وظننتم ان قد امنتم عذابه افامنتم ان يخسف

بكم اى يغلب بكم جانب البر وهو الذي حملكم واد لكم عند انفصالكم
من البحر ونجاتكم منه وذلك جانب من البر اذ ليس البر كله هو
المستقل بهم اذ ذاك واذا هم في قطعه من البر وجانب من الارض
والارض كلها لله سبحانه افامنتم اخذه سبحانه لكم بالخسف او
بارسال حاصب من الريح وهي الريح الشديدة ترميكم بالحصا حتى يهلككم
رجما ثم لا تجدوا لكم اذ ذاك من يتوكل بصرف ذلك عنكم ودفعه عن
اهلاككم متداركهم المتوكل لكم بدفع ذلك وصرفه عنكم يتحملوت
في ضرب الناجين بعد مشاهدة الهلك هل تجدون براهم انقذ
دافع قبل ثم قال ام امنتم ان يعيدكم فيه اى في البحر لحاجتكم اذ لا
تهيئه القدر لكم للحاجة لركوبه كاركبتموه قبل فيرسل عليكم
قاصفا من الريح وهي التي تكسر ما مرت به وتفرق اجزاءه
فالمراد فيكسر الفلك بكم فيغرقكم فلما كان القدر يعلقهم
به هنا بعد الفوت والتلف بالاغراق ناسب ذلك ولابه تسمية
هذا القدر الطالب تبيعا لانه يتبع بعد الفوت كما يسمى
طلب ذمة من مات تبيعا واشاعا ومحبه ما شاع بالمعروف
والمانع من مجي بعد اولما كان المقدر في الاية الاولى دافعا قبل | بيان بعد
الفوت ولما دون الاستيصال بانسبه للعبارة بوكيلا لانه
الذي يدفع ويمنع الوصول او الاستيصال مجاكل على ما يجب
ولم يكن ليلايم ختام هذه الاية ختام تلك ولا ختام تلك ما ختمت به
هذه

هذه واما قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
والمراد بضعف عذاب الاخرة وعذاب القبر والضعف المكثير
عم هذه الاية بقوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا ابين شي لان
الامتحان عندنا في الشاهد واذاقة العذاب انما يكون من ذي
استعلا فيلجا اليه الى الناصر ان وجد واما قوله في الاية بعد هذا
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فان قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك اي لنرفعن القران ولنذهبن به من الصدور
ثم لا تجد لك وكيلا يمنعنا عن ذلك ولا من يقوم بدفعنا عنه وليس
هنا ما يستدعى الانتصار بكل من هاتين الايتين على ما يجب
ويناسب ويلايم ختام هذه الاية ختام ما قبلها ولا ما ختمت به
الاية قبلها هذه وذلك واضح بحول الله تعالى الاية الرابعة غ
قوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا
ربهم الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وفي سورة الكهف
وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم
الا ان تاتيهم سنة الاولين الاية فورد في الثانية ويستغفروا
ربهم ولم يرد في الاولى فيسال عن ذلك والجواب والله اعلم
ان الاية الاولى تقدمها قوله تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا
القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا وقوله تعالى مخبرا
عن عتاة كفار قريش وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض

تنبوءا الى الشامتة من مقترحاتهم وهي تعنيهم بنزول كتاب يقرؤه
فبالغوا في شنيع اقتراحهم وبالغوا في مطالبتهم الفصيحة باليأس
من فلاحهم فحصل من جملة حالهم بعدهم عن الانابة الى الايمان
فلم يكن ذكر الاستغفار ليناسب هنا لانه انما يكون ممن بلغ الكفر
من المعاصي هذا الغالب في وروده اما حيث تفصح الكفر
فليس موضع ورود الاستغفار ولما كان المتقدم قبل اية الكهف
لا يبلغ مبلغ الاية المتقدمة في الافصاح بتمردهم وعتوهم ناسبه
ذكر الاستغفار الا ترى ان قوله تعالى قبل اية الكهف ولقد صرفنا
للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا
وليس قوله فيها وكان الانسان اكثر شيء جدلا في قوة قوله في
اية الاسرى فابى اكثر الناس الا كفورا لان الجدال لا يلزم
عنه ان يكون مرتكبه كافرا وانما مظنته الجدال التناظر في الطرفين
والاحتجاج لتقابل المذهبين الى ما يرجع الى هذا وقد قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي احسن والمراد
بذلك ملاطفتهم بالاحتجاج عليهم والصبر والتحمل لما عسى
ان يكون منهم فلما كان الوارد في اية الكهف من وصف
حالهم لا يبلغ الوارد في سورة الاسرى ورد فيه ذكر الاستغفار
موازنة للحس ما بني عليه من الاخبار بكثرة حالهم اذ ليس كالوارد
في الاية الاخرى من الافصاح بكفرهم وسوء حالهم ولم يناسب

اية

اية سورة الاسرى ان يرد فيها ذكر الاستغفار فان كان حال
المحكي عنهم في الاثنين غير مفارق للكفر ولا نازح عنه حال
الاخبار وقد تقدم هذا في اول اية من هذه السورة ولكن يناسب
النظم في الشدة واللين ما يرعى معتمدا كل على ما يجب والله سبحانه
اعلم بما اراد **الاية الخامسة ع** قوله تعالى ذلك جزاؤهم بانهم
كفروا باياتنا وفي الكهف ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا
اياتي ورسلي هزوا ففي هذه الاية جهنم ولم يرد في الاولى
فيسال عن ذلك **والجواب** والله اعلم ان قوله في الاولى ذلك
جزاؤهم الى ما اتصل به من قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما ماواهم جهنم ثم قال ذلك جزاؤهم بالاشارة
الى ضروب عقابهم وماواهم واسم الاشارة متصل بما اشير اليه
لم يفصل بينهما الا بوصف جهنم التي هي ماواهم فجا على ما يجب
اما قوله في الثانية ذلك جزاؤهم بالاشارة الى جهنم المتقدم ذكرها
في قوله وعرضنا جهنم يومئذ وقوله انا اعتدنا جهنم لما بعد ما بين
الاشارة والمشار اليه بما فصل به بينهما من قوله قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا وقوله اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه
الاثنين فبعد اسم ما اشير به اليه اعيد مظهرا فقال ذلك
جزاؤهم جهنم والله اعلم **سورة الكهف الاية الاولى** منها
قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة

ساد سهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
يسال عن اختصاص الثامنة بالواو ولم ترد الجملة من قوله تعالى
وثامنهم كلبهم صفة لنكرة قبلها كما تقدم قبل ولم تعد الى العطف
والظهر جوابه عن هذا والله اعلم ان هذا الاخبار العلي معرف
باختلاف اليهود في فتية الكهف وانهم او اكثرهم لم يجمعوا
عددهم فحكى سبحانه قولهم والحق باعاء واشارة بقرير الصحيح من
قولهم مع انهم اعني اكثرهم على غير علم منهم بذلك ولا امر محسن
فاتى بالجملة الاولى وهي قوله سيقولون ثلاثة اعني المحكية بهذا
القول اذ التقدير هم ثلاثة ثم سيقت من قوله رابعهم كلبهم صفة
والجملة تقع صفة للنكرة وحالا من المعرفة ثم قال ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم فسادسهم كلبهم صفة النكرة قبلها كالمتقدمة
ثم اتبع هذا الكلام من اختلافهم بقوله رجما بالغيب ورجما منتصبا
على الحال راجع معناه الى المحكي قبله من اختلافهم اي رميا بالكلام
من غير علم بحقيقته ثم قال سبحانه ويقولون سبعة وخرج هذا
المحكي من قولهم سبعة عن الاتصاف بالحاصل قبله من الوصف
بالحالية وهو قوله رجما بالغيب فافهم والله اعلم ان هذا ليس من
نمط ما تقدم فكان قد قيل ويقولون سبعة هم كذلك وثامنهم كلبهم
هذا احسن ما تخرج عليه الاية وعلى تقدير كونهم سبعة وثامنهم
كلبهم وان هذا ليس داخلا تحت ما تقدم من ان رجما بالغيب وان
الوصف

الوصف بتلك الحال انما يرجع الى ما قبله من قولهم ثلاثة رابعهم
كلبهم وخمسة سادسهم كلبهم جرى كلام ابن عباس رضي الله
عنهما ومن تقدم من المفسرين **قلت** حكى سيبويه ان العرب
تستعمل الحذف كثيرا في كلامها ومنه قولهم فيما حكى سيبويه رحمه
الله اللهم ضبعا وذيبا وحكى عن ابي الخطاب اذا كان العامل
يدعو بذلك على غنم رجل قال واذا سالتهم ما يعنون قالوا اللهم
اجمع فيها ضبعا وذيبا وحكى عن ابي الخطاب انه سمع بعض
العرب وقيل له لم افسدتم مكانكم فقال الصبيان بابي كانه حذر
ان يلام فقال لم الصبيان وقيل لبعض العرب اما كان كذا وكذا
وجه فقال بلى وجاذا اي اعرف بها وجاذا وهو المكان الممسك
للماء ويحذفون الجملة الاسمية براسها اذا دل الدليل عليها
كما يفعلون في الفعلية قال تعالى واللائي يئسن من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ثم قال واللائي لم يحضن اي
فعدتهن ثلاثة والحذف في كلامهم كثير اذا كان في الكلام ما يدل
على المحذوف فظهر لي والله اعلم ان الواو في قوله وثامنهم كلبهم
انما عطف بها على جملة اسمية محذوفة كما قدمنا ومن المفسرين
من جعل هذه الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة
كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني زيد
ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلي

وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لحوق
الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها امر ثابت مستقر
وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم
كلبهم قالوه عن ثبات علم واطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن
كما فعل غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين
قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا
قليل وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو
انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت
انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل
اي من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب
خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم ذلك الا في
قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين انتهى ما قاله الزمخشري
وحكاه وقد حصل منه ان قليلا من اهل الكتاب قد كان يعلم
عددهم وهذا الاثاني الماخذ المتقدم وحكى المفسرون ان ابن عباس
رضي الله عنه كان يقول في قوله ما يعلمهم الا قليل انا من ذلك
القليل وهذا القدر كاف والله اعلم **الاية الثانية** من سورة
الكهف قوله تعالى في قصة صاحب الجنة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا وفي سورة حم السجدة ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى **للسائل** ان يسال عن اختصاص
اية

اية الكهف بقوله ولئن رددت واختصاص اية السجدة بقوله
ولئن رجعت مع ان الظاهر اتحاد المقصود في الايتين **والجواب**
عن ذلك والله اعلم ان الايتين وان اتحدتا في الغاية الحاصل
منهما من وصف حال الكافر المنكر للبعث الوارد في كل واحدة
منهما في قوله وما اظن الساعة قائمة فان اية الكهف منهما
اقوى تعريفا ببعد الكافر المضروب به المثل عن حال الاناب
واما اية السجدة فصالحة لاتصاف الكافر والمومن بالحال ولهذا
قال ابن عطية المنحة من قوله لا يسام الانسان من دعا الخير
من حيث ان هذا وصف يعم المومن والكافر ولهذا قال ابن عطية
بعد ان ذكر المراد بها الوليد ابن المغيرة وعتبة ابن ربيعة
وان اكثرها يعطي ان الاية نزلت في كفار ثم قال فان يتضمن
اولها خلقا ربما شارك فيه بعض المومنين تحصل من كلامه
ان هذا التعريف بحال المضروب به المثل في هذه الاية ارجا
من حال المضروب به المثل في اية الكهف لا يكاد شيء من ابها
يجري في وصف المومن الا ترى ابتدا مطلع وصف المذكور
فيها مخبرا عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه وبقوله
وما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ثم حكم
لنفسه بعد انكاره البعث باستحقاق ما اعجله من جعل الجنتين
كما وصفنا فقال ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها

منقلبا فما ملاءما بين هذه الكلمة الواردة في وصف هذا الكافر
والواردة في قوله في اية السجدة لا يسأم الانسان من دعاء الخير
اي من ان يدعوا بالخير لنفسه ويستزيد منه وهذه صفة
توجد في المومنين وبها افتتح الوصف المضروب به المثل
في هذه الاية ثم قال بعد ما ذكر من كلامه ولين رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى فقوله ان لي عنده للحسنى
ليس في موازنة قوله الاخر في اية الكهف لاجدن خيرا منها
منقلبا وان خفي ما بينهما فلما افترقت الايتان فيما ذكر
ناسب اية الكهف قوله ولين رددت لما يشعر لفظ رددت
ويحتمله من القهر والتعسف وقوعا الكثير الا بالوضع بخلاف
لفظ رجع اذا اطلقت منه رجعته او رجع فانه لا يحتمل ولا يفهم
من معنى القهر والتعسف ما يحتمله رد الا ترى وروده في
مثل قوله ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا وقوله ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة وفي الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم
في الشيطان حين تعرض له في صلاته قال صلى الله عليه وسلم
فرده الله خاسيا ففي كثرة ورود هذا حيث يراد هذا المعنى
ادل دليل على ما اشير اليه اما رجع وما تصرف منه فقل ما يرد في
هذا المعنى وان ورد فليس ككثرة رد فاما قوله تعالى واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله فهذا عام للمومن والكافر وهو وان
كان

كان اظهر في المومن فلا معنى يعتسف فيه توضيح التناسب في
الاثنين والله اعلم **الاية الثالثة** من سورة الكهف قوله تعالى
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها وفي سورة سجدة
لقمان ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها **للسائل**
ان يسال عن ورود اية الكهف بفاء التعقيب واية السجدة
بثم المقتضية للمهلة **والجواب** عن ذلك والله اعلم ان
سورة الكهف مكية والخطاب فيها من اولها الى الاية
المتكلم فيها لم يخرج الى غير العرب اعني انه لم يتعرض فيها الى
اخبار من حال غيرهم الا ما عرفوه من قصة اهل الكهف وخبرهم
وهو من سؤالات قريش بتنبيه يهود اياهم حسبما وقع في
الحديث فقوله في الاية المذكورة بايات ربه المراد بالايات
ايات القران ودلايله الواضحة وان كان اللفظ مقتضيا كلما
يسمى اية الا ان ايات القران اعم ما قصد هنا ويشهد لذلك
قوله عز وجل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وما تقدم
الاية من قوله ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل
الاية وقوله وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى والمراد
به القران قال تعالى هذا هدى والحجة قائمة عليهم اذا
سمعوا منه بعض اياته وسوره وعلموا عجزهم عن الاتيان
بمثله والحجة قائمة عليهم عقب سماعهم وتدبرهم فورد بالفا

المقتضية التعقيب على ما يجب واما اية السجدة وان كانت
الاية مكية ايضا فان الاية عامة في حق العرب وغيرهم والاخبار
فيها انما هو عن جميع من شاهد اية بينة وكذب ودليل هذا ما
تقدمه مما هو على اطلاقه في العرب وغيرهم من قوله تعالى افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون هذا عام في المكلفين ثم
فصل حالهم فيما بعد ثم قال معلما بحال الجميع على ما تورده العرب
عند التعجب لتباعد ما بين الاحوال ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه ثم اعرض عنها فالمراد بهذه الايات كلها ما ثبتت به الولاية
ووضح منه الشاهد كناقة صالح عليه السلام وانفلاق صخرة عنها
وانقلاب العصى حية الى غير ذلك من ايات موسى عليه السلام
وايات عيسى عليه السلام كابراء الاكمه والابرص واحياء
الموتى وانشقاق القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبع الماء
من بين اصابعه وتكليم الجمادات ونطق الحيوان البهيم وانقلاب [من الاصابع]
الاعيان وتكثير الطعام القليل الى ايات الكتاب العزيز المتلوة
وانا الى ما لا يحصى من ايات الرسل والانبياء عليهم السلام
فلما انطوت في قوله بايات ربه من التعميم بحسب الشاهد
مما اقترن بها على ما لا يتوقف فيه ذو عقل سليم الا ان يمنعه
مانع قدر عظم مرتكب المعرض بعطف ثم فقال تعالى ومن اظلم
ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها استبعادا للتوقف عن
الايمان

الايمان والتصديق عند مشاهدة ما لا غبار عليه من الدلائل
ولا اشكال فيه قال الزمخشري ثم في قوله ثم اعرض عنها
الاستبعاد قال والمعنى ان الاعراض عن مثل ايات الله
وامثالها في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل
والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل
كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها
استبعادا لتركه الانتهاز قال ومنه في بيت الحماسة :. ما يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها ؛ قال استبعد ان
يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على
شدتها انتهى فقصر كلامه الا في لفظه اسقطتها لخروجها مما
لا يكاد ينفك عنه في احترازه مذهبه الخبيث فتركها
واسقاطها لا يخل بشيء من المعنى قلت والمراد ما ذكر من
الاستبعاد والاستعظام الذي يقتضيه ثم هنا قائم مقام المهلة
فلكثرة الايات وتنوعها مستوضحة عظمت جريمة
التوقف عنها فاشارت ثم لذلك فافترق الفصلان وجاء
كل على ما يناسب والله اعلم وجواب وهو انه لما ذكر في اية
الكهف ارسال الرسل عليهم السلام في قوله تعالى وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا
بالباطل ليدحضوا به الحق فذكر ارسالهم وتكذيب قومهم اياهم

وانما وقع تكذيب المكذبين عند دعاء الرسل اياهم معقبا به دعاءهم
فجرى مع هذا وناسبه قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه
فأعرض عنها لتعقيب لانهم انما اعرضوا عقب دعاء الرسول
اياهم وعند جدالهم المذكور في قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل
ليدحضوا به الحق وانما ارتكبوا احوالا بالرسل ليدحضوا الحق
بباطلهم فالتعقيب هنا بين فورد بالفاء واما آية السجدة فلم
يقع فيها ذكر ارسال الرسل ولا جرى في الآية تكذيب ولا دعاء وان
كانت ابهاما ما في العرب وغيرهم وانما ورد فيها انتقام المطلقين
بحسب السوابق في اشارة قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن
كان فاسقا لا يستوون ثم ذكر تعالى مثل الفريقين وان الفاسقين
مأواهم النار وان حالهم فيها كما ذكر الله تعالى كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ولا شك ان استحقاق جزائهم
بذلك انما هو لتماديهم على الكفر مدى حياتهم الى الموافاة ولم
يقع هنا اشارة الى مباشرتهم الرسل بالتكذيب فلما لم يكن
في الكلام ذكر مباشرة الرسل والمواجهة بالتكذيب صار
اعراضهم وتكذيبهم كأنه انما علم وتحصل بذكر الجزاء وان كان الموسوت
قد علموا ذلك بخبر الصادق وانما تأخر العلم به للمكذب حتى
باشر الجزاء الجزاء متأخر فناسب ذلك العطف بثم المقتضية للمهلة
فقال تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها فورد
كل

كل على ما يناسب والله اعلم **الآية الرابعة** من سورة الكهف
قوله تعالى مخبرا عن قول موسى للخضر عليهما السلام عند خرق
السفينة لقد جئت شيئا إمرا وقوله عند قتل الغلام لقد جئت
شيئا نكرا **للسائل** ان يسأل عن الفرق بين الموضعين الموجب
لوصف كل من هاذين الفعلين بما وصف **والجواب** والله اعلم
ان خرق السفينة لم يبلغ بحيث يتلفها وانما قصد به الخضر
عيبها لتزهد فيها من يريد غصبها بدليل قوله بعد فاردت ان اعيبها
وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فانما اراد بقاءها على
مالكيها ودفع هذا الغاصب عنها اذ اراها من العيب المانع
من الرغبة فيها ولهذا لا يبلغ ظاهره مبلغ قتل الغلام بغير سبب
ظاهر فوصف بامر في قوله لقد جئت شيئا امرا وهذا وهو دون
النكر واما البادي الظاهر من قتل الغلام عند من يغيب عنه
ما علمه الخضر فمنكر ومرتكب عند من لحظه بظاهره وغاب
عنه الى طيه ليسع وورد وفق النعتين في الموضعين بما ناسب
كلا من الفعلين وعن قتادة رحمه الله النكر اشد من الامر فجاء
كل على ما يلائم ولم يكن ليحسن مجيء احد الوصفين في الموضع
الآخر والله اعلم **الآية الخامسة** من سورة الكهف قوله تعالى
في حكاية قول الخضر لموسى عليهما السلام ألم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا ثم قوله بعد ذلك في قصة قتل الغلام ألم اقل لك انك لن

تستطيع معي صبرا **للسائل** ان يسال عن الفرق الموجب لزيادة
لك في هذا القول الثاني **والجواب** ان الخضر قد كان قال لموسى
حين قال له موسى عليه السلام هل اتبعك على ان تعلمني مما
علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا فلما كان من موسى
عند خرق السفينة ما كان من الانكار بقوله اخرقتها لتغرق
اهلها ذكّره الخضر ما كان قد قاله له من غير ان يزيده على ايراد
ما كان قد قاله فقال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا فاعتذر
موسى عليه السلام بقوله لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني
من امري عسرا فلما وقع منه بعد ذلك انكار قتل الغلام بقوله
اقتلت نفسا زاكية بغير نفس وابلغ في وصف الفعلة بقوله
لقد جئت شيئا نكرا قابل الخضر ذلك بتاكيد الكلام للمتقدم فقال الم
اقل لك فالضمير المجرور باللام جيء به لتاكيد المقابل بالكلام ما
وقع جوابا له من قول موسى عليه السلام زيادة بزيادة التناسب
وتعلق المجرور الواقع بيانا مختلف فيه فمنهم من يعلقه بفعل
مضمر ومنهم من يجري حرف الجر فيه كحرف الجر الزائد فلا يعلقه
بشيء وقوله انك لن تستطيع معي صبرا على هذا الماخذ معمول
للقول من قوله الم اقل ويمكن عندك فيه وجه اخر وهو ان يكون
قوله الم اقل لك كلاما مستقلا محذوفا منه معمول القول من قوله الم
اقل وكانه في تقدير الم اقل لك ما قلت ثم استانف المقالة فقال انك لن

تستطيع

تستطيع معي صبرا فقوله انك لن تستطيع معي صبرا على هذا
ليس معمولا للقول من قوله الم اقل لك انما معمول اقل لك محذوف
مقدر كما حذف معمول القول من قوله تعالى قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم ثم قال اسحر هذا ومعمول القول محذوف تقديره
اتقولون للحق لما جاءكم سحر مبين ثم قال تقريعا وتوبيخا اسحر هذا
فسحر مبين المقدر معمول للقول وهو من قولهم وقوله اسحر
هذا من قول موسى عليه السلام توبيخا له كما ذكرنا فكذا حذف من
قوله الم اقل لك كما تقدم والله اعلم **الاية السادسة** من سورة
الكهف قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا
له نقبا **للسائل** ان يسال عن الفرق الموجب لمجيء استطاعوا
ثانيا بالتاء دون الاول **والجواب** ان يقال اسطاع واستاع
واستطاع والاول الاصل ثم يحذفون احد الحرفين تخفيفا فجيء
اولا بالفعل مخففا عند ارادة نفي قدرتهم على الظهور على السد
والصعود فوقه ثم جيء باصل الفعل مستوفي الحروف عند نفي
قدرتهم على نقبه وخرقه ولا شك ان الظهور عليه ايسر من النقب
والنقب اشد عليهم واثقل فجيء بالفعل خفيفا مع الاخف وجيء
به تاما مستوفى مع الاثقل فتناسب ولو قدر بالعكس لما تناسب
وايضا فان الثاني محل التاكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على
السد وتمكنهم منه فناسب ذلك الاطالة وهذا يفتقر الى بسط

وبان مع ان الاول اولى فلم كيف بهذا والله اعلم بما اراد الاية
السابعة من سورة الكهف قوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الى
انما الهكم اله واحد وفي سورة الانبياء قل انما يوحى الى انما الهكم
اله واحد فلم يقع في هذه الاية لفظ انا بشر وورد في الاولى فللسائل
ان يسال عن ذلك والجواب ان ذلك انه لما تقدم في اول سورة
الانبياء اثبات كون الرسل عليهم السلام من البشر فيما حكاه تعالى
من قول الكفار بعضهم لبعض هل هذا الا بشر مثلكم ثم قال تعالى
رادا قولهم ومثبتا كون الرسل من البشر في عدة مواضع ايضاحا
واشارة اخرها قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والخطاب
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى بعد ذلك قل انما يوحى الى انما
الهكم اله واحد فلم يحتج هنا ان يذكر كونه عليه السلام من البشر
اذ قد توالى ذكر ذلك جملة وتفصيلا اما سورة الكهف فلم يتقدم
لها مثل ذلك هذا فكان مظنة الاعلام بكونه صلى الله عليه وسلم من
البشر ارغاما لاعدايه ولما في ذلك من تلطفه تعالى بالخلق ورحمته
اياهم قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون وقال تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون
فكون الرسل من البشر من اعظم انعامه سبحانه على الخلق وخصت
اية الكهف بذكر بشريته عليه السلام لما بيناه وورد كل على ما يناسب
ولم يكن عكس الوارد ليناسب والله اعلم بما اراد سورة مريم
عليها

عليها السلام الاية الاولى منها قوله تعالى في قصة يحيى
ابن زكريا عليهما السلام وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا
وفي قصة عيسى عليه السلام وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا
شقيا فاختلف الوصفان في الايتين مع اتحاد مرماهما في السابق
من ظاهرهما فللسائل عن ذلك والجواب عن ذلك والله اعلم ان
الله سبحانه وصف يحيى عليه السلام بعظيم التقوى في قوله
قبل وكان تقيا وتقي من التقوى وهو من ابنية المبالغة فيفهم
الوفا بوجوه التقوى حتى لا يكون من الموصوف بذلك معصية ولا
تقصير فقوله بعد ولم يكن جبارا عصيا المراد به والله اعلم
نفي المعاصي جملة وهو المراد بقوله الاخر وسيدا وحصورا
اي ممنوعا عن المعاصي والحصر الحبس والمنع قال مكي رحمه
الله حصر عن الذنوب فلم ياتها وما قاله المفسرون من ان
المراد هنا منعه عن النسا باي وجه قالوه فلا يصح والله اعلم لان
عدم القدرة على النسا نقص والانبيا منزهون عن النقص فكيف
يصح ورود هذا الوصف في معرض المدحة وهو في نفس الامر
نقص والقوة في ذلك كمال ومدحة فالمراد هنا بالحصور
الممنوع عن المعاصي وقد روى عمرو بن العاصي عن النبي صلى
الله عليه وسلم كل بني ادم ياتي يوم القيامة وله ذنب الا يحيى
ابن زكريا ثم يوصف من هذا الوصف ومن ما تقدمه في قوله

ولم يكن جبارا او ورد بلفظ المبالغة مثله والمراد نفي المعاصي عنه
عليه السلام جملة والتناسب في هذا كله واضح واما قوله في
قصة عيسى عليه السلام ولم يجعلني جبارا شقيا فملحوظ بذلك
ما جرى لاتباعه عليه السلام وما وقعوا فيه من العظيمة حين
قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فاستحقوا
الوصف بالشقا لمقالهم والشقي مستحق العذاب الاخروي
والى السعادة والشقا انقسام العالم في الاخرة قال تعالى فمنهم
شقي وسعيد فهما طرفان حصرا العالم في الاخرة وهما كقوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن فلما لحظ في قصة عيسى عليه السلام
عصمته من الرضا بما وقع فيه اتباعه ناسب ذلك نفي قبيح صفة
الضالين ممن توهم انه ممن اتبعه لتبرا عليه السلام من حالهم
كما تبرا حين يقول في الاخرة ما قلت لهم الا ما امرتني به فقد
ورد كل من الوصفين على اجل النظم واتم التناسب وان
عكس الوارد لا يمكن والله اعلم **الاية الثانية** قوله تعالى فاختلف
الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
وفي سورة الزخرف فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم
للسايل ان يسال عن قوله فويل للذين كفروا وقوله في الاخرى
للذين ظلموا ما وجه تخصيص كل اية منهما بما ورد فيها وعن
قوله في الاولى من مشهد يوم عظيم وفي الثانية من عذاب يوم اليم

فهذان

فهذان سؤالان **والجواب** عن الاول منهما ان الكفر بالله سبحانه
اعظم من كل خطيئة والذي لا ينفع معه شي من اعمال البر فهو
اعظم من الظلم ثم قد يوصف الكافر بالظلم اشارة الى الصفة اللازمة
له من ظلمه لنفسه بكفره وشنيع مرتكبه فيشعر اذ ذاك هذا
الوصف اذا ورد تابعا للكفر ولفظ الكفر منطوق به او مفهوم
من سياق الكلام بزيادة توجب زيادة التنكيل قال تعالى ان
الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم فقوله في اية سورة مريم
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم معقب بها قوله تعالى ذلك
عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ
من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله
ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ثم قال فاختلف الاحزاب
من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم والمراد اختلافهم
في نبي الله عيسى عليه السلام حيث قال بعضهم هو الله وبعضهم
هو ابن الله وبعضهم ثالث ثلاثة فهذا اختلافهم وقال تعالى فويل
للذين كفروا من مشهد يوم عظيم فوسمهم بالكفر الذي هو ضابط
اقوالهم وامر تكلبا بهم واخبر باستحقاق الويل لهم لكفرهم
من شهود ذلك اليوم الفاضح لهم على رؤوس الاشهاد وفيه قال
تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود يقول الاشهاد
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ثم ذكرهم

في سورة الزخرف تصفهم من الظلم اللازم لكفرهم وليناسب بذلك
ما تقدم من وصفهم من اعمى عن الله سبحانه فعوقب بعميه في العوا
وهو المقول فيه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين ثم قال فيه في محاجة ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم
في العذاب مشتركون والظلم هنا ظلم الكفر وحال من عبد
عيسى عليه السلام من الأحزاب المذكور اختلافهم في محاجته
دون محاجة بحالها ولا لو سموا بالظلم كوسم من تقدم قبيل قوله
للذين ظلموا وظلمها ولا كفر كحال من تقدم فناسب هذا ولم
يقع قبل آية سورة مريم ما يطلب بمناسبة وصفوا هناك بالكفر
بخلاف آية الزخرف فجاء كل على ما يجب ثم قال من عذاب يوم
أليم فذكر العذاب المعقب به ذلك اليوم المشهود ووصف
اليوم بالإيلام وإن كان المؤلم إنما هو العذاب مبالغة في شدة
الإيلام من عذاب ذلك اليوم كما قالوا نهارك صائم وليلك قائم
وهو العذاب ناشئ عن قيامهم في ذلك اليوم المشهود وسوء حالهم
فيه وجاء ذلك على الترتيب الذي استقر عليه الكتاب فذكر
في المتقدم من الآيتين المتقدم وجودا من حالهم الأخروي
وفي الآية الثانية ترتب ما هو ناشئ عن ذلك وجاء كل على ما
يجب ويناسب والله أعلم **الآية الثالثة غ** قوله تعالى وأنذرهم
يوم الحسرة إذ قضي الأمر وفي سورة المومن وأنذرهم يوم
الآزفة

الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين والمراد بالآيتين
تذكيرهم بالقيامة وأهوالها ثم اختلفت العبارة في الكناية عنه
ففي مريم يوم الحسرة وفي سورة المومن يوم الآزفة **للسائل**
أن يسأل عن ذلك **والجواب** عنه والله أعلم أن اليوم المشار
إليه يشتمل على مواقف ومواطن مهولة وأحوال مختلفة بحسب
ذلك تختلف العبارة والاختلاف اختلاف المقاصد والمواطن ألا ترى
قوله فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
وقوله تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله تعالى وقفوهم
إنهم مسؤولون وقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان
ولا شك أن هذا في مواطن مختلفة وبحسب ذلك اختلفت الكناية
فما أضيف إليه اليوم هنا فيوم الحسرة عبارة عن الوقت الذي
يحصل فيه العلم اليقين بتأبيد خلودهم واستمرار عذابهم إلى غير
نهاية ويتأكد لأهل الجنة علمهم بذلك فلا أشد فرحا من أهل
الجنة يومئذ ولا أشد حسرة من أهل النار وفي هذا ورد الخبر
الصحيح من أنه إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار
نادى يا أهل الجنة فيشرئبون وينادى يا أهل النار كذلك ويؤتى
بالموت فيقال لهم هل تعرفونه فيقال نعم الحديث إلى قوله فيه
يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت فإذ ذاك
يعظم حسرتهم ويشتد كربهم ونص الحديث على ما رويناه في

صحيح مسلم عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء
بالموت يوم القيامة كانه كبش املح زاد ابو كريب فيوقف بين
الجنة والنار واتفقا في باقي الحديث فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون
هذا فيشرفون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به
فيذبح قال ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود
فلا موت ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون واشار بيده الى الدنيا
قلت وهذا الحديث من مشكل الاحاديث وله وجه من التاويل
يرفع اشكاله وقد تفسرت مظنة الحسرة في قوله تعالى اذ قضي
الامر والمراد به استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
كما ورد في الخبر وحق لمن قدم ذكره قبل هذه الاية ممن وقع
في العظيمة من امر عيسى عليه السلام حين قالوا المسيح ابن الله
مع انكارهم بالبعث الاخراوي والجزا الحق لهم ان يذكروا
تحذيرا وتخويفا بمثل هذا ولم يتقدم للاية ذكر غيرهم فهذا اوضح
تناسب واما اية سورة المومن فقد ورد قبلها قوله تعالى
خطابا للمومنين فادعوا الله مخلصين له الدين ثم تتابع الكلام
بعدهم الى الاية من قوله وانذرهم يوم الازفة تخويفا باسراع
امر الساعة وتعجيل وقوعها كما قال سبحانه اقترب للناس
حسابهم ازف الشي اقترب ومنه قوله ازفت الازفة ليس لها
من

من دون الله كاشفة وتامل ما اتصل بقوله وانذرهم يوم الازفة من
قوله اذ القلوب لدى الحناجر فقد تناسب هذا ووضح ان ما ورد
في الايتين على اتم مناسبة وان عكس الوارد على ما بينا لا يلايم
والله اعلم **الاية الرابعة غ** قوله تعالى وناديناه من جانب الطور
الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وفي
سورة الفرقان ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون
وزيرا ومقصود الايتين تاييد موسى عليه السلام باخيه احرى
ثم اختلف الوصف بالنبوة والوزارة مع اتحاد المقصود **فللسايل**
ان يسال عن ذلك **والجواب** عنه والله اعلم يحصل طي تمهيد
وهو ان السور المردد فيها ذكر الرسل عليهم السلام منوط بها
ذكرهم بذكر اممهم وما كان من معاندة الامم وتكذيبهم واخذ المكذبين
بمرتكباتهم ولا نكاد نجد سورة منها وارد فيها ذكرهم الا على ما
ذكرنا واكثر تلك السور استيفا لهذا الغرض سور ثلاث وهي
سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعرا ثم يليها في
ذلك سورة قد افلح المومنون وقل ما نجد سورة ورد فيها قصة
منها واحدة فصاعدا الا جارية على ما ذكرته وربما اجمل ذلك
في بعضها مع تفصيل ما ذكرنا من اخذ الامم بعد تكذيبهم واخر
سورة ذكرت فيها قصصهم بعدما اطرد اخذ كل امة بتكذيبها
وبيان ما به اهلكت من الغرق والريح والصيحة والحاصب

وعنف الاخذ بالعبرة والانذار سورة القمر مع اخبار في القصص
لم ترد في غير هذه السورة مع الوفا بما ذكرنا وانما خصت هذه السورة
ببيان كيفية اخذ المكذبين لما تضمنته في كتاب البرهان ثم ان سورة
مريم تضمنت ذكر طائفة عظيمة فصل ذكر بعضهم واجمل
ذكر البعض وقد جرد فيها من الاخبار باحوالهم ذكر التعريف
بخصائص من منحهم وعلى اقدارهم وما الاه واليه من ذلك من
غير ان يشوب هذا ذكر شي من تكذيب من كذب منهم الا ما
ورد في ذكر ابراهيم عليه السلام من قول ابيه له اراغب انت
عن الهتي يا ابراهيم الاية ولم يذكر من حال قومه عليه السلام
شي ولا ذكر فيما بعد ولا فيما تقدم من هذه السورة عما عمدت
به مما ذكر ثم ان النبوة هي اعظم خصائصهم التي تساووا في تحمل
اماناتها وانفردوا عليهم السلام ولم يشاركهم فيها غيرهم
اما اسم الوزارة والوصف بها فليس مما خصهم ولا مما انفردوا
به فلم يكن وصف هارون عليه السلام هنا بها المناسب هذا
الفصل العلي ولا يلائمه اما قوله تعالى في سورة الفرقان وجعلنا
معه اخاه هارون وزيرا فمترتب على سؤال موسى عليه السلام
في سورة طه في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هارون
واعطيه عليه السلام مطلبه وقال تعالى وجعلنا معه اخاه
هارون وزيرا وورد هذا على الترتيب المقرر في الصحف ثم ان
ما

بالفصل بهذه الاية واية سورة مريم مما قبلها يستدعي التناسب
في مقاطع الاي وفواصلها فلم يكن ورود الاسمين في السورتين
على غير ما وردتا الا لتناسب فجا ذلك على ما يجب من الوجهين
المذكورين والله اعلم بما اراد **الاية الخامسة** من سورة مريم
قوله تعالى فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون وفي سورة الفرقان ومن يفعل
ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا
من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل سيئاتهم حسنات
للسائل ان يسال عن قوله في الاولى وعمل صالحا وفي الثانية وعمل
عملا صالحا وعن قوله في الاولى في جزائهم فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيا وفي الجزا في الثانية فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات **والجواب** ان الاية الاولى ورد قبلها بعد ذكر المنعم
عليهم ومن اهتدى بهداهم قوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وهذا قول موجز
مجمل يناسب الايجاز في قوله الا من تاب وامن وعمل صالحا الاية ..
فتناسبا في التقابل الايجازي كما تناسبا ايضا في الفواصل ومقاطع
الاي وذلك قوله فسوف يلقون غيا وقوله ولا يظلمون شيا
والمستهل من القرا تقول شيا فتقف بالياء المشددة واما قوله
في اية الفرقان الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل

الله سيئاتهم حسنات فالطباق بسبب المفصل الواقع قبله من
قوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا يزنون ثم قال ومن يفعل ذلك يريد ما ذكر
مما مدح المتصف بتقوى الله بتركه والتنزه عن مواقعة شيء منه
يلق اثاما ثم فسر ما يلقاه بقوله يضاعف له العذاب يوم القيامة
اي يكثر عليه ويزاد ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فجعل بازاء يضاعف
له العذاب لفاعل ذلك تبديل السيئات بالحسنات الى الغفران
والرحمة فالجزاء بالجزاء والطباق بالطباق مناسبة بين الجواب
وما جوب به وكل على ما يجب ولا يسوغ العكس على ما يمهد
والله اعلم **سورة طه الاية الاولى منها** وما يتعلق بها ويرجع
الى معناها ويتم به مما يتصل بها قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى
اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها
بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا
ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك
فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة
لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك
بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكا عليها وفي سورة النمل
اني

اني انست نارا سآتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم
تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها الى والق
عصاك وفي سورة القصص فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست نارا
لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما
اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من
الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك
هذه الاي من مشكلات الضرب الثاني الذي بنينا عليه مقصود
هذا الكتاب لان محصولها الاخبار عن ابتداء امر موسى عليه السلام
في رسالته وتكليم الله سبحانه اياه وهو خبر واحد عن قصة واحدة
قد وقعت وعين وقوعها وما وقعت عليه من الصفة التي
حدث بوقوعها وتبينت فلا يمكن فيها العدول عما وقعت عليه
من الصفة التي حدث بوقوعها فكيف هذا الواقع الوارد
من قوله في السورتين امكثوا اني انست نارا ولم يقع لفظ امكثوا
في سورة النمل وفي السورتين لعلي اتيكم منها وفي النمل سآتيكم
منها فورد سآتيكم عوض لعلي وفي طه بقبس او اجد على النار
هدى وفي النمل بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
فتقدم ذكر القبس في طه واخر في السورتين ثم اختلف المعبر
عنه فعبر في القصص بجذوة وعوض في النمل بشهاب

مضافا الى النفس وكرر اذا تنكلم في النمل ولم يقع ذلك في غيرها
واقصح في السورتين الاخريين بالحاجة الى النار وهي الاصطلا
ولم يقع ذلك في طه جملة وعبر عن الخبر في طه بقوله او اجد
على النار هدى ولم يذكر ذلك في السورتين فهذه مواضع
اختلف العبارة فيها واختلفت في الزيادة والنقص والتقديم
والتاخير والتعويض مع ان الاخبار عن واقعة معينة وقصة
متحدة والخبر الواحد الصدق لا يمكن فيه الزيادة ولا النقص
ولا النسخ من حيث هو خبر ولا شي مما ذكر ويرجع السؤال
فيها الى شيئين احدهما وجه الاختلاف والثاني وجه تخصيص
كل موضع بما خص به فاقول مستعينا بالله وسائلا منه
سبحانه توفيقه وارشاده ان المعاني المتصورة في الاذهان
المعقولة القائمة بنفوس العقلا لا يحصل نقلها الى غير من قامت
به الا بالعبارة المترجمة عنها من الالفاظ الاصطلاحية وربما
خوطب العالم بما سوى اللفظ من اشارة الى غيرها الا ان المستعمل
في تحصيل المعنى المترجم عنه استقلالا لها فلم تخاطب الا بها
واذا تقرر هذا فمن المعلوم ان اللفظ بالتفاوت مدلوله المعنوي
يتعدد ومرجع الالفاظ بالنظر الى مسمياتها ينحصر في اربعة
اقسام اما ان تتحد اللفظ والمعنى او تختلف اللفظ والمعنى او تتحد
اللفظ وتختلف المعنى او تختلف اللفظ وتتحد المعنى ولا يقتضي

النظر

النظر العقلي زائدا على هذا التقسيم وعلى مقتضاه دارت
المعقولات وتخاطب العقلا فالقسم الاول المتحد اللفظ والمعنى
وهو المتواطي وهو دلالة اللفظ على معنى ثم تعرض لذلك المعنى
عند التشخص كثرة فيكون ذلك اللفظ يدل على تلك الاشخاص
تواطيا ومثاله رجل وفرس واسد ومنه دلالة اسم النوع كالانسان
على اشخاصه وكذلك دلالة الجنس على انواعه كالحيوان على
الانسان والفرس والطائر والقسم الثاني وهو المختلف
اللفظ والمعنى وهي الاسما المتباينة وهي اسما مختلفة لمعاني
مختلفة كل اسم منها يخص معناه الذي وضع له نحو السواد
والبياض والقدرة والعجز والقسم الثالث وهو ما اتحد فيه اللفظ
واختلف في الاسما المشتركة نحو عين العضو الباصر وعين
ونحو ذلك فاللفظ متحد والمعنى مختلف والقسم الرابع وهو ما
تعدد لفظه واتحد معناه يعني المراد به كالاسد والليث للحيوان
المعروف ثم قد يعرض للمشترك وهو المتحد اللفظ مع اختلاف
المعنى تفاوت في قوة دلالته على ما تحته واعني بالتفاوت
استقلال المعنى بنفسه غير مفتقر الى الغير او عدم استقلاله
فينقسم بحسب هذا الى متواطي ومشكك كوقوع اسم موجود
على الجوهر والعرض اذ الجوهر هو قايم بنفسه والعرض لا
يقوم بنفسه ففي وقوع اسم موجود عليهما تفاوت بين فهو

ا

في وقوعه على الجوهر من اسم المتواطي ووقوعه على العرض بتشكيك
ثم من الالفاظ على الجملة مجاز به وهي الواقعة على مسميا تها
لا على انها اسما لها بل لمناسبتها لما وضعت الاسما الحقيقة
بازايها ومن المعلوم في عوارض التركيب الضرب المسمي بلحن
الخطاب وهو حذف الكلمة من الجملة مع ارادتها ودلالة
السياق والمعنى عليها كالواقع في قوله تعالى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق ولا شك ان المراد فضرب فانفلق ومما يلحق به
عند الجمهور الا من قال بقول الكرخي فمن كان منكم مريضا او
على سفر فعدة من ايام اخر والتقدير فافطر فعدة من ايام اخر فهذا
من لحن الخطاب ومن معروف التخاطب المجاري وهو دلالة
المنطوق به على مسكوت عنه تفهمه السياق وقصد المتكلم
من عرف اللغة نحو فهم منع الضرب والشتم من قوله تعالى
ولا تقل لهما اف وهذا الضرب من المفهوم مجاري المنصوص
ولهذا لم يخالف فيه من انكر القياس فهذه جملة يستعان بها
على نيل ما يريد وليست خاصة بالذي نحن فيه من هذه السورة
ولا بموضع دون موضع ثم من المعلوم باعلام الله سبحانه انه
تعالى لم يرسل رسولا الا بلسان قومه فموسى عليه السلام
انما خاطب اهله في هذه المحاورة باللسان العبراني او بغيره من
الالسنة الى اللسان العربي فما المانع ان يجري فيه ويطرد كلما

في

في اللسان العربي من الضروب المذكورة قل او كثر ذلك ثم
في الجواب عما تقدم ما لا تفتقر فيه الى بيانه على ما شهدناه فقول
مستمعنا بالله سبحانه ان قول موسى عليه السلام لاهله
امكثوا وسقوط ذلك من سورة النمل قد يكون مما قاله عليه
السلام نطقا باللغة التي كلمهم بها وقد يكون ذلك مما فهمه
عنه اهله باشارة او قرينة حال فيكون قد امرهم بذلك على كل
حال فاما نطق او غيره فمرة حكى نطقه او مراده بما قد فهمه
عنه اهله الامر ومرة اكتفى بما بعد هذا الامر اقتصارا على ما
يحصل المقصود فلا اختلاف ولا اعتراض في ذلك واما قوله
لعلي اتيكم في السورتين وقوله في النمل سأتيكم فان حرف التسويف
تفهم الاستقبال ولفظ لعل ايضا يعطي ذلك مع زيادة الترجي
والطمع فممكن لتقارب معناهما ان يكون ذلك في لسانهم بعبارة
موضوعة للمعنيين معا فلم يكن بد من ورود الحرفين عند
الحكاية لتحرز ذلك ووقوع المعنى وحصوله على ما هو في لسانهم
واما تقدم ذكر القبس في سورة طه على الخبر وتأخره في السورتين
فقد بين تعرف ان القصة محكية على معناها بضرورة اختلاف
اللغتين ولو وردت الاخبار على الالتزام التقديم في احدهما وتأخير
الاخر على اللزوم لما احرز ما ذكرناه واما القبس والجذوة والشهاب
من القبس فان ذلك مما يفصل في لغتنا المراعاة ادنى شي يسوغ

اطراف التسمية وذلك كثير في لغتنا كقولهم سيف وصارم
ومهند وقولهم في الشمس طلع وضحك واعرض وبلج وسما
الى تمام احواله العشرة له في كل حالة منها اسم والمسمى واحد ومتى
كان العرب يهتم بشي من الموجودات وكان مما يكثر في كلامهم
وضعوا له عدة اسما اتساعا حتى انهم قد انهوا بعض المسميات
الى مائة اسم او نحوها وانما كان هذا في لغة العرب لاضطرارهم اليه
في الشعر والاسجاع بالمولع تتسع اللغة العربية فيما ذكر اضاف
عليهم الامر واعياض النظم والنثر واقرب شي ان يكون
المعتبر في تلك اللغة وقع بلفظ واحد لا يعبر في لغتهم عن
ذلك المراد المقصود بغيره ولا احرز وضع ذلك اللفظ العبراني
ما يعبر عنه في لغتنا بعدة اسما وسواء عني في كل اسم منها
معنى ما في المسمى او كانت مترادفة على المسمى من غير ان
يراعى في شي منها معنى ما في المسمى و اما تكرار ءاتيكم في سورة
النمل فليس فيه الا تكرار ما يحرز التاكيد وتاكيد ما هو خبر او
ليس امرا ولا نهيا انما ثمرته وفائدته صدق الاخبار وذلك
ق
حاصل منها سوا تاكد او لم يتاكد واذا كان الكلام على ما قلنا والصدق
حاصل على كل حال فلا يشكل اذا حمل معناه او يرد مرة ولا يؤكد اخرى
اذ لا زيادة للتاكيد فيه سوى الجري على مرتكبات العرب في
مثله واما الافصاح في السورتين الاخريين بالحاجة الى النار
والاصطلا

والاصطلا ولم يقع ذلك في طه فان ذلك اخبار بزيادة لا تعارض فيها
شي مما في سورة طه فمرة وقع به الاخبار ومرة لم يذكر اكتفا
بذكره حيث ذكر و اما التعبير عن الخبر في سورة طه بقوله
او اجد على النار هدى فافصاح بما هو معلوم في قوله في سورة
النمل سآتيكم منها بخبر وقوله في سورة القصص لعلي آتيكم
منها بخبر لان اهله لم يكن لهم من حاجة لغير الاصطلا واستعلام
طريقهم فورد في سورة طه مفصحا بالمقصود معبرا عنه بما
هو مفهوم من آيتي النمل والقصص من معنى الكلام وسياقه
فلا اختلاف في شي من ذلك كله ولا تعارض ولا اختلاف والحمد لله
والجواب عن السؤال الثاني ان تخصيص كل سورة من هذه
السور بما ورد فيها مقتضيه من اما او لا ان فواصل هذه السور
ومقاطع آيها مناسبة للوارد فيها اما او لا فان فواصل هذه السورة
ومقاطع آيها مناسبة للوارد فيها اما سورة طه فمقاطع آيها
لازمة الالف المقصورة وعلى ذلك آي السورة كلها واما
النمل والقصص فقد اكتنف الواقع من آي هذه القصة فيها
ما مقطعه من الآي النون الواقع قبلها اليا او الواو الساكنتان
بحسب ما تقدم فيهما وحركة الضمة والكسرة فان قلت ان السورتين
مستويتين في هذا فما الفارق قلت الايجاز والطول اما سورة
النمل فاوجز في هذا المقصد واما سورة القصص فان خبر موسى

عليه السلام فيها يستغرق ابها كلها فناسبه طول الوارد
فيها بما فيه الكلام وذلك غير كاف وتأمل الوارد في سورة
طه من قوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام من قوله
او اجد على النار هدى ومناسبة ذلك لما تقتضيه سورة طه من
تانيس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وافتتاحها بقوله تعالى ما انزلنا
عليك القران لتشقى يلوح لك التلازم والتناسب وقد وضح كل
ما في كل سورة من السور الثلاثة من هذه القصة لا يلائم غيرها [وقوعها]
وان كل قصة منها لا يحسن في موضع الاخر لعدم المناسبة وبعد
التلاؤم والله اعلم **الاية الثانية** من سورة طه قوله تعالى ان الساعة
اتية اكاد اخفيها وفي سورة غافر ان الساعة لاتية لا ريب
فيها **للسائل** ان يسال عن تخصيص اية طه بقوله في وصف الساعة
اكاد اخفيها ووصفها في سورة غافر بقوله لا ريب فيها وعن
زيادة اللام بقوله في اية غافر لاتية لا ريب فيها فهذان سؤالان
والجواب عن الاول منهما ان اية طه خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم تقتضي تانيسه وتسليته عن حال كفار قريش في توقفهم
عن الايمان وافتتحت السورة باجل التانيس وهو قوله تعالى
مشيرا لنبيه صلى الله عليه وسلم مقسما على ذلك ما انزلنا عليك
القران لتشقى ثم تابع التعريف بعظيم الكتاب وذكر منزله سبحانه
وتعالى بما انفرد به من ملك السموات والارض وما بينهما وما
تحت

تحت الثرى ووصفه بانه يعلم السر واخفى وانفراده باسمائه الحسنى
ثم عرف نبيه صلى الله عليه وسلم بابتداء امر موسى عليه السلام
الى قوله ان الساعة اتية اكاد اخفيها تعريفا بعظيم خفاء الساعة
وتغييب كنهها عن الخلق حتى كان امرها لم يخبر عنه ولا وقع
تعريف لشيء منه فهو اخبار بفرط اخفاء امرها وذلك اعلام بوصف
وحال لمن قد تقرر بوقوعها نفسه وانطوى على علم كيانها ايمانه
ولما كان هذا الخطاب والتعريف لمن حوى ذكره مما نزه
صلى الله عليه وسلم عن الارتياب في امر الساعة لم يحتج الى نفي
اذ مقام النبوة في الايمان المقام الذي لا يدانى فلم يكن نفي
الارتياب ليلائم ولا يناسب وانما عرفوا الحال ووصف تابع اما
اية غافر فاكثر الخطاب المتقدم قبلها من اول السورة اليها
خطاب لقريش وسائر كفار العرب وهم المجادلون في امر
الساعة والجاهلون بكيانها والقائلون ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيي وما نحن بمبعوثين فقدم لهم قبل ذكر الاية قوله
تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فذكروا
بما لا يمكن احدا من المخلوقين الا الاعتراف بعظيم امره والعجز عنه
وهو الخلق الاعظم ثم اتبع بنفي الريب الذي هو متلبسهم وصفتهم
واتبع بتاكيد الاخبار بدخول اللام ونفي الريب في ذلك وذلك اوضح
شيء في المناسبة فكل من الايتين وارد على اتم مناسبة ولا يمكن

ان يقع الوارد في سورة غافر في سورة طه ولا الوارد في سورة طه
في سورة غافر والله اعلم بما اراد **والجواب** عن الثاني ان اية طه
وردت اثناء خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتانيس والتسلية
عن ما يلقاه من مكابدة قريش وساير كفار العرب وتعريفه لما
جرى لموسى عليه السلام وظهوره على فرعون فلم يكن ليناسب
ذلك تاكيد الخبر عن امر الساعة اذ هو عليه السلام من امرها
على اوضح الجادة واما اية غافر فان قبلها تعنيف الكفار من
قريش وغيرها وعلى ذلك استمرت الاية من اول السورة الى
قوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان الى قوله
ما تذكرون فناسب ذلك من حالهم تاكيد الاخبار عن اتيان
الساعة بدخول اللام وصيرورة الاية بذلك في قوة المقسم عليه
تحقيقا للامر وتاكيدا لما اتى طي ذلك من وعيدهم بسوء حالهم
فورد كل من الايتين على ما يناسب والله اعلم **الاية الثالثة**
من سورة طه قوله تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي
واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه
في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي سورة الشعراء واذ نادى
ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون قال رب

اني

اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل
الى هارون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وفي سورة القصص
اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك
من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم
كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف الى
قوله ومن اتبعكما الغالبون **للسايل** ان يسال عن اختلاف
المحكي من قول موسى عليه السلام حين بعثه الى فرعون مع
اتحاد القضية في السور الثلاث وقد وقع في كل سورة منها
ما ليس في الاخرى فيسال عن ذلك وعن وجه اختصاص
كل سورة بما ورد فيها **والجواب** عن السوال الاول ان قول
موسى عليه السلام لا يتوقف في اية لم يرد حكايته الا بالمعنى
لاختلاف اللسانين كما تقدم واذا تقرر كونها بالمعنى والترادف
فيما بين اللفظين في كل لفظتين يراد بهما معنى واحد غير مطرد
فلا اشكال في ان المعنى قد يتوقف حصوله على الكمال على تعبيرين
او اكثر لاتساع ما في اللسان العربي من الاشتراك والعموم
والخصوص والاطلاق والتقييد والحقيقة والمجاز وغير
ذلك من عوارض الالفاظ فكيف ينكر اختلاف التعبير عن
المعنى الواحد بعبارات مختلفة بل نقول انه لو كان المحكي
قولا عربيا وحكي بالمعنى لما استنكر اختلاف العبارة فكيف

مع اختلاف العبارتين والحاصل من قول موسى عليه السلام في
هذه السور الثلاث سؤاله شرح صدره وتيسير امره واطلاق
لسانه وتشريكه معه والتعاون باخيه هارون عليهما
السلام وخوفه ان يكذب وذكر ما تقدم من قتل القبطي على هذه
القضيات التسع جار المحكي من كلامه عليه السلام وقد يرد
في سورة منها بعض ذلك مما ليس في الاخرى ولم يعارض شي
من ذلك فارتفع الاشكال المتوهم جملة **والجواب** عن السؤال
الثاني ان الوارد في سورة طه من قوله رب اشرح لي صدري الى
قوله قد اوتيت سؤلك يا موسى فناسب لما تقدم عليه السورة
من التأنيس والبشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم من اول افتتاحها
بقوله ما انزلنا عليك القران لتشقى الى ختمها بقوله لنبيه صلى الله
عليه وسلم لا نسالك رزقا نحن نرزقك وقوله تهديدا ووعيدا
لاعداء نبيه صلى الله عليه وسلم قل كل متربص فتربصوا الاية ولا
توقف في بيان هذا التناسب واما سورة الشعراء وسورة
القصص فانما بناؤهما على قصص موسى عليه السلام اما الشعراء
فمبنية على ابتداء رسالته ودعائه فرعون ومراجعة فرعون
اياه الى نجاة بني اسرائيل واغراق فرعون واما سورة القصص
فمبنية على امتحان بني اسرائيل بذبح الابناء واستحياء النساء للخدمة
والمهنة وتخليص موسى عليه السلام من ذلك وتكفل الله سبحانه
به

به ابتداء ونشأة الى توجهه الى مدين ورجوعه من عند شعيب
عليه السلام الى ما تخلل ذلك وما اعقب به الى اخذ فرعون
وهلاكه ولما كانت سورة الشعراء مذكورا فيها قصص الرسل
مع اممهم ابتداء واختتاما فيما يخص حال الرسالة الى اخذ كل
طائفة بما اخذت فيه خصت من قصص موسى عليه السلام
بما يلائم دعاءه ومحاورته الى اخذ فرعون وملائه ولما كان قوله تعالى
في مطلع سورة القصص نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون
بالحق تأنيسا وتثبيتا لنبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى وكلا
نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وفي اخر هذه
السورة الافصاح من هذا التأنيس برجوعه الى ملكه بعد ان
اخرج عنها صلى الله عليه وسلم مهاجرا لاجل قومه قال تعالى ان
الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد ناسب ذلك من قصص
موسى عليه السلام خروجه الى مدين ورجوعه الى مصر فناسب
هذا كله اكمل مناسبة في السور الثلاث واذا اعتبر ذلك علم
انه لا يناسب كل سورة من الثلاث الا ما خصت به والله اعلم بما
اراد **الاية الرابعة** من سورة طه **ع** قوله تعالى فأتياه فقولا
انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل وفي سورة الشعراء فأتيا
فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل
ففي الاولى فأتياه وفي الثانية فأتيا فرعون وفي الاولى انا رسولا

ربك بالتثنية والاضافة الى ضمير الخطاب وفى الثانية انا رسول
رب العالمين فورد هنا بلفظ الافراد واضافة رب الى العالمين
والظاهر ان امر موسى وهارون عليهما السلام على الاثنين
كان اول امر أُمِرا به فى ارسالهما الى فرعون وان امرهما معا
بهذا لم يتكرر وقد تقدم فى سورة طه امر موسى عليه السلام
منفردا عن اخيه هارون فى اول تكليم الله تعالى له وامره بخلع
نعليه واعطائه ايتى العصى واليد وامره بالذهاب الى فرعون
وطلب شرح صدره الى طلبه المعونة باخيه هارون ومع ذلك
امرهما تعالى بهاتين الايتين ثم لم يتكرر حسبما ذكرناه فمقتضى
الظاهر للسائل ان يسال عن وجه الاختصاص فيها ووجه
اختصاص كل من السورتين بما ورد فيها والجواب عن الاول
ما تقدم ان الاخبار عن ذلك كله فى كتابنا معتمد فيه المعنى وقد تقدم
بيان ذلك مستوفى واما وجه التخصيص فان ورد اسم فرعون
مضمرا فى قوله فأتياه انما ذلك لتقدم ذكره فى قوله اذهبا الى فرعون
انه طغى فقولا له قولا لينا فلم يكن اعادة اسمه ظاهرا مع الاتصال
والقرب اذ لم يفصل بين ظاهره ومضمره الا كلمتان اما اية
الشعراء فقد اجتمع فيها امران احدهما الفصل بين مضمر الاسم
وظاهره مع اتيان الظاهر مضافا اليه فصله الى ما ذكر من
الفصل ببضع وعشرين كلمة والثانى ان امر موسى عليه السلام

اولا

اولا انما ورد باتيانه امر فرعون قال تعالى واذ نادى ربك موسى
ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون فقد يتوهم ان الجارى على
هذا الوجه عوض قوله فأتيا فرعون فأتيهم الا انه لم يقصد اتيانا
الا ذكر متبوعهم فلم يكن بد من الافصاح بذكره عن مضمر
واما قوله تعالى فى الاولى فقولا انا رسولا ربك بتثنية لفظ رسول
فوارد على اللغة الشهيرة واما قوله فى الثانية انا رسول رب
العالمين فعلى لغة من يقول رسول الواحد والاثنين والجمع
والمذكر والمؤنث وعلى ذلك قول الهذلى ∴ الكنى اليها وخير الرسل
اعلمهم بنواحى الخبر ∴ فوارد الاول فى الترتيب الثابت على اللغة
الشهيرة والثانى على اللغة الاخرى على ما تقدم فى مثل هذا ولو عكس
الوارد لخالف الترتيب ولا تناسب واما قوله انا رسولا ربك باضافة
اسمه تعالى الى ضمير الخطاب فانه يناسب من حيث ما فيه من
التلطف والرفق لما تقدمه من قوله تعالى فقولا له قولا لينا وقد
تفسر هذا القول وتبين ما فيه من التلطف فى قوله تعالى فى سورة
والنازعات فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى
وناسب هذا على ما بنيت عليه سورة طه من تانيس نبينا
صلى الله عليه وسلم وتانيس موسى كليمه صلى الله عليه وسلم
بقوله وانا اخترتك فاستمع لما يوحى وما بعده الى قوله وقد اوتيت
سؤلك يا موسى وما بعد فلما كان مبنى هذه السورة بجملتها

على التلطف والتانيس ناسب ذلك مما امر به موسى عليه السلام
من دعا فرعون انسه والتلطف وامر موسى عليه السلام واخوه
هارون بذلك فقيل لهما فقولا قولا لينا وجرى على ذلك قوله
انا رسولا ربك فاشعرت هذه الاضافة التلطف الزمانى ولما
لم يكن سورة الشعرا مبنية على ما ذكر وانما تضمنت تعسف
فرعون وملاه واغراقهم واخذ المكذبين للرسل لتكذيبهم
وهذا فى طرف من التلطف ورد فقولا انا رسول رب العالمين
باضافة اسمه سبحانه الى العالمين ليحصل منه انه مالك الكل
وانهم تحت قهره تعالى وفى قبضته وعدل عن الاضافة الى
ضمير الخطاب اذ لم يقصد هنا ما قدم من التلطف ونظير الوارد
فى هاتين الايتين قوله تعالى فى سورة الانعام ولو شا ربك ما
فعلوه بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم ثم ورد فيما بعد ولو
شا الله ما فعلوه فقف على ذلك فى سورة الانعام وقد تبين جليل
النظم وعلى التناسب فى كل ما تقدم وان عكس الوارد فى هذه
الاي لا يناسب والله سبحانه اعلم **الاية الخامسة** من سورة
طه **غ** قوله تعالى الذى جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها
سبلا وقال فى سورة الزخرف الذى جعل لكم الارض مهادا
وجعل لكم فيها سبلا **للسائل** ان يسال عن وجه الاختلاف بين
سلك وجعل ووجه اختصاص كل من السورة بما ورد فيها

والجواب

والجواب عن ذلك ان العبارتين فى السورتين معناهما
متقارب وهو ما هيئه سبحانه وتعالى لعباده من الذكر فى
قوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها والمراد
بجعل وسلك ما خلق وذلل سبحانه منها وهيا للتصرف فيها ال[ى]
معايشنا ومنافعنا **و**الجواب عن الثانى ان اختصاص كل
من العبارتين بموضعها ان اية طه مقصود بها التلطف بالدعا
الى الله تعالى على ما تقدم من امره تعالى موسى وهارون عليهما
السلام فى قوله فقولا له قولا لينا فلما بنى على هذا واعقب بقوله
وانزل من السما ما فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا
انعامكم ولا اشكال فيما فى هذا من التلطف والرفق فى ذلك
ناسب ذلك العبارة بسلك عما الهج تعالى من السبل والطرق
لمرافق العباد ومصالحهم وهى مبنية عما تعطيه جعل فى الاية
الاخرى مع زيادة الوضوح وكمال التهيئة فهى انسب لما قصد
فى هذه بقوله فيهج هنالك اى واضحين ولو قيل مجعول لم
يعط هذا المعنى فى الوضوح اما اية الزخرف فمبنية على توبيخ من
كفر من العرب وتقريعهم الا ترى الى قوله تعالى افنضرب عنكم
الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وقوله اخبارا عن مكذبى الامم
وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون وقوله فاهلكنا اشد
منهم بطشا اى من هولاء الذين كذبوك يا محمد فهذا كله من توبيخ

الجاحدين والمعاندين وتامل ما افصحت به السورة من قوله
انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون والعقل لا يستلزم الاهتدى
والايمان الا ترى قوله سبحانه افتطمعون ان يومنوا لكم
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد
ما عقلوه وهم يعلمون فاين موقع قوله لعلكم تعقلون من قوله
يهتدون ولعلكم تفلحون ولعلكم تذكرون فلو تدبر ذلك يلح لك
الفرق فناسب هذا ما ينبي عن الخلق والاختراع من غير زيادة
فعبر هنا بجعل وايضا فقد اكتنف لفظ جعل في الزخرف قوله
تعالى انا جعلناه قرانا عربيا وقوله بعدها وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون فناسب هذا ذكر الجعل ولم يكن ليناسب هنا هذه
المناسبة لفظ سلك فجا كل على ما يجب ويناسب والله اعلم الاية
السادسة من سورة طه قوله تعالى ومن يعمل من الصالحا[ت]
وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما وفي سورة الانبيا فمن يعمل
من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون
فوردت اية طه منسوقة على ما قبلها بالواو والثانية بالفا
المقتضية في مثل هذا استيناف المفصل مع بنائه على ما
قبله بمقتضى القائم اعقبت الاولى بقوله فلا يخاف ظلما ولا
هضما والثانية بقوله فلا كفران لسعيه ومقصود الايتين
واحد فللسائل ان يسال عن الفرق والجواب عن الاولى
ان

ان قوله ومن يعمل بواو النسق ورد في مقابلة ما تقدمه
من المعنى الحاصل من قوله وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب
من حمل ظلما لان عنت الوجوه ذلتها في القيامة ومنه قوله
العاني للاسير فمن حمل ظلما فقد خاب وخسر ومن قدم خيرا
وعمل صالحا فلا يخاف ظلما اي زيادة في سياته ولا هضما اي
نقصا من حسناته هذا معنى الكلام والله اعلم فهذا موضع الواو
ولا مدخل فيه للفا اما قوله في اية الانبيا فمن يعمل من الصالحا[ت]
فافصاح بتفصيل احوال الفريقين لما قال تعالى وتقطعوا امرهم
بينهم والمراد اختلافهم وافتراقهم في المذاهب والاديان اتبع
ذلك تعالى ببيان حال المحسن والمسيي وحكمه وربطت الفا
ما فصل من الجزا بما وقع الجزا المفصل مربوطا به ومبنيا عليه
فالموضع للفا ولا مدخل للواو هنا واما تعقيب اية طه بقوله
فلا يخاف ظلما ولا هضما فافصاح بالتانيس المناسب لما بنيت
عليه السورة وقد وضح هذا في الاية المترجم عليها قبل التي تلي
هذه ولم تبن اية سورة الانبيا على ذلك فجي فيها بما يناسب
فورد كل على ما يجب ولا يلايم عكس الوارد ولا يناسب والله اعلم
الاية السابعة من سورة طه قوله تعالى افلم يهد لهم كم اهلكنا
قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم وفي سورة السجدة
اولم يهد لهم كم من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم فلحقت
اهلكنا

همزة الاستفهام الواردة هنا تقريرا وتوبيخا حرف العطف
متقدمه قبله كما يجب واختلف حرف العطف فللسائل ان يسال
لم اختصت الاولى بالفاء من حروف العطف والثانية بالواو
وعن زيادة من في سورة السجدة والجواب عن ذلك والله اعلم
ان قوله في الاية الاولى افلم يهد لهم كلام لم يتقدمه ما يكون هذا
معطوفا عليه وانما هو كلام مستانف مبتدا الا ترى ما تقدم قبله
من قوله تعالى اخبارا عمن اعرض عما جاءت به الرسل فقال تعالى
ومن اعرض عن ذكري اي باعراضه عن اتباع الرسل فان له
معيشة ضنكا الايات الى قوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى
هذا اخبار عن جزاء من اعرض ولم يومن ثم ورد ما بعد مستانفا
واردا مورد ما يرد من الكلام التفاتا وهذا مراد أبي محمد ابن
عطية بقوله ثم ابتدا توبيخهم وتذكيرهم فقال تعالى افلم يهد لهم
والضمير المجرور لكفار قريش ومن كان معهم اي افلم يتبين
لهم والفاعل ما يفهم من جملة الكلام وسياقه اي افلم يهد لهم
هذا المشاهد لهم الواضح من تقلبهم في بلاد عاد وثمود يمشون
في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم وكم مفعولة باهلكنا
واستمر الكلام مع المذكورين الى اخر السورة واذا كان قوله افلم
يهد لهم مبتدا مستانفا فالموضع للفاء وهذا كقوله في سورة الرعد
افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وكقوله
في

في سورة القتال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
وما اتى من مثل هذا انما الوجه فيه الاستيناف ولم يقصد عطفه
على ما قبله وانما ارتباطه بما تقدمه من جهة المعنى ولا مدخل فيه
للعطف ثم ان الالتحام حاصل من وجه اخر كما بينا واما اية السجدة
فالواو فيها عاطفة على مقدر لما قال تعالى ومن اظلم ممن ذكر
بايات ربه ثم اعرض عنها كان قد قيل افلا يذكروا ولم يتعظوا
اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي ولم يتبين لهم
اهلاك من تقدمهم من القرون قال الزمخشري الواو في اولم
يهد لهم للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف
والضمير في لهم لاهل مكة قلت وهذا هو عين ما قدمنا وانما تكون
الواو هنا لغير العطف لان الواو لا يستانف بها بخلاف الفاء كما
قدمنا فاتضح المقصد في الايتين ووضح مجيء الفاء في اية طه والواو
في اية السجدة واما زيادة من في قوله في اية السجدة من قبلهم
فانها مقصود فيها استغراق عموم لمناسبة ما تقدم هذه الاية
من حصر المسلمين في قوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون
وما اعقب به مما تضمنه قوله ان في ذلك لايات افلا يسمعون
اذ ليس هذا الوصف كالوارد في سورة طه من قوله ان في ذلك
لايات لاولي النهى فهذا اشعر بخصوص يناسب سقوط من
الاستغراق فيه وما في اية السجدة اشعر بعموم واستغراق يناسبه

زيادة من في قوله من يلهم فحمل كل على ما يجب وتناسب والله اعلم
الاية الثامنة من سورة طه قوله تعالى فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفي سورة
ق فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب فقال في الاولى قبل غروبها وفي الثانية وقبل الغروب
وفي سورة الطور واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد
ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم **فيسال** عن
الفرق **والجواب** ان ذلك والله اعلم لرعي الفواصل ومقاطع
الاي الا ترى ما تقدم قبل اية ق من قوله ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فناسب
هذا قوله وقبل الغروب واما سورة طه فقد اكتنفها اي مقاطعها
الالف المفتوح ما قبلها نطقا او تقديرا فجاء ذلك على ما يجب في
السورتين **فصل** واما قوله تعالى في السورتين فسبح بحمد ربك
فبنا على المتقدم قبلها من قوله تعالى فاصبر لحكم ربك واتصاله بين
الوضوح لان المراد امره عليه السلام بالصبر على اذاهم في قولهم
كاهن ومجنون وساحر الى غير ذلك مما نزه الله نبيه صلى الله عليه
وسلم منه فامر بالصبر على ذلك وامر ان يستعين بصبره
وصلاته كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وهو المراد
ايضا هنا وعن الصلاة عبر بالتسبيح في قول اكثر المفسرين
وان

وان اريد بالتسبيح معنى التنزيه بالذكر المعروف فذلك ايضا
بين والمعنى متقارب ويكون مامورا بالصبر والذكر والتنزيه
بالالهام بين وانما اشكل قوله تعالى في سورة ص اصبر على
ما يقولون واذكر عبدنا داود الاية وربط قوله واذكر عبدنا
داود بما قبله ومطابقته اياه وقد اجاب الزمخشري عن ذلك
بما جرى فيه على تشنيع المرتكب وسوء الادب بنا على استبداد
العبد وفعلهم بما لا يرضاه الخالق سبحانه ولا يريد فجعل لله
شركا وافرد العباد بافعالهم استبدادا وملكا واجاب بناء
على ما اصل ولم يوفق في هذا الموضع لوجه المطابقة ولا تحصل
واذكر ان شا الله تعالى في اول اية من سورة ص على اوضح
منهج بحول الله تعالى **سورة الانبيا** عليهم السلام **الاية الاولى**
منها قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه
وهم يلعبون وفي سورة الشعرا وما ياتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين فورد في الاولى من ربهم وفي
الثانية من الرحمن مع اجتماع الاسمين في ان الذكر لا يجري
على من ذكر في الاسمين **فللسائل** ان يسال عن الوجه في ذلك
والجواب والله اعلم ان هذين الاسمين العظيمين وهما
الرب والرحمن يوردا في الكتاب العزيز كثيرا اول ذلك في
الفاتحة ثم ان اسمه سبحانه الرحمن يغلب وروده حيث يراد

الاشارة الى العفو والاحسان والرفق بالعباد والتلطف بالتأنيس
فمن موارده في التأنيس البسملة وام القران وصدر سورة
طه واية الشعرا المتكلم فيها وما ورد من مثل الوارد في سورة
الفرقان في قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن فتحقيق
الاعتبار يقتضي تاويله بالرجوع الى ما ذكرناه واما اسم الرب
فيعم وروده طرفي الترغيب والترهيب اما الترغيب فبين
واما الترهيب فحيث يراد معنى ملكيته سبحانه لهم وانفراده
بايجادهم وادرار ارزاقهم وبيان انفراده تعالى بذلك ثم هم
مع ذلك على كفرهم ولما تقدم قبل اية الانبيا من الاخبار بما طيه
وعيد وترهيب مع تلطفه سبحانه بهم فذكرهم لم يكن ليناسب
ذلك ورود اسمه الرحيم الا ترى ان قوله تعالى اقترب للناس
حسابهم اشد تخويف للمخاطبين ثم لفظ الناس لفظ لا يخص
به المومنون انما يرد حيث يراد عموم المخاطبين ويكثر حيث
يراد الوعيد والانذار والتخويف والدعا الاولى الى العبادة
او الدخول في الاسلام واما من ذكر بعد وصفه بالغفلة والا(عراض)
وبالتوبيخ ذلك فاهل الكفر والتكذيب والسورة مكية ولفظ
الناس كما تقدم الان قوله بعد واسروا النجوى الذين ظلموا
خاص بمن حكى قولهم الذين اسروا وهو هل هذا الا بشر مثلكم
افتاتون السحر وانتم تبصرون واما اية الشعرا المبنية على
بالتأنيس

بالتأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم واعلامه ان توقف قومه عن
الايمان انما هو بقدرته تعالى عليهم ولو شا لاراهم اية تبهرهم
كنتق الجبل فوق بني اسرائيل والى هذه الاشارة بقوله تعالى
ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ثم رجع الكلام الى تعنيف المكذبين فلما كان بنا الاية على
التأنيس والتلطف بنبينا صلى الله عليه وسلم واعلامه بتاخير
العذاب عليهم انما هو ابقا منه تعالى ليستجيب من قدر له
الايمان منهم فاشار الى هذا وناسبه اسم الرحمن فقال تعالى
وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
فهذا وضح ورود كل من الاسمين في موضعه على ما يجب ويناسب
والله اعلم بما اراد **الاية الثانية** قوله تعالى واذا راك الذين
كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم
بذكر الرحمن هم كافرون وفي سورة الفرقان واذا راوك ان
يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا
عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها الاية فيها **سوالان** احدهما
ظهور الفاعل في الاية الاولى واضماره في الثانية **و**الثاني ما وجه
تعقيب الاية الثانية بما اعقبت به **والجواب** عن الاول والله
اعلم ان الكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن تقدم
قبل اية الانبيا فيما يليها من اي السورة او يقرب منها خطاب

بعينهم وخصهم من غيرهم اما تقدم قبلها قوله اولم ير الذين كفروا
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وهذا شامل لكل
كافر مكلف ذي عقل كان من العرب او غيرهم معاصرا او غير
معاصر ثم لم يقع بعد هذه الاية ما يعارض عمومها فلهذا تعين
اظهار الفاعل في قوله واذا راك الذين كفروا اذ لو قيل واذا راوك
لما كان يمكن رجوعه الا للمذكورين قبل في قوله اولم ير الذين
كفروا وليس خاصا بالمعاصرين فلم يكن ليناسب اما اية الفرقان
فقبلها قوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة
والمنزل عليه القران معلوم صلى الله عليه وسلم والقائلون معاصروه
وهم الذين عموا على القطع بقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القران الاية فلما تقدم ذكرهم عموما متناولا غيرهم وتعينوا
بالذكر واحتيج بعد الى الاخبار عنهم اتى بضميرهم اذ هو اوجز
وقد علم فقيل واذا راوك ولم يكن الاضمار ليناسب في اية الانبيا
ولم يكن الوجه الا الاظهار هنا فورد كل على ما يجب ويناسب والله
اعلم **والجواب** عن السوال الثاني انه لما تقدم في سورة الانبيا
قوله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون وقوله لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله ام اتخذوا من دونه الهة فتكرر
ذكر مرتكبهم في اتخاذهم معبودات لا تغني عنهم ناسبه قولهم
اهذا الذي يذكر الهتكم اما اية الفرقان فقد تقدمها قوله مال هذا

الرسول

الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فانكروا كون الرسل
من البشر وقد رد ذلك عليهم بقوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فوضح التناسب
فيما تقدم والله اعلم **الاية الثالثة ع** قوله تعالى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ما ينذرون قراءة الجماعة الا ابن عامر ولا يسمع الصم
الدعاء وابن عامر ولا تسمع الصم الدعاء بضم التاء وفتح الميم من الصم
وفي النمل والروم ولا تسمع الصم الدعاء قراءة ابن كثير بفتح الياء ورفع
الميم كقراءة الجماعة في اية الانبياء وقراءة الباقين ولا تسمع الصم
بضم التاء وفتح الميم كقراءة ابن عامر في الانبياء فاستوت الاي الثلاث
في ورود القراءتين على الجملة وفي المعنى المقصود ثم خصت الاولى
بقوله اذا ما ينذرون واية النمل والروم بقوله اذا ولوا مدبرين
فيسال عن ذلك **والجواب** والله اعلم ان اية الانبياء تقدمها
امره صلى الله عليه وسلم بخطاب خاص به وانذارهم بما اوحي اليه
واعلامه بان انذاره اياهم لا يجدي عليهم تسلية له صلى الله عليه وسلم
واعلام بما سبق لهم اولا فقال تعالى قل انما انذركم بالوحي ثم قال
لهم ولا يسمع الصم الدعاء فاعلمهم باعلام الله تعالى بانهم صموا عن
سماعه ومنعوا ثمرته من الاجابة لما سبق عليهم فقال اذا ما
ينذرون اي انهم وقت انذارهم ممنوعون عن السمع
كما قال تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي

اذانهم وقرا ولما ورد قبل اتى النمل والروم قوله تعالى فانك لا تسمع
الموتى الحاقا لحال المخاطبين بهم فى عدم الجدوى عليهم ناسب
ذلك قوله اذا ولوا مدبرين فورد المناسب فى نظام هذه الاى
وان عكس الوارد لا يناسب والله اعلم **الاية الرابعة** قوله
تعالى فى ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها
عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين وفى سورة الشعراء واتل
عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او
ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فورد فى
الاولى قالوا وجدنا اباءنا وفى الثانية قالوا بل وجدنا اباءنا **فيسال**
عن زيادة بل فى الثانية وقد يسال عن المختلف من مكانه قول
ابراهيم عليه السلام فى الاولى ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون
وفى الثانية ما تعبدون وظاهر القصة انها واحدة وقد اختلف
المحكى **والجواب** عن الاول والله اعلم ان جوابهم فى الوجهين
ليس جوابا بالسوال واحد وانما وردجوابا لسوالين فاختلف
بحسبهما فسواله فى اية الانبياء سوال مطلع على معبوداتهم
ماهى بعد ان شاهد شهادتهم لها ولزمهم اباها وكيفية صورها
فقال ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون اى ملازمون فلم
يجدوا جوابا الا اعترافهم بتقليد اباءهم فى عبادتها فجاوبوه
بقولهم

بقولهم وجدنا اباءنا لها عابدين وحصل اعترافهم بانها تماثيل مصورة
منحوتة والتمثال ما جعل من الصور مثالا لغيره ويحكى به
نحوه فاقروا بالعجز عن جواب مقنع واستشعروا ما يلزمهم فى
عبادة ما يصنعونه بايديهم وتقدم وجودهم وجوده فرجعوا الى
التقليد فوقع جوابهم على ما تقدم واما اية الشعراء فان سوال
ابراهيم عليه السلام اياهم بقوله ما تعبدون ورد مورد سوال عن
ماهية معبوداتهم وكيفيتها وكانه عليه السلام يشاهدها
وعلم انهم يعبدون ما لا يعبد فسالهم عن ماهيته فجاوبوه
بقولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فجاوبوه معترفين بماهية
معبوداتهم على ما امرهم عليه وطابق جوابهم سواله فاردف
عليه السلام بسوال اخر قاصدا تعجيزهم والتطميع بهم فقال
هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون اى ان كانوا
هكذا مستبدين غير مفتقرين فذلك عذر فى عبادتكم اياهم فلما
استشعروا ما يلزمهم عن الجواب واضربوا عن طرفى الاثبات
والنفى فى تقليد الاباء قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وخيل
من جوابهم مفهوم الاضراب ببل ان الهتهم لا تسمع ولا تنفع
ولا تضر اذ لو نطقت بوجود هذه الصفات لما عدلوا عن الاضراب
فان قيل انما اضربوا ان يجيبوا بنفى او اثبات فكيف يقال ان اعترافهم
حاصل بانها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فالقول لو وجدوا ادنى

جوابا

شبهة ليترامّوا اليها فقد وضح ان جوابهم هاهنا على ما ينوبه جوابا
بانها لا تنبح ولا تشفع ولا تضر ثم استمروا على عبادتهم اياها
فاضربوا عن ذلك الى اعتقادهم على تقليد ابائهم وجعلوا ذلك
حجة على مرتكبهم على وهن هذا المتعلق ولهذا قيل لهم لقد كنتم
انتم واباؤكم في ضلال مبين فقد تبين ان جوابهم هنا بما لا يتم
لما قصدوه لا يمكن سقوطها واما جوابهم في اية الانبياء لا يمكن فيها
بل بوجه فورد كل على ما يجب ويناسب والله اعلم **والجواب** عن
السؤال الثاني انه لا حامل على القول بان القصة واحدة واذا امكن
ان يكون ذلك في مجلسين ووقتين لم يلزم اتحاد الجواب ولا سؤال
والله اعلم **الاية الخامسة** قوله تعالى وارادوا به كيدا فجعلناهم
الاخسرين وفي والصافات وارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين
هنا **سؤالان** ما وجه الاختلاف مع اتحاد المقصود في الموضعين
والثاني ما وجه اختصاص كل موضع بما ورد فيه **والجواب**
عن السؤالين معا ان الخاسر عندنا من فقد ما بيده من سبب او
مال كان يعتمده لابتياه ومعاشه او يحاوله يسرب عليه فبات
حاله لذلك ومهما استحكمت حاله في ذلك كان اخسر وقد جعل
سبحانه الخسران المبين من خسر الدنيا والاخرة واعلمنا تعالى
ان الاخسرين من لا نقيم لهم وزنا في القيامة قال تعالى قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الى قوله فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم
القيامة

القيامة وزنا فلا ادون حالا من هؤلاء ولما اراد قوم ابراهيم عليه
السلام الكيد اخذهم تعالى بها ولا عقوبة توافق مرتكبهم وسوء
اعمالهم والاخسرون هم الاسفلون ولهذا كان مطلوب الكافر
في الاخرة وتمنيه لو بلغه الحاق من اضله من الجن والانس بهذا
النمط قال تعالى مخبرا عن حالهم في الاخرة ربنا ارنا اللذين اضلانا
من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين
فالصفتان من الخسران والسفالة غاية حال الكافر ومن
كان من الاسفلين فقد خسر خسرانا مبينا فلما تصادق الصفتين
سوى ان المسفول لاحق في ذات السفل والخسران حقيقته
في خارج عنه فالمسفول ابلغ لعدم ما هو لاحق خارجي واخر
ما لا يتعدى ذات المتصف به تكملة وتتمة اذ هو ابلغ ما يجب
وعلى ما قدمناه من رعي الترتيب والتسفل ضد الترقي فورد كل
على ما يجب ويناسب وقد روعي في ايات الصافات مقابلة قولهم
ابنوا له بنيانا لانه يفهم منه ارادتهم علو امرهم بفعلهم ذلك فقوبلا
بالضد فجعلوا الاسفلين قال معناه صاحب الدرة وهو حسن
والله اعلم **الاية السادسة** قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني
مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من
ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين
وفي سورة ص واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان

هو الفاضل الراغب الاصفهاني وكتابه درة التاويل في متشابه التنزيل

بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا
له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب ففي اية
الانبيا رحمة من عندنا وفي اية ص رحمة منا وفي اية الانبيا وذكرى
للعابدين وفي سورة ص لاولي الالباب **يسال** عن الفرق
في الموضعين ووجه الاختصاص **والجواب** على الجملة والله
اعلم انه لما ورد في الانبيا تلطف ايوب عليه السلام بقوله مسني
الضر وانت ارحم الراحمين فلما تلطف في سواله ولم يفصح عليه
السلام تلطفا وتضرعا بعظيم ما اصاب من البلا افصاحه في اية
ص بقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب فبني كل على ما يناسب
فقيل جوابا على عظيم تضرعا وتلطفه في قوله مسني الضر ما يلايم
لطف هذه الشكوى وعلى قوله مسني الشيطان بنصب وعذاب
ما ناسب افصاحه بهذه الشكوى فقيل بنا على الاولى فكشفنا
ما به من ضر وقيل بنا على الثانية اركض برجلك لما وقع ذكر
الشيطان وانه السبب في ذلك ولا امتحان وجوب باستعمال
سبب فقيل له اركض برجلك واغتسل بذلك يذهب عنك ما
مسك به الشيطان وحين لم يذكر عليه السلام واسطة حدوث
برح ما به بغير واسطة سبب فقيل جوابا لقوله مسني الضر فكشفنا
ما به من ضر وبني على الاول قوله رحمة من عندنا لتمكن عندية
قصد وعلى الثاني رحمة منا اذ ليس موقعها موقع من عندنا ثم
قيل

قيل في الاولى وذكرى مناسبة لما تقدم وقيل في الثانية لاولي
الالباب مناسبة ايضا لما تقدم اذ اعتبار اولي الالباب يورثهم
مقام العابدين وهو اسنى مقام ووضح ان كلا من هذه المبنيات
على ما قبلها لا يلايمه غير ما بني عليه والله اعلم واما وجه خصوص
الواقع في كل من السورتين بموضعه فان سورة الانبيا لما ورد
فيها من قصص الانبيا المذكورين قبل ذكر ايوب عليه السلام
اعلى مقاماتهم ولم يرد في ذلك ما يخرج عن هذا وذلك من لدن
قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده الى قوله وكنا له حافظين ناسب
ذلك من قصة ايوب عليه السلام ما يلايم هذا الغرض ولما ورد
في ص ما بني عليه قوله تعالى وظن داود انما فتناه الى قوله فغفرنا
له ذلك الاية وما بني عليه قوله ولقد فتنا سليمان والقينا على
كرسيه جسدا الى قوله قال رب اغفر لي ناسب ذلك ايضا ما
اعقب به من قصة ايوب عليه السلام فتامل الوارد من قصص
داود وسليمان في الانبيا وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
الى قوله فهل انتم شاكرون والوارد من قصصها في سورة ص
واعتبر ذلك فان الفرق في ذلك بين قد نزل على كل من هذه
القصص في السورتين ما ناسبهما من قصص ايوب واذا
استوضحت ذلك علمت ان كلا منهما لا يناسبه غير موضعه
ثم ان كلا من الايتين في السورتين قد جرى على ما اتصل به مما

تقدمه به وتاخره عنه من فواصل الاي ومقاطعها فلو وردت
على العكس لما ناسب اية منها ما اتصل بها فحصل التناسب
في اللفظ والمعنى على اوضح شي وانه لا يمكن عكس الوارد على ما
قد تمهد بوجه والله اعلم بما اراد **الاية السابعة** من سورة الانبيا
قوله تعالى والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وفي
سورة التحريم ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه
من روحنا **يسال** عن وجه الاختلاف في الضميرين مع اتحاد المعنى
المقصود من الواقع به الثنا وان اختلف الحامل على ذكر قصتها في الموضعين
وعن وجه اختصاص كل واحد من الموضعين بالوارد فيه **والجواب**
عن الاول والله اعلم هو تسليم اتحاد المعنى الواقع فيه الثنا ان
الضمير في الاول عائد الى ما اشير اليه بالموصول الذي هو التي
وهي مريم ابنة عمران المفتتح باسمها في اية التحريم ثم اعيد
الضمير هنا اليها من حيث ان ذلك تخصيص وتكريم جليل وانه
باهرة وقد قصد هاهنا تشريفها وتشريف ابنها عليهما السلام
بالذكر في قوله وجعلناها وابنها اية ولم يقع في اية التحريم ذكر
ابنها فلما اتسع المقصود هنا بذكر من لم يذكر هناك وقصد من
التشريف ما هو اكثر ناسبه التوسعة في عودة الضمير فاعيد الى
الذات المطهرة بجملتها فقيل فنفخنا فيها وافهم ذلك ما افهمه
الضمير الخاص بمحل النفخ من غير اشكال وقيل في اية التحريم

فيه

فيه لعودته للموضع المخصوص على ما يجب اذ لم يقصد هنا
من توسيع المدح ما قصد في الاولى وانما قصد في اية التحريم تخصيصها
في ذاتها بتعظيم ايمانها وتصديقها واثباتها في القانتين وتشبيه
حالها في سابق سعادتها بالمذكورة قبلها واجتماعهما في ضرب
المثل بها للمومنين فالحامل على ذكرها هنا غير الحامل في
سورة الانبيا مع اتحاد الوصف الواقع فيه التمدح هنا مع تناظر
الالفاظ وتشاكلها وهي قوله التي احصنت فرجها فنفخنا فيها
من روحنا وجعلناها وابنها فاجتمع في هذا الموضع ما قصد من
مدحها ومدح ابنها عليهما السلام مع مضارعة الالفاظ وتشاكلها
فجا على ما يجب فيه ولم يقصد في اية التحريم غير ذكرها بالحال
التي ناسبتها فيه امراة فرعون ولم يوسع الكلام بذكر ابنها عليه
السلام كما ذكر في الاخرى ولا هنا داعية تشاكل كما هناك فلهذا
ورد الضمير على ما ورد من الخصوص فقيل فيه **والجواب**
عن اختصاص كل واحد من الموضعين بالوارد فيه ان اية الانبيا
وردت مسوقة على ايات تضمنت جملة من الرسل موصوفين ذكر
بخصائص علية وايات نبوية اولهم ابراهيم عليه السلام وابنه
اسحق وابنه يعقوب ثم نوح ولوط وداود وسليمان وايوب
واسمعيل وادريس وذو الكفل وذو النون وزكريا فلما ذكر
هولا الجلة عليهم السلام بخصائص ومنح ناسب ذلك ذكر

مريم وابنها عامنحا عليهما السلام واما اية التحريم فمقصود فيها
ذكر عظيمتين جليلتين تبين بهما حكمة سعيه الفوز
بالايمان والكفر وهما قضيه امراتي نوح ولوط وان انصوابهما
الى هاذين النبيين الكريمين عليهما السلام انضوا الزوجيه
التي لا اقرب منها ومع ذلك لم يغنيا عنهما من الله شيا وقضيه
امراة فرعون وقد الى الكفر كافر فلم يضرها كفره ثم ذكرت
مريم عليها السلام للاكتفا في الاختصاص وسبقه السعادة
ولم يدع داع الى ذكر ابنها فلا وجه لذكره واما اية الانبيا فلا ذكره
هناك اوضح حامل فجا كل على ما يجب ولا يمكن فيه عكس الوارد
والله اعلم **الاية الثامنة** من سورة الانبيا قوله تعالى وان هذه
امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم
كل الينا راجعون وفي سورة المومنين وان هذه امتكم امة
واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب
بما لديهم فرحون **للسايل** ان يسال عن قوله في الاولى فاعبدون
وفي الثانية فاتقون وفي الاولى وتقطعوا وفي الثانيه فتقطعوا
وفيها ايضا زبرا ولم يرد ذلك في الاولى واتبعت الاولى بقوله
كل الينا راجعون والثانيه بقوله كل حزب بما لديهم فرحون
فهذه اربعة مواضع يسال عنها **فاقول** ليهتدي الجواب الامه
هنا الملة وقوله وان هذه اشارة الى ملة الاسلام قال الزمخشري
اي

اي ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون
عنها ملة واحدة وانا الهكم اله واحد فاعبدون والخطاب للناس
كافة قال والاصل وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على
طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى الاخرين ويقبح
عندهم فعله ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هاولا في
دين الله قال والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما
تتوزع الجماعة الشي ويقتسمونه فيصير لهذا نصيب ولهذا
نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى
ثم توعدهم ان هاولا الفرق المختلفه اليه يرجعون فهو محاسبهم
ومجازيهم هذا معنى كلامه ونرجع الى الجواب فنقول **الجواب** عن
الاول ان سورة الانبيا لم يرد فيها ذكر التقوى في امر ولا حض
من اولها الى اخرها وورد فيها الامر بالعبادة في قوله وما ارسلنا
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون واما سورة
المومنين فتكرر فيها ذكر التقوى في ثلاثه مواضع اولها ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
افلا تتقون وفي القصة التاليه لهذه فارسلنا فيهم رسولا منهم
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وفيما بعد الاية
المتكلم فيها قل افلا تتقون فروعي في الاولى ما تقدمها وروعي
بالثانيه ما اكتنفها وايضا فان العبادة مامور بها المحصل الاتقا

فهي مقدمة في الطلب لتحصيل ما يتسبب عنها اذا كانت الاجابة
وعلى ذلك ورد دعا الخلق قال تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون وفي سورة المومنين
المذكورة ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره افلا تتقون فالاتصاف بالتقوى بان عن
الاتصاف بالعبادة فقيل في الانبيا فاعبدون وفي سورة
المومنين فاتقون رعيا لما ذكر وعلى مقتضى الترتيب وايضا
فانا اذا اعتبرنا ما قدم من قصص الرسل في سورتين وجدنا
الوارد في سورة الانبيا مقصودا على ذكر محنهم وتخلصهم
وتاييدهم من لدن قوله تعالى في ابراهيم ولقد اتينا ابراهيم رشده
الايات الى قوله وكانوا لنا عابدين فتضمنت هذه الاية قصة
عشر نبيا اولهم ابراهيم واخرهم من اعقب ذكره بالاية المذكورة
وقد اقتصر من قصصهم في هذه الاية على ما يطلع المومنين على
تكلفه سبحانه بالمصطفين من عباده وما اختصهم به ولم يرد
مع ذلك تكذيب قومهم لهم ولا ما يرجع الى هذا وكل هذا ما يعس
وذكر نعم والالاء والمصاف يناسبها قوله فاعبدون لكونه امرا
بالعبادة مجردا عما في قوله فاتقون من التخويف واما الوارد في
سورة المومنين فتضمن الطرف الذي عدل عنه في سورة
الانبيا وهو ذكر جواب الامم للرسل وقبيح تكذيبهم اياهم وشنيع

ردهم

ردهم وقبيح مقالهم كقول قوم نوح عليه السلام ما هذا الا بشر مثلكم
يريد ان يتفضل عليكم الى قوله ما سمعنا بهذا في اباينا الاولين ان
هو الا رجل به جنة ثم بالغوا في الاستهزا بقولهم في اخبار الله تعالى
عنهم فتربصوا به حتى حين وقول اهل القرون المذكورين بعد
قوم نوح لنبيهم ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم الى قوله ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين وقوله تعالى لما تواتر ذكر
ارسال الرسل وتكذيب قومهم لهم فقال تعالى كلما جاء امة رسولها
كذبوه الى قوله فبعدا لقوم لا يومنون وقال تعالى مخبرا عن قوم
موسى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فناسب هذا التخويف
قوله عقب هذا فاتقون كما ناسب ما قدم في سورة الانبيا قوله
تعالى فاعبدون ولم يكن ليناسب ورود واحدة منهما موضع
الاخرى فجا كل على ما يجب ولا يمكن خلافه والجواب عن
السوال الثاني وهو الفرق بين قوله في سورة الانبيا وتقطعوا
وفي سورة المومنين فتقطعوا بالفا المعقبة انه ورد في اي
الانبيا قبل هذه الاية ما يسلي نبينا صلى الله عليه وسلم قوله وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقوله فاسالوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون ثم قال وما جعلناهم جسدا الى قوله ثم صدقناهم
الوعد الايات فتنبهوا على السوال ثم ذكر من قصص الانبيا وتخه

واجلالا لمن اعتبر واورد ذلك ايراد المتلطف بذكر تخلص اولئك
العلية عليهم السلام وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا ويطير هذا قوله تعالى وكذلك ارسلناك في امة قد خلت
من قبلها امم لتتلوا عليهم الذى اوحينا وهم يكفرون بالرحمن الاي
في قوة ان لو قيل لمن نبعث لهم وهم يكفرون بالرحمن فهو سبحانه
يبين لتنبيه احوال الامم مع الرسل مع مشاهدة الايات تانيسا
له صلى الله عليه وسلم وتاكيدا بالصبر على قومه فعلى المنهج جرى
الوارد من قوله وتقطعوا امرهم اى شتتناهم على السوال
واوضحنا امر من بعدهم وعاقبة الاستجابة لمن تمسك بهدي
المذكورين وهم مع ذلك على عنادهم واعراضهم وكان الكلام
وارد مورد التعجب من امرهم ولم تشبه شدة الوعيد لمعنى
رجاه صلى الله عليه وسلم في استجابتهم فلم يخل مقتضى الكلام مع
الاخبار بتفرقهم عن بعض ايماء تانيس مناسبا لما تقدمه
ولهذا لم يقع بعد الاية ما يحمل تصميم على الكفر ولا معان في
طرق التخويف الوارد في اية المومنين من قوله كل حزب بما
لديهم فرحون الى قوله بل لا يشعرون وفى اية الانبيا ابقا
اما قوله في اية المومنين فتقطعوا فمنزل مع ما قبله منزله قوله
في سورة النحل ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
الى

الى قوله ومنهم من حقت عليه الضلالة وهذا وعيد شديد لمن
حقت عليه كلمة ولم تجد عليه الذكرى فكان مجموع هذه الاى في
قوة ان لو قيل لهم قد بين لكم واطلعتم على حال من كذب وخوطبتم
بما قيل للرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وملة الكاملة واحدة
وانتم تومروا بما لا تطيقونه فتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة
على طريقة الالتفات كما تقدم في سورة الانبيا فقيل فتقطعوا
امرهم اي فافترقوا وما اجدى عليهم القران شيا فهذه الاية
اشد في التخويف والترهيب من الاخرى وكل يناسب ما قبله ولو
وردت احداهما موضع الاخرى لما ناسب والله اعلم والجواب
عن السوال الثالث ان قوله في سورة المومنين زبرا تاكيدا
لافتراقهم واصابه على الحال الواردة بيانا وتاكيدا لقبح تفرقهم
وتشنيع مرتكبهم فناسب ذلك مقصود هذه الاية لما هنا من
التخويف والانذار ولم يكن ليناسب اية الانبيا لبنائها على غير
ما قصد هنا لتقدم ما اشير ما تعين نبينا صلى الله عليه وسلم وتعزيته
بما منح سبحانه سعدى الرسل وما اعطيهم صبرهم على اممهم
وهو صلى الله عليه وسلم قد قيل له اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده فعلم له صلى الله عليه وسلم في سورة الانسان قصصهم
ما ثبت فواده وصار حليل هذا التانيس مما بنيت عليه السورة
وعلى ذلك جرت سورة مريم وسورة طه على ما مهدته وبسطته

في ترتيب بعض السور الكريمة من حيث الاشارة الى ما ذكر
ولم يكن ليناسب ذلك ما كثر افتراقهم وتشتتهم ولما رجع
الكلام للاية الثانية بعد تثبيته صلى الله عليه وسلم وتانيسه
الى التعريف بمرتكبات الامم وذكر ما استحقوا به ما عوقبوا به وان
كلا من المكذبين اخذ بذنبه كان ذلك مظنة ما كثر المرتكب فعل
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا والله اعلم **والجواب** عن السوال
الرابع ان تعقيب اية الانبيا بقوله كل الينا راجعون وان كان
وعدا وتهديدا فليس في شدة التهديد وتخويف الوعيد كالواقع
في سورة المومنين يوضح ذلك ويبينه ما اتصل بكل من الايتين
من قوله في اية الانبيا بقوله فمن يعمل من الصالحات وهو مومن
فلا كفران لسعيه فذكر عند ذكر رجوعهم اليه سبحانه جزاء من
اجاب واحسن وطوى الكلام عن الافصاح بحكم الطرف الاخر
من ذكر من اسا فلم يجر لهم ذكر يفصح به كما في الطرف الاخر مع ان اجمال
قوله تعالى كل الينا راجعون يقتضي ان لو فصل فالمومن حكمه
كذا والكافر حكمه كذا ولكن كالمفصح به فلما كان في اية الانبيا ما
قد بين من ابقا ناسب هذا التانيس باب ذلك اعطا الكرم وعلم
ذكر بعض الاحسان فلبس قوله كل الينا راجعون وما اعقب
به من قوله فمن يعمل من الصالحات وهو مومن الاية كقوله في
اية المومنين فذرهم في غمرتهم حتى حين وقوله ايحسبون انما
نمدهم

نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
فقد وضح مناسبة المتبع به في كل من الايتين لما تقدمه ولم
يكن ليناسب عكس الوارد والله اعلم **سورة الحج الاية الاولى**
منها قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير
مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل
العمر الاية وفي سورة المومن هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا
ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا ولعلكم تعقلون ففي
الاولى ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام
ما نشا الى اجل مسمى ولم يقع التعريف بهذه الاحوال من الانتقال
من العلقة وهو الدم المنعقد المتغير عن النطفة وهو هنا المني
المستحيل يصير هنا دما جامدا ثم يصير مضغة والمضغة قطعة لحم
قدر ما يمضغ مثله ثم قد يتم الله سبحانه خلق تلك النطفة ويخططها
ويصورها على ما شا من هيئة وصورة ولونية كما قال تعالى
يصوركم في الارحام كيف يشا وقد لا يتم فيقتص من خلقها
ما شا من الاعضا والحواس والى هاتين الحالتين الاشارة
والله اعلم بقوله مخلقة وغير مخلقة اي تامة الخلق وغير تامة

فاشار بتضعيف لفظ مخلقة الى هذا فصل مخلقة وغير مخلقة اما السقط
المولود لغير التمام فحاصل من مفهوم قوله تعالى بعد ونقر في الارحام
ما نشا اذ مفهوم هذا والله اعلم ان بعض ذلك لا يقره الله تعالى
وهو السقط هذا والله اعلم مفهوم قوله ما نشا ودليل خطابه اما
قوله مخلقة وغير مخلقة فمصرفه والله اعلم الى ما قدمناه وقوله الى اجل
مسمى اي الاجل الذي يشا تعالى ابراز الموجود فيه وولادته فهذه
الانتقالات والاحوال قد احصت بها هذه الاية ولم يرد في اية سورة
المؤمن مع التادي من اتحاد المقصود في الموضعين **فللسائل**
ان يسال عن وجه ما ورد في كل من الايتين **والجواب** والله
اعلم ان اية سورة الحج مقصود فيها اقامة البرهان على البعث
الاخروي وبسط الدلالات على كيفيته وارغام منكريه الا ترى
ان هذه الاحوال والانتقالات على ما وضح من التدريج لا يكون الا
من فاعل قادر مختار عليم حكيم وقد فسر مقصود هذه الاية وزاده
ايضاحا قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه الاية وقال تعالى
كما بدانا اول خلق نعيده الاية ويزيد هذا المقصود ايضا بيانا
تعقيب اية الحج بقوله وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج فهذا احيا بعد
موت ثم قال تعالى ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه
على كل شيء قدير فقابل هذا التعقيب وافتتاح الاية بقوله يا ايها
الناس

الناس ان كنتم في ريب من البعث واعتبر بما انطوت هذه الاي
عليه يلح لك ما قدم من مقصودها اما اية سورة المؤمن فلم
تتجرد لهذا الغرض وان تضمنت ذلك بالاخبار وانما ساقها
على تذكير الخلق وتنبيههم على وحدانيته سبحانه وانفراده
بالخلق والامر وتنزيهه عن الشركا والانداد وهي ما عبد من
دونه تعالى وتامل ما بعدها من لدن قوله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس الى الاية المذكورة وما بعدها يبين
لك ما قصد هذه الاية وانما اختصت عن اية سورة الحج بما ذكرنا
واختصت تلك بما تقدم فلذلك زيد فيها من التفصيل ما تقدم ولم
يكن عكس الوارد ليناسب والله اعلم بما اراد **الاية الثانية** قوله
تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقيل لهم
ذوقوا عذاب الحريق وفي سورة السجدة كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقيل ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
هنا **سؤالان** قوله في اية الحج من غم ولم يرد ذلك في سورة السجدة
والثاني ما اعقب به كل من الايتين **والجواب** عن الاول
زيادة قوله من غم في الاية الاولى مناسب لما ورد قبله وبعده
من تفصيل الحال في المطرودين بعد ذكر الحالين من نعيم او عذاب
كما قال تعالى والذين كفروا قطعت لهم   من نار يصب من
فوق رءوسهم الحميم الى قوله ولهم مقامع من حديد وقال في الطرف ان

الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات الى قوله ولباسهم فيها حرير
ففصل حال هؤلاء وهؤلاء فناسب هذا زيادة من غم ونظير
هذا التفصيل قوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم
نارا الاية ثم قال والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار الى قوله ظلا ظليلا والاطناب
يناسب الاطناب ولما قال في سورة السجدة اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون
واما الذين فسقوا فماواهم النار فلم يقع تفصيل في الطرفين واوجز
الكلام ناسب الايجاز فلم يرد هنا قوله من غم ونظير هذا في الحار
الجزا قوله تعالى في الطرفين فان الجحيم هي الماوى وقوله فان
الجنة هي الماوى فلم يقع وصف في الجزا ولا تفصيل فهذه كانه السجدة
من غير فرق والاطناب في التفصيل زيد في اية الحج ما حذف للايجاز
في اية السجدة وورد كل على ما يجب ويناسب ولم يكن عكس
الوارد على ما تمهد **والجواب** عن الثاني ان اية السجدة تقدم ما قيل
فيها واما الذين فسقوا والفسق الخروج وقد يكون الى المعصية
دون الكفر ويكون للكفر وهو المراد هنا فاعقب الاية بما
يرفع الاحتمال ويوضح ان فسقهم الى الكفر حين كذبوا بالوعد
والوعيد الاخراوي فقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به
تكذبون اما اية الحج فتقدم قبل ذكر الافصاح بكفرهم في قوله فالذين
كفروا

كفروا فلم يحتج الى التعريف بعد الوارد في سورة السجدة فجاء كل
على ما يجب ويناسب ونظير الواقع في اية السجدة من وصف
النار واتباعها بصفة المعذب بها قوله تعالى في سورة سبا فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون لما نزل عذابهم على
الظلم والظلم يقع على الكفر وما دونه فاتبع الوعيد ما يبين ان
المراد ظلم المكذب والكفر لا ظلم معصية دون الكفر كما تبين في
سورة السجدة ان المراد بالفسق فسق الكفر لا فسق معصية
دونه فوضح ما قلته والحمد لله فاما ما وقع في هاتين الايتين من
التذكير والتانيث في الموصول والضمير في قوله الذي كنتم به
وقوله في الاخرى التي كنتم بها مع التساوي فيما جرى عليه الوصف
فان ذلك لرجوع الوصف في اية السجدة الى العذاب وهو مذكر
ورجوعه في اية سبا الى النار وهي مونثة وسنذكر وجه التخصيص
في سورة سجدة لقمان **الاية الثالثة** قوله تعالى وكاين من قرية
اهلكناها وهي ظالمة وقال تعالى بعد هذا وكاين من قرية امليت
لها وهي ظالمة **يسال** عن الفرق الموجب لاختلاف الواقع في الايتين
والجواب ان الاية الاولى مرتب على ما ذكر قبلها مما اهلك من القرون
والامم السالفة بتكذيبهم للرسل من قال فيهم بعد تفصيل ذكرهم
فامليت للكافرين ثم اخذتهم واما الاية الثانية فوقع فيها ذكر استعجالهم

بالعذاب تكذيبا واستبعادا في قوله ويستعجلونك فعرفوا ان ما اخره
عنهم املا للمكذبين به انما نملي لهم ليزدادوا اثما وبيّن لهم ان
حالهم في التكذيب واستبعاد وقوع العذاب قد جرى لمن تقدمهم
من المكذبين ثم جاءهم ما كذبوا به وحل بهم ما استبعدوه فقال
تعالى وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها فاستعجالهم
اوجب تعريفهم بحال غيرهم ممن ناسب لعلهم يذكرون ثم زاد
ذلك بيانا قوله والي المصير وكان الكلام في قوة ان لو قيل لهم انما
يعجل من يخاف الفوت اما اذا كان مرجع الكل ومصيرهم اليه فما
ياخذ المكذب متى شاء وان اخره فاملاء لزيادة محنته فوضح ما
بين الايتين وانه لا يتكلم على ما تمهد وقوع واحدة منها في موضع
الاخرى والله اعلم الاية الرابعة من سورة الحج قوله تعالى وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون وفي سورة السجدة يدبر الامر من
السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
وفي سورة المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة يسال عن وجه الفرق وما معنى تقدير اليوم
بما ذكر تعالى والجواب عنه والله اعلم ان المراد تبيين افعاله
سبحانه وانه لا يتكلف فيها ولا معالجة انما امره اذا اراد شيا ان
يقول له كن فيكون فكان قد قيل اذا شاء عدمه كان فانه سبحانه
المتعالي عن التعاون والمعالجة والافتقار فاذا قدر الشي واراد
افادة

افادة كان وتحصل في الوقت الوجيز القريب منه ما تقدرون
حصوله ومعالجة وقوعه في الف سنة من اياميكم او ما تقدرون
تهيئته وتعوده بالف سنة من اياميكم على ما الفتم واذا اراد سبحانه
وقوع ذلك كان عن امره كن اعجل من كل عاجل اذ ليست افعاله
كافعال خلقه التي يحتاجون فيها الى الموت والعلاج والالات
تعالى الله عن شبه خلقه فلم يستعجلون ما لا يتكلف في وقوعه
وحلوله فانما يمنع من استعجاله ربطه باجل اذا بلغ الاجل كان
وقوعه وهو يوم القيامة وهو الاجل المسمى ومن شاء تعجل عذابه
في دنياه او من شاء امتحانه حل به اذا آن وقته وتوقفه عن
من قدره عليه املاء وزيادة في امتحانه وكاين من قرية امليت لها
وهي ظالمة ثم اخذتها فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون وعلى هذا قوله يدبر الامر من السما الى الارض ثم
يعرج اليه الاية المراد ان بعد هذه المسافة لا يحول دون
استعجال نفوذ تدبيره وامضا مقدوره وانه سبحانه يدبرها
ثم يرجع اليه في وقت لو تكلف ذلك الخلق وكان من مقدوراتكم
لفعلتموه في الف سنة على نحو ما تقدم في الاية الاخرى واما
اية المعارج فالمراد باليوم المذكور فيها يوم القيامة الواقع فيه
حساب الخلائق ووزن اعمالهم وفصل ما بينهم الى استقرار
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فيه من الاعمال المتعلقة

بالخلق ما تقدم ووقوعه وتخلصه من ايام الدنيا على مقارفتها مع
عظم اهواله وشدة كربه وايام وايام الاهوال والشدايد توصف
بالطول العظيم اقول الكاسح ما يقضي فيه مقدار من ايامنا لخمسين
الف سنة وهو على المومن التقي كصلاة صلاها قال تعالى فاذا
نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير
ويدل على ان المراد به يوم القيامة ما ذكر سبحانه عقب تقديره
من وصفه بقوله يوم تكون السما كالمهل الى قوله ثم ينجيه الاية
الخامسة من سورة الحج قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم وبعد هذا بايات قوله تعالى الملك
يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات
النعيم يسال عن وجه الاختلاف فيما ذكر من الجزا مع اتفاقهم
وصفهم بالايمان وعمل الصالحات والجواب عنه ان الاية
الاولى اخبار لهم عند دعائهم قبل ان امنوا الان قبله امر
الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بما يقول لهم في قوله
تعالى قل يايها الناس انما انا لكم نذير مبين ثم اخبرهم بما لهم ان
امنوا من غفران ما تقدم لهم من اعمال المخالفات والمجترحات
ومن الرزق الكريم ولما ذكر في الاية الثانية حالهم في الدار الاخرى
بعد انصرام الدنيا وحصول اتصافهم بالايمان واعمال الطاعات
اخبروا فيها بالحاصل من المغفرة ومن لهم الرزق الكريم وانه
نعيم

نعيم الجنة والخلود الابدي فيها فالاية الاولى متضمنة وعدهم
ان امنوا وذلك عند دعائهم الى الايمان ويزيدك في ذلك بيانا
نداوهم في دعائهم الى الاستجابة بقوله يايها الذين امنوا فانما دعوا
بما به يدعى من لم يحصل له الايمان ولا اتصف به وبشروا ان امنوا
ثم اخبروا ثانيا بالحاصل لهم بيانا لما تضمن البشارة الاولى واخبارا
لهم بغاية الجزا فالاية الثانية بيان وتفصيل لما اجمل في الاولى
مترتب عليه واتٍ بعده كما يجب فيما ياتي فيه الاجمال والتفصيل
فكانهم قالوا اما الرزق الكريم فجعل لهم جنات النعيم فورود كل
من الايتين على ما يجب ويناسب ولا يلائم ما ورد من الجزا في
الاية الثانية على ما تمهد ما وقع دعا وخطابا في الاولى ولا ما في
على الاية الاولى ان يقع اخبارا في الثانية بل ورد كل على ما يجب
والله اعلم الاية السادسة من سورة الحج قوله تعالى ذلك بان
الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل للسائل ان يسال
عن التاكيد بزيادة هو في سورة الحج وسقوطه من سورة لقمان
ووجه ذلك والله اعلم ان سورة الحج ورد فيها ما يستدعي هذا
التاكيد بالضمير المنفصل ويناسبه وهو تكرر الاشارة الى البهم
والافصاح بذكرها مع تعاورهن مرتكبهم وتشنيع حالهم واوضح
هذا المذكور واشده ملائمة الاتيان بهذا الضمير المعتمد فصلا او
مبتدا قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير

او تهوي به الريح في مكان سحيق وقوله في اخر السورة ان الذين
يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه هذه الاية والتي ذكرناها قبلها السبب
شي لقوله ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل
فورد قوله ذلك بان الله هو الحق الاية بناء على قوله ومن يشرك
بالله وتمهيدا وتوطية لما وبخوا به بعدها وقرعوا ما لا يجدون
عليه جوابا من قوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه الى قوله ما قدروا الله حق قدره
ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل فتامل
عظيم هذه المناسبة والتيام هذه الاي العظيمة ولو لم تتقدم
الاية المتقدمة من قوله ومن يشرك بالله الاية لكانت الاية
الاخيرة وهي قوله ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا الاية كافية وكان قد وقعت متقدمة والمتقدم والمتاخر
مما تركبه العرب كثيرا ويوجد في فصيح كلامهم ومن نحو هذه
الاية ان بعضا مفهوما على تقدير التقديم والتاخير والتلاوة
عن قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة ومعلوم متقدم من جهة معناه لانهم انما امروا بذبح البقرة
عند تشاجرهم في امر القتيل المشار اليه بالايات في قوله ان لو
قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فامرتم بذبح البقرة فاوضح لكم
ذلك

ذلك حكم القتيل فعلى هذا يكون اية سورة الحج لو لم يرد قوله اولا
ومن يشرك بالله الاية فكان ترتيب الاي على قصور افهامنا
وما عليه ترتيب الكتاب اعلى نظما واجل ولكن افهامنا قاصرة
يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون
الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق
قدره ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل
مقدم وآخر حملا ايضا على المقدم والمتاخر لسنا الان له فهذه
الاية كاية البقرة سوا ولما لم يقع في سورة لقمان مثل هذا لم يرد
فيها التاكيد بهو وذلك لا يبين شي وانسبه واعراب هذا الضمير
مبتدا او فصل وثمرة التاكيد لما ذكر والله اعلم الاية السابعة من
سورة الحج قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض وان الله
لهو الغني الحميد وفي سورة لقمان لله ما في السموات والارض
وان الله هو الغني الحميد للسائل ان يسال عن زيادة ما في قوله
في الاية الاولى وما في الارض وزيادة لام الابتدا المؤكدة في الجملة
التي هي خبر ان وسقوط الحرفين في سورة لقمان والجواب
ان الزيادتين معا للتاكيد اذ لا تدخل اللام في الخبر لغير ذلك
وتكرار الموصول ايضا لذلك تدخلتا في اية الحج لما تقدم في الاية
قبلها من السورة من بنائها على مقصود التاكيد بجواب هذين

السوالين حاصل مما تقدم والله اعلم **سورة المومنين الاية الاولى**
منها قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير
ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وفي سورة المعارج
ان الانسان خلق هلوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين
على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم
والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى
وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون
اولئك في جنات مكرمون **للسائل** ان يسال عما اختلف في هاتين
السورتين من هذه الاوصاف والتكرر فيهما والزيادة مع
اتحاد مرماهما من ذكر حال المومنين واوصافهم التي بها خلاصهم
بتوفيق الله اياهم ففي الاولى ذكر الخشوع في الصلاة والاعراض
عن اللغو والتنصيص على الزكاة ولم يرد افصاح بهذه الخصال
الثلاث

اذا مسه الشر جزوعا

الثلاث في سورة المعارج وفي سورة المعارج ذكر المداومة على الصلاة
وتعيين ذوي الارحام في المال وانهم السائل والمحروم وذكر
التصديق بيوم الدين والدين الجزاء وذكر الاشفاق من عذاب
ربهم وانه غير مامون وذكر القيام بالشهادة ولم يقع افصاح
بهذه الخصال الخمس في سورة المومنين ويوارد على الاتفاق
في السورتين التساوق على حفظ الفروج وذكر الامانة والعهد
والمحافظة على الصلاة اربعتها فهذه **ثلاث سوالات** احدها
التكرر والاتفاق والثاني وجه ما اختصت به سورة المعارج
والجواب عن الاول ان حفظ الفروج احد الاصول الخمسة التي
اتفقت فيها الشرائع ولم يخالف فيها احد من العقلاء وهي حفظ
النفوس والاموال والفروج والعقول والاعراض واما الامانة
فلا يتم حفظ هذه الخصال الا بها فهي الاصل لتلك الاصول والضابطة
لجميع التكاليف وزمام الاديان وفي الحديث الذي ولا دين لمن لا
امانة له وهي التي عرضت على السموات والارض والجبال فابت
عن حملها وهي بالجملة ملاك الدين واما الوفا بالعهد فلاحق بالامانة
في نصاب التاكيد قال تعالى واوفوا بالعهد وتكرر الامر بذلك
لعظم قدر الامانة والعهد واما المحافظة على الصلوات رعيا
لاوقاتها وكيفية ادائها وما ينطوي عليه من جميع مطلوباتها
ومتعلقاتها وما يستلزمه ويتممه حتى يكون ناهية عن الفحشا

الامانة ح

والمنكر وذلك كل الدين المعبر به عن اخص صفات الناجين في قوله
تعالى اخبارا عن جواب الهالكين قالوا لم نك من المصلين فوقع
هذه الخصال الاربع وضمنها لما سواها من المطالب الايمانية
واشتمالها على جميعها اوجب تعيينها بالذكر ولم يكن ليحصل من
ذكر غيرها ما حصل من التنصيص عليها فكررت في السورتين
ونص فيهما عليها لانها امهات لما سواها **فان قلت** فان الزكاة
شقيقة الصلاة في التاكيد لانها ام العبادات المالية ولهذا قاتل
ابو بكر رضي الله عنه مانعيها ورجع الصحابة رضي الله عنهم الى قوله
وقل ما يرد الامر بالصلاة في كتاب الله تعالى الا مقرونا به الامر
بالزكاة وقال تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا
سبيلهم وهذا هو الذي هدا اليه الصديق رضي الله عنه عمر
بعد كر في الوقت والله اعلم للاية واذا وضح ذلك فللقائل ان يقول
فلم لم يذكر مع انها من الامهات **والجواب** عن هذا والله اعلم
ان وصف الحق بمعلوم في قوله وفي اموالهم حق معلوم جار مجرى
الافصاح بذكر الزكاة اذ لا مطلوب معلوما مقدرا في المال الا الزكاة
فقام الوصف مقام الافصاح بذكرها **والجواب** عن السوال الثاني
وهو وجه ما خصت به اية المومنين وهو انه لما افتتحها تعالى
بقوله قد افلح المومنون والفلح الظافر ببغيته ابدى من اوصاف
المفلحين باجل خصالهم وهو خشوعهم في صلاتهم لعظيم
خوفهم

خوفهم والذي لا يمكن معه فتور ولا تفريط في العبادة ثم
قال والذين هم عن اللغو معرضون ومن اعرض عن اللغو سلم
من كل ما يشين في دينه وحصل من هذا وما قبله ترك المخالفات
جملة ثم قال والذين هم للزكاة فاعلون وهذه اخت الصلاة قال
تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقال
بعد فاخوانكم في الدين وقد حصل بحصول هذه الخصائص ما به وصف
المتقون في قوله يومنون بالغيب الى قوله واولئك هم المفلحون
فوضح منه ان هذه اخص صفات من افلح وفاز برضا الله سبحانه
فهذا ما اوجب تخصيص هذه السورة بالافصاح بهذه الاوصاف
الثلاثة واما ما خصت به سورة المعارج وهو **الجواب** الثالث
فانه سبحانه لما وصف الانسان بقوله ان الانسان خلق هلوعا
والهلع الفزع الشديد يقال هلع بكسر ثانيه فهو هلع وهلوع
ثم ذكر سبحانه ما ثمرة الانسان هلعه اذا مسه الشر جزوعا
والجزع ضد الصبر واذا مسه الخير منوعا والمنع ضد الاعطا
وكلا الوصفين من الجزع والمنع مذموم مامور شرعا بضدهما
من الصبر والايثار وقد اثنى سبحانه على الصابرين والموثرين
فالهلع من ارذل صفات الانسان فذكر تعالى صفات من سلم
منه وانهم المداومون على صلاتهم لان المداومة على الصلاة
عنوان على تلقي الاوامر بالقبول والامتثال ولا يكون ذلك

الا من نفس صادق وقد قال تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك ومن يثق ان خالقه يكفل له
برزقه اجمل في الطلب وذهب عنه الجزع ومن علم الحق في ماله
من زكاة مفروضة او صدقة مندوب اليها لم يكن منوعا للخير
فاذا اتصف بما ذكر وكان ذلك على تصديق بعثه يوم حسابه
واشفاق من عذاب ربه وعقابه ولم يامن المكر فانه لا يامن مكر
الله الا القوم الخاسرون فمن كان هكذا فليس بهلوع ولهذا استثنى
من اتصف بهذه الصفات الجليلة عن مسميات الهلع من
المنع والجزع فهذا وجه تخصيص هذه السورة بالافصاح بما خص
به من هذه الاوصاف مفصحا به وانما قلت مفصحا به لان ما ذكر
في هذه السورة مما لم يقع به افصاح في سورة المومنين داخل
تحت ما ذكر هناك كما ان ما افصح به هناك داخل ما ذكر مفصحا
به هنا الا ترى ان افعال المكلفين من الاحكام الخمسة وهي الواجب
والمحظور والمندوب والمكروه والمباح كل ذلك تحت ضبط
الامانة والوفاء بالعهد ومن اوفى بما عاهد عليه الله في امانته
فقد اتى ووفى بجميع التكاليف الشرعية اخذا وتركا وكذا الصلاة
الموصوفة تماما وخشوعا فانها ناهية عن الفحشاء والمنكر الا ان
الافصاح والتنصيص النطقي حكم عليه بينا ما تقدم فقد وضحت
النسبة فيما اختصت به كل واحدة من السورتين ووجه ما

اعقبنا

اعقبنا في وروده مفصحا به والله اعلم واما الشهادة فداخلة تحت
الامانة ووجه تخصيص هذه السورة بالافصاح بها انها الثابتة
في المرتبة الثانية فاستوفت واكدت ما قد اشير اليه في الاخرى
والله اعلم **الآية الثانية** من سورة المومنين قوله تعالى فاخذتهم
الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم قال تعالى عند
ذكر القرون فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم
لا يومنون فقال في الاولى فبعدا للقوم الظالمين ثم قال تعالى
في الثانية فبعدا لقوم لا يومنون **للسائل** ان يسال عن الفرق
والجواب ان الآية الاولى في قصة معينة قد بين حالها وقبيح
مرتكبها وحصل العلم بكفرهم وظلمهم انفسهم فقيل فبعدا للقوم
الظالمين ووقوع اسم الظلم عليهم على اتم ما يقع عليه من
عدم الايمان وارتكاب العظائم من الكفر والتكذيب وقبيح
الرد على ما فصل في الآي قبلها واما قوله بعد فبعدا لقوم لا يومنون
فوردت عقب اجمال واخبار بطوائف وامم اجمعوا في
التكذيب ورد ما جاءتهم به رسلهم فاعقب بوصف اذا وجد كان
ما سواه من قول وعمل مناسبا له وبحسبه وهو عدم الايمان
ولم يكن وصفهم بالظلم ليعطي ذلك لوقوعه على الظلم بالكفر وعلى
الظلم بمعصية ليست كفرا الا ترى ان بعض من يوقع عليه
اسم الظلم ويوسم به قد يكون مبقى عليه اسم الايمان بما لم يعرف

به ما يقتضي كفره واما من اتصف بعدم الايمان فلا فلاح معه فلما
اجتمع هؤلاء الطوائف في عدم الايمان وسموا به ولما كان عدم الايمان
حاصلا لمن تقدم ذكره من تكذيبهم واخذهم بالصيحة وجعلهم غثاء
اعقب وصفهم ما نفي بالزيادة على كفرهم اذ الكفر حاصل **فان قلت**
فقد تقدم في وصف هؤلاء الامم قوله كلما جاء امة رسولها كذبوه
وجعل من ذلك عدم فلم تكرر ولم يوصفوا بالظلم **قلت** لم يقع في
ذكرها ولا تفصيل مرتكباتهم كما ورد فيمن تقدمهم فناسب
اجمال الواقع من التكذيب اجمال الوصف بعدم الايمان وجا كل من ذلك
على ما يجب والله اعلم **الاية الثالثة** من سورة المؤمنين قوله تعالى
بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين وفي سورة النمل وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا
ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين **للسائل** ان يسال عن تقديم المضمر المذكور والمعطوف
عليه على المفعول الذي هو هذا في اية المؤمنين وعكس ذلك في اية
النمل **والجواب** عنه والله اعلم انه لما تقدم قبل اية المؤمنين
قوله تعالى افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين فتقدم
التعريف في هذه الاية ان اباءهم قد جاءتهم الرسل وانذروا كما
انذر هؤلاء فلهذا قالوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ولما لم

يتقدم

يتقدم في اية النمل ذكر انذار اباءهم كان اهم شي تذكر الموعود به
الذي هو هذا فقالوا لقد وعدنا هذا **الاية الرابعة** قوله تعالى قل
لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون
ثم قال في الاية التي تليها سيقولون لله قل افلا تتقون وفي الاية
الثالثة سيقولون لله قل فاني تسحرون **للسائل** ان يسال عن
الوجه فيما اعقب به كل اية من هذه **والجواب** عن ذلك بوجهين
احدهما ان كل توبيخ اعقب به في الايات الثلاث مناسب للمذكور
الواقع قبله المرتب عليه الجواب بالتوبيخ واما الاولى فانه لما قيل
فيها قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون والمراد الارض
ومن فيها وما فيها وما اشتملت عليه من بحارها وانهارها واشجارها
وجبال ارساها ومختلف عوالمها وما انطوت عليه واشتملت
هذا المراد بقوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها فوقع الاجتزا
بمن فيها عما فيها لجار الحصول ذلك من قوة الكلام كما قال تعالى
الا ان لله من في السماوات ومن في الارض وقال تعالى انا نحن
نرث الارض ومن عليها وليس المراد في هاتين الايتين تخصيص
ما يقع عليه من وكذلك قوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها
اذ مقصود الاية الاعتبار والاستدلال بمصنوعاته سبحانه
على انفراده بالخلق والامر قال تعالى وفي الارض ايات للموقنين
فكان قد قيل اذا اقررتم بان ذلك ملك لله تعالى وخلقه فهلا لا

اعمهم بما فى الارض من الايات واستدل لهم بذلك على نفى الشريك
والند المنفرد بملك السموات والارض اذ لو كان فيهما الهة الا
الله لفسدتا فلا يبتغوا من دونه اوليا قليلا ما تذكرون وهلا
استدل لهم بتكرر انبات النبات وعوده اخراج الثمرات على
احيا الاموات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ثم لما قال تعالى
قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم وذلك
الخلق اعظم من خلقهم وخلق الارض الحاملة لكم من خلقكم
واخبر بقوله سيقولون الله قل لهم اذا اقررتم بانه مالك ذلك على
عظم امره افلا تتقونه اذ انتم فى قبضته باقراركم ثم لما قال قل من
بيده ملكوت كل شى وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون فبلغوا
بالاقرار بذلك مع ما قرروا عليه قبله فبلغ غايه توجب الايمان للمعتبر
بما قيل لهم وذكروا به من علم هذا قيل لهم من علم ثم لم يطلع من له ذلك
وتفرده تعالى بالعبادة فهو مسحور (مسحور) قال فانى تسحرون اى وكيف
تسحرون والجواب الثانى وهو اجرى مع ظاهر الاية من غير
تكلف تقدير وليس بخلاف الاول الا فى عبارة وهو ان يقول
ان تذكيرهم وردا ولا بذكر ما كانوا يعرفون به ولا يتوقفون فيه
وهو ملكه سبحانه الارض ومن فيها قال تعالى ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله والخالق مالك لما خلقه
فكان قد قيل لهم اذا علمتم انفراده سبحانه بذلك فهلا افردتموه
بالعبادة

بالعبادة واستدل لهم بالبداة على العودة افلا تذكرون ثم ذكر
ربوبيته سبحانه وملكه السموات السبع والعرش العظيم
فاعترفوا الى اعترافهم بما تقدم واقرارهم بملكه ما ذكر وقدرته
وقهره ولو سبق لهم لكان تذكرهم لذلك يوثر خوفهم من عذابه
فلما لم يقع ذلك منهم قيل لهم افلا تتقون ثم ذكروا بعظيم سلطانه
تعالى وعلو قهره لجميع الموجودات وكونها فى قبضته وانه لا
حكم لاحد عليه تعالى فقال قل من بيده ملكوت كل شى وهو يجير
ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ثم ذكر اعترافهم بهذا فى قوله
سيقولون الله فلما تم تقريرهم على جميع ما تقدم مما ذكروا به واعترا فهم
بكل ذلك ولم يعقبهم اقرارهم ولا اعترافهم الايمان والانقياد
كانوا كمن فقد عقله او سحر فاختل نظره وعقله فقيل لهم كيف
تسحرون ما بالكم اى تسحرون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من
اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله
عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فقد وضح
تناسب هذا كله وتبين التحامه سورة النور الاية الاولى
منها قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله غفور
رحيم يسال عن وجه الاختلاف فى المعطوف فى الاثنين من
الصفات العليه احترازا من قوله فى الاولى وان الله تواب حكيم
وبعد ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله روف رحيم وفى

الثانيه والله روف رحيم وهذا كله يناسب عكس الواقع والجواب
ان الاية الاولى انما سيقت على اية التلاعن وفيها من الستر على
المسلمين ممن امتحن بتلك البلية ومن اخفا الحكمة في حكم
التلاعن وشرعيته على ما استقر عليه امره مما يعجز عن فهمه
كل معتبر فاعقب بالصفتين المناسبتين لماذكرنا مما هو غير خاف
فقيل وان الله تواب حكيم ولما تقدم قبل الاية الثانيه قوله تعالى
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب
اليم في الدنيا والاخرة وجرى بظاهر هذه الاية من الوعيد ما اشتد
خوف كل مومن منه اعقب ذلك بصفتين مقتضيتين رجا المومنين
ومشيرتين بان هذا العذاب وان هذا الوعيد به ليس الخلود
ما لم يكن من فاعل ذلك كفر باعتقاد حليّة ذلك المعصيه او
التكذيب بالوعيد او التلبس بما هو كفر وانه اذا لم يكن شي من هذا
فلا قاطع عن التوبة فقال تعالى وان الله روف رحيم فقد وضح
ان ورود كل من هذه الصفات المعطوفه على ما يجب ويناسب
وان العكس لا يناسب والله اعلم ومما يسال عنه جواب لولا
كيف تقديره ولم حذف وان لم يكن هذا من مقصود هذا الكتاب
والجواب عنه ان التقدير في الاية الاولى لفضح فاعل ذلك او ما
يرجع الى هذا وجوابها في الثانيه لعجل عذاب فاعل ذلك من حيث
اشاعته الفاحشة في المومنين او لاهلاكهم واما موجب الحذف

فطول

فطول الكلام بالمعطوف والطول داع للحذف لذلك
وللدلالة ما تقدم عليه وذلك كثير في كلامهم الاية الثانية من سورة
النور قوله تعالى كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ثم قال
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن من قبلهم
كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم للسائل ان يقول لم
قال في الاولى الايات وفي الثانيه اياته والجواب انه لما تقارب
اللفظ الواحد عدل عن تكراره بلفظ واحد فيما تقارب على
عادة العرب في استثقالها تكرر اللفظ الواحد بعينه في بيت
واحد من الشعر او ما تقارب من الكلام ما لم يحمل على ذلك حامل
من المعنى فجي بالايات في الاول معرفا بالالف واللام للعهد فيما
تقدم من المعتبرات الواضحه الدالة في الاية الثانيه مضافا الى الضمير
المتصل لتحصل نسبة الايات لمن هي له تعالى وكانت الثانيه هي
المضافه لانها مع ما تعطيه من النسبة مبنية للاولى بيانا تاكيديا
اذ من المعلوم انها اياته سبحانه فجا ذلك على ما يجب ومن الوارد
على هذا المرعى قوله في سورة البقرة كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون ثم قال تعالى بعد اي ويبين اياته للناس
لعلهم يتذكرون فهذا مثل الوارد في سورة البقرة سورة الفرقان
الاية الاولى منها قوله تعالى واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون
شيا وهم يخلقون وفي سورة يس واتخذوا من دون الله الهة

لعلهم يصرفون للسائل ان يسأل عن ورود اسمه سبحانه وتعالى
مضمرا في قوله سبحانه من دونه في سورة الفرقان ومظهرا في
قوله من دون الله في سورة يس فما وجه ذلك والجواب والله
اعلم ان آية الفرقان تقدم قبلها اسمه سبحانه مكنيا عنه جل وتعالى
في قوله في تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا فورد اسمه سبحانه
مكنيا عنه ثماني مرات اولها الموصول وهو الذي من قوله تبارك
الذي وفاعل نزل الضمير والضمير في عبده والموصول الثاني
والضمير المجرور باللام في له والضمير الفاعل في ولم يتخذ والضمير
في له المجرور والضمير الفاعل فلما تكرر اسمه سبحانه مكنيا عنه
ثماني مرات جرى بعد ذلك في قوله واتخذوا من دونه مضمرا على
حكم ما تقدم ولو ورد مظهرا لم يكن ليناسب واما الوارد في سورة
يس فتقدم قبل الآية قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين فلم يكن ورود اسم الله تعالى هنا
مضمرا ليناسبه لو قيل واتخذوا من دونه لما تقدم قبله من ذكر
الشيطان وتحذيرهم من عبادته فجاء كل من الآيتين على ما يجب
ويناسب سورة الشعراء الآية الاولى منها قوله تعالى قالوا لا ضير
انا الى ربنا منقلبون وفي سورة الزخرف وما كنا له مقرنين وانا الى

ربنا

ربنا لمنقلبون للسائل ان يسأل عن خبر تخصيص خبر ان هنا بزيادة
لام التأكيد وحذفها من الاولى والجواب انه لما كان قول السحرة
لا ضير انا الى ربنا منقلبون جوابا لفرعون لما توعدهم بقوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين فجاوبوه
بقولهم لا ضير اي لا ضرر انا الى ربنا منقلبون اي اذا فعلت بنا
ذلك فانا منقلبون الى ربنا ومجازون على صبرنا فجاوبوه معزين
انفسهم ومستانسين بما ينتظرون من الثواب وعظيم الجزاء
بسبقهم الى الايمان وصبرهم ان فعل ذلك بهم على ذلك الامتحان
فليس موضع قسم ولا تأكيد انما هو اخبار عن رجائهم وما ينتظرونه
ثوابا على ايمانهم فلا مدخل للام التأكيد هنا واما آية الزخرف فمبنية
على ما تقدمها من الاخبار عن مشركي العرب في قوله تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم الآيات والمراد بذلك اقامة الحجة عليهم في انكار البعث
فطابق ذلك وناسبه تأكيد قول المؤمنين المقول لهم لتستووا
على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فأكد هذا
وضمن معنى القسم واحرز ذلك تقدم ما النافية في قولهم وما كنا
له مقرنين فوطأت ما في هذه الجملة من معنى القسم واشعرت
به ثم جيء بالجملة مؤكدة بحرفي التأكيد وهما ان واللام فدخلتا على

الاسم واللام في الخبر لما تقدم منهم انكار البعث جاوبهم المؤمنون
مكابهم قالوا والله انه الحق فسوغ دخول اللام من هذا الغرض وليس
ذلك في اية الشعرا فورد كل على ما يناسب والله اعلم **الاية الثانية**
من سورة الشعرا قوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين وفي
سورة والصافات وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم
اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ايفكا الهة دون الله تريدون
فما ظنكم برب العالمين **يسال** عن ذكر اسم الاشارة في قوله ماذا
تعبدون وسقوطها من سورة الشعرا **والجواب** عن ذلك ان
قصص الرسل عليهم السلام مع اممهم لم تات في القران العظيم
على منهج واحد في الدعا والجواب والمحاورة والمراجعة ولا
يمكن ذلك لاختلاف طباع الامم واغراضهم واختلاف الحالات
ولكل مقام مقال فمرة ترد القصة مقتصرة على الدعا الا الحجة
والتوبيخ من غير ذكر شي من جواب المدعوين سوى الاخبار
بتكذيبهم ومرة يورد من مقالات الامم لرسلهم اليسير ومرة
يقع اطناب الكلام في المحاورات فيما بين الرسل والامم فمن الضرب
الاول قول ابراهيم عليه السلام في سورة والصافات ماذا تعبدون
في اخر القصة ولم يرد فيها كلمة واحدة من مراجعتهم له سوى
الوارد من قولهم ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم وليس هذا المراجعة
له

له ولا جوابا عن كلامه عليه السلام ومن الضرب الثاني اية الشعرا
فانه ذكر فيها جوابهم بقوله تعالى مخبرا عنهم نعبد اصناما فنظل
لها عاكفين ثم لما سالهم عليه السلام تقريعا وتوبيخا فقال هل يسمعونكم
اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون جاوبوا بقولهم بل وجدنا اباءنا
كذلك يفعلون ومن الضرب الثالث قصة شعيب عليه السلام
في سورة هود واشباهها وتامل القصص الواردة في القران تجدها
جارية على ما ذكرته فلما كان في اية والصافات دعا ابراهيم عليه
السلام مسماحالهم التشنيع وشي من تبكيتهم مما يشد الاطناب فيما
يقطع بهم من قوله ايفكا الهة دون الله تريدون وقوله اتعبدون
ما تنحتون وعيوا بالجواب ولم يحك عنهم غير قولهم ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم ناسب ذلك زيادة اسم الاشارة ولما كانت اية
الشعرا واردة على هذا المنهج ناسبها سقوط اسم الاشارة فقيل
ما تعبدون ولم يقل ماذا كما في اية والصافات ومن المفهوم عن
العرب ان المستفهم اذا قصد التقريع والتوبيخ اطال الكلا اذ لا
تجيبه وتعنيفا لمن خاطب والمفهوم الا محصور وقوله ما
تعبدون جملة فعلية تقدم فيها المفعول وهو ما الاستفهامية
فهي في موضع نصب بالفعل بعدها وقوله في الاية الاخرى ماذا
استفهام انصار كبت فيه ما مع اسم الاشارة وجعلا اسما واحدا
في موضع نصب بالفعل بعدها وقوله في الاية الاخرى ويمكن

تركها على ما بها من الاستفهام غير مركبة ويكون ذا اسما موصولا
في موضع رفع خبر المبتدا الذي هو ما والجملة من قوله تعبدون
صلة والجملة من المبتدا والخبر محكية بعد القول كانه قال اي شي
الذي تعبدونه وانحذف الضمير الرابط لانه ضمير نصب متصل
وليس في الصلة ضمير غيره فحسن حذفه الاية الثالثة من
سورة الشعرا قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو
يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني
ثم يحيين يسال عن زيادة الضمير في قوله والذي هو يطعمني
وفي قوله فهو يشفين ولم يدخل في قوله والذي يميتني ثم يحيين
والجواب ان امر الاماتة والاحيا لا مطمع فيه لاحد بخلاف امر
الاطعام والسقي اذ قد يتوهم من ضعف نظره ان ذلك مما يصح
نسبة النسبة حقيقة لغيره تعالى اذ قد يقال اطعمني فلان وسقاني
ويسبق الى الوهم الاستقلال وانما ذلك على المجاز ولا يقال اماتني
فلان ولا احياني الا ويسبق الى الوهم ما الامر عليه من المجاز
فلما كان امر الاماتة والاحيا ونسبة ذلك اليه تعالى مما لا يخفى
على احد لم يحتج الى الضمير واحتيج اليه فيما قبل لرفع الايهام اذ
المفهوم انه هو لا غيره يطعمني ويسقين فاحتيج اليه هو هنا
لتحرز ما ذكرنا ولم يحتج اليه في قوله والذي يميتني ثم يحيين لانه لا
يتوهم ان غيره يفعل ذلك فجا كل على ما يجب ويناسب ويتزيد

هذا

هذا بيانا في سورة والنجم ان شا الله تعالى والله اعلم الاية الرابعة
من سورة الشعرا قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام ما انت الا بشر
مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين وفي قصة شعيب عليه السلام
وما انت الا بشر مثلنا يسال عن زيادة الواو العاطفة هنا
ولم يثبت في قصة صالح والجواب عنه والله اعلم ان ذلك لرعي
المناسبة وبيان ذلك ما ثبت قبل الاية الثانية من قوله تعالى حكاية
لما عد شعيب في امره قومه وذكر تكذيبهم في قوله اوفوا
الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم
ولا تبخسوا الناس اشياهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين فهذه خمس معطوفات
من مامور به ومنهي عنه فناسبها العطف في جوابهم من قوله
تعالى حكاية عنهم انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا
وان نظنك لمن الكاذبين فهذه مناسبة واضحة ولما تقدم في
قصة صالح عليه السلام قوله اتتركون فيما ها هنا امنين في
جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال
بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين
الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون فلم يقع في هذه المعطوفات
امرا ونهيا سوى قوله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين
فناسب ذلك ورود جوابهم في دعوى المماثلة في البشرية بغير

حرف الفسق فقالوا ما انت الا بشر مثلنا بخلاف الاية الثانية وجا
كل على ما يجب ويناسب ولا يناسب عكس الوارد والله اعلم سورة
النمل الاية الاولى منها قوله تعالى فلما راها تهتز كانها جان
ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وفى سورة
القصص اقبل ولا تخف انك من الامنين فللسايل ان يسال
عن القول لموسى عليه السلام عقب قوله عند ما ولى مدبرا لما
راى من فعل الله سبحانه فى عصاه حين القاها من اهتزازها
كانها جان فنودى ماتنسا واعلاما بما الامر عليه ولا اشكال ان
ذلك فى مقام واحد وحال ابتدا امره ورسالته فالمعنى واحد
فما وجه اختلاف العبارة فاقول جوابا لهذا السوال والله
اسال توفيقه وعصمته انه قد تقدم فى سورة طه ان الوارد
من هذه القصص انما اخبرنا به على المعنى وانما خوطبنا باللسان
العربى وخاطب موسى قومه باللسان العبرانى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه وجل كلام ربنا عن الحروف والصوت
وعن شبه كلام البشر وبسط هذا فى مظانه واذا تقرر انا
انما خوطبنا بكلام منا وان الاختلاف والتفاوت فيما بين
الالسنة معلوم والمعانى لا تختلف فالمراد من الوارد فى
السورتين ان موسى عليه السلام امن من خوف لحقه واعلم
انه

انه من الامنين وان الامنين لديه سبحانه هم المرسلون ومن اهتدى
بهديهم ممن سبقت له الحسنى ومن لحق بهم ممن ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء وسبقت له من الله الحسنى فهاولاء الامنون
لديه سبحانه بما سبق لهم ولا يجب عليه سبحانه الا ما اوجبه على
نفسه فهذا هو الحاصل من القول لموسى عليه السلام فى السورتين
من غير اختلاف فى شى من معناه وهو المراد بقوله سبحانه لا
تخف انك من الامنين وبقوله لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون
الا من ظلم الاية والاستثنا منقطع وليس المراد الا من ظلم من
الرسل ويكون من الاستثنا المتصل كما قاله بعض المحرفين من
ذوى الضلال فان الرسل عليهم السلام معصومون من الكفر
مطلقا باتفاق من اهل القبلة الا ما قالته الشرذمة ومن قال
بقولهم من المارقين ممن لا عبرة به والظلم هنا هو الكفر فما دونه
وقد عصم الله منه الرسل ومن شا عصمته من ذلك ممن سواهم
ثم ان كان ظالما لنفسه بالكفر او بما دون الكفر ثم بدل حسنا
بعد سو فانه راج ما وعد سبحانه ومن مات على ظلمه ولم يكن
كفرا فهو فى المشية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا فما افهمت اية النمل من هذا فهو المراد باية القصص
من قوله انك من الامنين ولم يقع فى اية النمل ذكر غير المرسلين
ممن لم يظلم نفسه اختصارا لانه من المعلوم انه اذا كان حال الظلم

لنفسه ليبدل احسانا بعد سوء على ما ذكرنا من الرجاء لحال من لم يظلم
نفسه اولى فسمع موسى عليه السلام من كلام ربه ما حصل له المعنى
المقصود ثم اختلف التعبير عندنا عن ذلك والمعنى واحد فلا اختلاف
فان قيل فما وجه اختصاص اية النمل بما ورد فيها واية القصص
بما ورد فيها قلت هذا سوال لازم على شرطنا والجواب عنه
ان شاء الله تعالى ان سورة النمل لما ورد فيها قصة بلقيس وقومها
وعبادتهم الشمس حسبما ورد في السورة في قوله وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله ثم هداها الله بسليمان
عليه السلام حتى قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع
سليمان لله رب العالمين ناسب هذا قوله تعالى في قصة موسى
عليه السلام الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء ولما ورد في اخر
سورة القصص تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا وهي اية عامة في كل متصف بالايمان
متمسك بباقي الاية وقد اشارت الى امنهم لانهم ولا بد ممن
سبقت له الحسنى وقد نص الكتاب على انهم امنون لانه
سبحانه حين قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون ثم قال لا يحزنهم الفزع الاكبر واذا لم يحزنهم الفزع
الاكبر فهم امنون فناسب قوله سبحانه تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ما خصت به هذه
الاية

الاية من قوله في قصة موسى عليه السلام انك من الامنين وجواب
ثان وهو ان الامنين لما تقدم بيان انهم المرسلون ومن ظلم
من غيرهم ثم بدل حسنا بعد سوء وحصل في طي هذا الكلام وضمنه
ان من لم يظلم نفسه من غير المرسلين فلا يوقع الله من
الامنين فلما تحصل بيان الامنين وقعت الاحالة عليه في
القصص ولم يحتج الى تفصيل احوالهم اكتفاء بما تقدم فقيل انك من
الامنين وهذا الوجه الثاني كاف في حصول المناسب والله
اعلم الاية الثانية من سورة النمل قوله تعالى قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى الايات الى قوله قل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين للسائل ان يسال عن وجه الاختلاف فيما
اعقب به كل اية منها واي المناسب في ذلك والجواب
والله اعلم ان الاية الاولى لما تقدم فيها وذكر ما يشهد العقول
ببديها وتعرف العقول اذ لا اشكال فيه من ان السماوات
والارض تشهد باحكام صنعتها واتقان خلقها وما اودع فيها
سبحانه من العجائب والايات المشاهدة للعيان مع انسحاب
المقر على جميعها وعلى باقيها بان لها موجدا اوجدها واحكم
صنعتها واتقانها وانه لا يمكن ان توجد نفسها ولا اوجدها
غيرها مما يماثلها في سواها الا افتقار واستحاب الفقر وذلك
مما لا ينفك عنه سائر الموجودات فتشهد العقول بان لها موجدا

من غير جنسها متعاليا عن شبهها اذ لو اشبهها لافتقر الى موجد
آخر فلبيان الامر ما اعقب هذه الآية الاولى بقوله بل هم قوم
يعدلون اى ان الامر غير خاف ولكنهم يعدلون عنه وكذا
قيل لهم فى دعائهم الى الايمان فى اول سورة البقرة حين ذكروا
بقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم الى قوله فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون فهذا كقوله بل هم قوم يعدلون من غير
فرق لما ذكروا فى الموضعين بخلق السموات والارض وانزال الما
من السما واخراج الثمرات وانبات الحدائق العجيبة وكانوا
يعترفون بخلقه سبحانه جميع ذلك ولئن سالتهم من خلق السموا
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ولئن سالتهم
من نزل من السما ما فاحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله
فاعترافهم بهذا ثم يجعلون لله الند والشريك عدول واضح
بعد قيام الحجة عليهم فقيل هنا بل هم قوم يعدلون ثم لما ذكروا
بما اخفى فى قوله تعالى امن جعل الارض قرارا الآية فان تمهيد
الارض للسكنى وتفجير الانهار خلالها وحجز ما بين العذب
والمالح من مياهها ليس مما ظهور الاعتبار به وبيانه فى الجلا
والوضوح كخلق السموات والارض وانزال الما الى ما فى
الآية فلما كان المذكور فى هذه الآية اخفى اعقب هذا بقوله
بل اكثرهم لا يعلمون ثم تدرج الاعتبار الى ما هو اخفى فقيل
امن

امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفا الارض
وخفا الاعتبار بهذا واضح ولا يحصل عليه الا من امعن النظر
فيما تقدم قبله فاعقب هذه الجملة بقوله قليلا ما تذكرون ثم اعقب
بما لا يمكن ان يتعاطاه احد مع وضوح الامر عند تدبره وهو قوله
تعالى امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر الآية وذلك مما لا يتصور
فيه من العاقل الا التسليم فاعقب بحسب ذلك والتفات
بما قبله بقوله تعالى الله عما يشركون ثم ختم مما قدم من هذه
المعتبرات الجليلة بما لا يحصل الاعتبار به الا بعد احكام النظر
فيما قبله من الاعتراف بما يجب لله سبحانه من الاتصاف بالعلم
والقدرة اذ بهما وبثبوتهما يفهم وتثبت العودة والبداة
الى ما يجب له سبحانه من الصفات العلى التى يثمر العلم بثبوتها
له سبحانه النظر التام الصحيح والاعتبار بما تقدم فى الآيات قبل
هذه فلما كمل ذكر ما به يحصل الاعتراف والايمان ويستوضح
منه انه سبحانه المنفرد بالخلق والامر والمالك للدارين اعقب
بما يطلب المعاند بالبرهان على ما يدعيه فقيل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين اى ان صدقتم ان لله شريكا فى ملكه تعالى عما
يشركون فقد وضح ان كل ما تعقب به آية من هذه الآيات المذكور
بها من الاستبصار والعاطفة بكل من اشرك وكفر جار على اوضح
مناسبة **سورة القصص الآية الاولى** منها قوله تعالى وجا

رجل من اقصى المدينة يسعى وفى سورة يس وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين **للسائل** ان يسال عن
تاخير الفاعل عن المجرور فى سورة يس ولم يات متقدما على الفعل
كما ورد فى سورة القصص **والجواب** عن ذلك بعد تسليم
ان وروده فى سورة القصص متقدما فعل وجار ورد
على ما يجب لان مرتبة الفاعل التقدم ولا يتاخر عن ولاية الفعل
الا لعارض من جهة اللفظ ومن جهة المعنى او اتساعا وذلك
غير الاولى اعنى اذا كان تاخره لمجرد الاتساع من غير جائز واذا
تقرر هذا فانما السوال عن وجه تاخره فى سورة يس ووجه
ذلك والله اعلم ان تقديم المجرور الذى هو قوله من اقصى المدينة
مشيرا الى احراز معنى جليل مطلع على حكم السوابق من ايمان
من بعد مسافة عن داعيه الى الهداية فلم تضره بعد الدار وكفر
من باشر الرسل وشافههم فلم ينفع قرب الدار وذلك بحسب
ما قدر لكل من المكلفين وسبق له وحاصل الاخبار فى هذه
الايات مثال لحال كفار قريش من اهل مكة وحال الانصار
من اهل المدينة حين جاءها ولاذوا به صلى الله عليه وسلم
مع بعد دارهم وعاند عتاة قريش فكفروا مع الالتحام فى النسب
واتحاد الدار ويوضح هذا ان السورة مكية وانما افتتح بذكر قريش
وهم المعنيون بقوله لتنذر قوما ما انذر اباوهم فهم غافلون الى ما
بعد

بعد من الايات والاخبار بان ذلك لا يجدى عليهم فى قوله
وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم فهم لا يومنون فهذا
اخبار بحال كفار قريش ثم قال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر
الاية اى من انقاد واصغى اليك وان بعدت داره وهو
حال الانصار ثم قال واضرب لهم مثلا اى القريتين ممن كفر
مع قرب داره ومن امن مع بعد داره وذكر تعالى اصحاب القرية
وحالهم مع (من) ارسل اليهم وانهم ارسل اليهم اثنان ثم عزز نا من
بثالث فجاوبهم اصحاب القرية المخاطبون مجاوبة الرد
والتكذيب فقالوا ما انتم الا بشر مثلنا كما قالت قريش مال هذا
الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق ثم ذكر تعالى قول
الرسل لاصحاب القرية ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا
البلاغ المبين وقول اصحاب القرية انا تطيرنا بكم فلما ذكر
سبحانه هذه المحاورة والمراجعة قال تعالى وجاء من اقصى المدينة
ايمن لم يحضر بعثهم ولا شاهد ما طال من مراجعتهم بحسب
ما سبق له من السعادة يقول يا قوم اتبعوا المرسلين
الى ما اخبر الله تعالى من قوله   من اقصى المدينة مثال لمن
بعد فلم تضره بعده وذكر المراجعين للرسل اصحاب القرية مثال
لمن قرب وطالت مباشرته وشاهد الايات فلم ينفعه قربه
فلما قصدت فى اية يس مثال من ذكر من الفريقين خصت من

تقديم المجرور على الفاعل بما يحرز المعنى المقصود فهو من قبيل
ما قدم للاعتناء والتهمم وقد يقدم في مواضع وانشاد سيبويه
عليه • لتقربن قربا جلديا • ما دام فيهن فصيل حيا • فلاجل
هذا المعنى ما قدم هذا المجرور هنا وتاخر الفاعل اما اية القصص
فلم يقصد فيها شي من هذا الجانب على ما يجب من تقديم الفاعل وبان
هذا كله ووضح ان كلا من الموضعين لا يناسبه ولا يليق به غير
الوارد فيه والله اعلم بما اراد الاية الثانية من سورة القصص
قوله تعالى وما اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما
عند الله خير وابقى افلا تعقلون وفي سورة الشورى فما
اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون سال عن زيادة قوله وزينتها
في الاية الاولى ومن تعقيبها بقوله افلا تعقلون وتعقيب الثانية
بقوله للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والجواب عن الاول
ان سورة القصص تضمنت ذكر قارون وما اوتيه من المال
الذي هو زينة الحياة الدنيا قال تعالى واتيناه من الكنوز ما ان
مفاتحه لتنوا بالعصبة اولي القوة ثم اخبر تعالى عن زهوه واختياله
وظنه استحقاقه اياه قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى
قال من غفل عن اخرته ولم يعلم ما اعد الله فيها للمومنين يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون فقدم سبحانه للمعتبرين من عباده المومنين
وتنبيها

وتنبيها للغافلين ليحصل السلامة للسعداء ممن عصم مما ابتلي به
قارون فقال تعالى وما اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وزينتها
وما عند الله اي للمومنين خير وابقى وقد اخبرهم سبحانه في
موضع اخر ان الدنيا وحياتها غرور واخبرهم ان الاخرة هي دار
القرار ليعظ بتحذير المومنين ورد في قصة قارون فالتحمت الاية
بتلك القصة وقيل هنا وزينتها كما قيل هناك فخرج على قومه في
زينته ومن الذي يعدل عما عند الله سبحانه الى ما جعله تعالى
سببا لاهلاك المشركين فناسب هذا كله وتلاءم ولم يقع في اية
الشورى ذكر وزينتها اذ لم يرد فيها ما ورد هنا مما استدعاه
هذه المناسبة ولم يرد في سورة الشورى من اولها الى اخرها ذكر
بسط حال دنياوي لاحد بل تضمنت حقارة الدنيا ونزارة رزقها
وانه مقدور وغير مبسوط وتلك حال الاكثر قال تعالى ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء وقال
عند ذكر من اختار الدنيا ومال اليها من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها فقال منها
باداة التبعيض فلم يقع في هذه السورة ما يستدعي ذكر الزينة
المالية فلذلك لم يذكر والله اعلم والجواب عن السوال الثاني
ان قوله تعالى في اية القصص افلا تعقلون ما التحم اوضح التحام
بما اتصل به من قوله افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن

متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين وكانه
قد قيل بعد قوله وما عند الله خير وابقى وكان قد قيل افلا اعلا
تعقلون ما بين الامرين ثم اجيب بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا
فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من
المحضرين في العذاب الذي لا اخر له فقوله افلا تعقلون من
تمام ما قبله وذلك من التناسب ولما ورد في اثناء السور كيف
وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير وقوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله فادع واستقم الاية
وقوله الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد وقوله
ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم وقوله وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير وتناسب هذا المتقدم من التخويف
بما سيق للمؤمنين المستجيبين فاضاف قوله وما عند الله خير
وابقى بقوله تعالى للذين امنوا الى صدقوا كلا هذا وعلموا ا
انفراده سبحانه بالخلق والامر فتوكلوا عليه فاعقبت كل اية
منها ما ناسبها ووردت على ما يجب والله اعلم الاية الثالثة
من سورة القصص قوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا
تسمعون ثم قال تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
للسائل

للسائل ان يسال لم قدم الليل ولم ختمت الاولى بقوله افلا تسمعون
والثانية بقوله افلا تبصرون والجواب عن الاول ان تقديم
الليل على النهار جار على ما بنت العرب عليه حساب شهورها
من تقديم الليل وجعل النهار تابعا له ولم يرد في كتاب الله على كثرة
تردده الا كذلك والجواب عن السؤال الثاني ان قوله في السورة
الاولى افلا تسمعون مناسب للمدرك ليلا   ضربي ما يعتبر
فيه من المسموعات والمبصرات اذ الليل حايل دون المبصرات
وانما يدرك فيه المسموعات لان ظلمة الليل غير مانعة من ادراكها
فجيء بما ناسب وجيء مع ذكر النهار بما ناسب ايضا فقيل افلا تبصرون
لان المبصرات تدرك نهارا ولا تدرك ليلا فجيء مع كل بما ناسب
سورة العنكبوت الاية الاولى منها قوله تعالى ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك
به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وفي سورة
لقمان ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن
وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا
معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم
تعملون وفي سورة الاحقاف ووصينا الانسان بوالديه حسنا
حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا الى قوله

من المسلمين اشتملت هذه الاي في السور الثلاث على التعريف
بما يجب من حقوق الوالدين وما يرعى لهما وسعى ذلك وعاينته
بل اجتمعت في هذا المعنى ثم اختلف ايرادها ففي العنكبوت
والاحقاف حسنا ولم يرد ذلك في سورة لقمان وفي العنكبوت
ولقمان النهي عن طاعتهما في الشرك ولم يرد ذلك في الاحقاف
وفي العنكبوت لتشرك بتعدية الفعل باللام وفي لقمان على ان
تشرك معدى بعلى وفي لقمان وصاحبهما في الدنيا معروفا
ولم يرد ذلك في السورتين وفي لقمان حملته امه وهنا على
وهن وفي الاحقاف حملته امه كرها ووضعته كرها وفي لقمان
وفصاله في عامين وفي الاحقاف وحمله وفصاله ثلاثون شهرا
وفي لقمان والاحقاف ذكر الام منصوصا عليها وورد ذكرها في
العنكبوت مجملا وفي العنكبوت ولقمان التعريف بالرجوع اليه
سبحانه ولم يرد ذلك في الاحقاف فيسال عن هذا وعن اختصاص
كل سورة من الثلاث بما خصت به وان كان ذلك حاصلا من جواب
ما تقدم فتلك تسعة اسولة والجواب عن الاول ان بنا اية
العنكبوت على قصة سعد بن ابي وقاص وما كان من فعل
امه وحلفها على ان لا تاكل ولا تشرب ولا تستظل حتى يرجع
سعد الى دينها والقصة مشهورة فنزلت الاية ولم يقصد غير
هذا فاكتفى بالتنبيه على الاحسان بهما ما لم يدعوا معا او احدهما
الى

الى الشرك ولما كان هذا حكما لا يخص ابا من ام لم يحتج الى التنصيص
على احدهما فوقع الاكتفا هنا بقوله حسنا ونصبه على الحال لان
المصدر اذا حذف اكتفى بصفته فانتصابها عند سيبويه رحمه
الله على الحال ذكر ذلك في بابه واما ورود حسنا في الاحقاف
فلما قصد فيها من البسط والاطالة حسبما يتبين بعد وورد الجو
في هذا الجواب السوال والجواب عن السوال الثاني ان النهي
في الشرك ورد في سورة العنكبوت لبنا الاية وما قبلها على ذكر
ذلك وهو المراد بالفتنة الواقع ذكرها في مطلع السورة وورد
في اية لقمان لما تقدم من قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان
الشرك لظلم عظيم ولم يرد في سورة الاحقاف لان اية الاحقاف
فيمن كان مومنا الا ترى قوله اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني
تبت اليك واني من المسلمين الى ما بعد هذا فلا مدخل هنا للشرك
والجواب عن السوال الثالث ان قوله في سورة العنكبوت لتشرك
بي بتعدية الفعل باللام وتعديته في اية لقمان بعلى فان ذلك لفرق
ما بين الايتين في السورتين من حيث بنا العنكبوت على
الاختصار فناسب ذلك الاكتفا باللام وبنا اية لقمان على الاطالة
فناسب ذلك التعدية بعلى ولو ورد على عكس الواقع لما ناسب
فجاء كل على ما يناسب والجواب عن السوال الرابع ان قوله في

آية سورة لقمان وصاحبهما في الدنيا معروفا امر بالرفق بهما
والقيام من حقهما ما ليس بمعصية ولما كان مبنى الآية على
الامر بما يفعل بهما ومعهما من غير مطلب لهما وافاد ذلك على
الجملة من المعروف بما ينبغي ان يكون الامر معهما عليه ناسبه
الوارد هنا من قوله وصاحبهما في الدنيا معروفا ولما كانت آية
العنكبوت مبنية على حكم من طلب من الابوين الشرك والرجوع
الى الكفر كما تقدم لم يناسب ذلك بان يقال فيها وصاحبهما في
الدنيا معروفا لما كان يكون فيه بالسابق من ظاهر الكلام من الاذن
في الصغو الى مطلبهما وهو ما لا يمكن ان يوذن فيه لا ظاهرا ولا
باطنا فلم يرد هنا ما كان يوهم جوازا ولو في ارادتهما الانقياد
لهما في الظاهر مع اعتقاد ما يجب اعتقاده في الباطن من التوحيد
لما في آية الاكراه من قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
وانما قصد هنا العزم على ما هو الحق وان لا يصغى الى مرادهما
لا ظاهرا ولا باطنا اذ جا هذا في طلب الشرك فلم يكن ليناسب ولا يلايم
ورود وصاحبهما في الدنيا معروفا في آية العنكبوت بوجه
واما آية الاحقاف فمبنية وواردة على حال ايمان الموصى بوالديه
وقد علم المومن فلا يلزمه من ابويه المومنين وانه اكثر من الموصى
به في آية لقمان فحاكل على ما يجب والجواب عن السؤال الخامس
ان قوله وهنا على وهن المراد به الضعف وقوله في الاحقاف
حملته

حملته امه كرها المراد به انها حملته ووضعته على ضعف من المشقة
بكره ولا تزاد فيحصل من الآيتين الاخبار بحالها من الضعف
والكراهة فلا تعارض والجواب عن السؤال السادس ان
قوله في سورة لقمان وفصاله في عامين وقوله في الاحقاف وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا لا تعارض بينهما لانهما اخباران عن
قضيتين لان الحمل والفصل مدتان ومدة الحمل غير مدة الرضاع
فاخبر في الآية الواحدة عن مجرد مدة الرضاع وفي الثانية عن المدتين
وقد تقدم التنبيه على الجار السؤال السابع والجواب عن السؤال
الثامن ان قوله تعالى في العنكبوت ولقمان الي مرجعكم تحذير
من طاعتهما في الشرك والابلاغ في النهي عن الصغو اليهما في
ذلك الى الغاية ليلا يظن ان ذلك كآية الاكراه كما تقدم ولما لم يقع
في آية الاحقاف ذكر الشرك وكان فيمن كان على ايمان وقد علم
المومن رجوعه الى ربه لم يردف فيها ذكر ذلك والجواب عن السؤال
التاسع حاصل في الجواب المتقدم وتلخيصه ان تخصيص هذه
السورة بما ورد فيها يختلف بهذا السياق لما ذكر وقد مر اما آية
العنكبوت فلما قدم ذكره في قصة سعد واما آية لقمان فلتقدم
قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم واما سورة الاحقاف فلما جرى في جواب
السؤالين الثاني والرابع من الخصوص بمن آمن والله اعلم الآية

الثانية من سورة العنكبوت قوله تعالى وما انتم بمعجزين في الارض
ولا في السما وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وفي سورة
الشورى وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير للسايل ان يسال عن زيادة الواو في سورة العنكبوت
من قوله ولا في السما ولم يرد ذلك في اية الشورى والجواب
عنه والله اعلم انه لما تقدم قبلها قوله تعالى ام حسب الذين
يعملون السيات ان يسبقونا وهذا من اشد الوعيد وحاصله
انه لا يفوته سبحانه احد ولا مهرب منه الا اليه ناسب هذا قوله
تعالى وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما كما قال اينما تكونوا
يات بكم الله جميعا الى ما ورد من هذا وذلك تناسب بين ولما
لم يرد في سورة الشورى من اولها الى الاية مثل هذا الوعيد الشديد
ولا كان فيها ما يستدعي هذا التعميم والاستيفا الوعيدي
وردت الاية مناسبة لذلك فقال تعالى وما انتم بمعجزين في الارض
ولم يكن التعميم هنا لمناسب فورد كل على ما يجب والله سبحانه
اعلم الاية الثالثة من سورة العنكبوت قوله تعالى فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون وورد بعد هذا خلق الله السموات والارض
بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين فافرد هنا اية وجمع في الاولى
فقال لايات مع ان هذه الثانية اعظم فانه تعالى خلق السموات
والارض

والارض اكبر من خلق الناس فللسايل ان يسال عن وجه ذلك
والجواب عنه والله اعلم ان الاشارة في الاية الاولى بقوله ان في
ذلك لايات ليست لقصة ابراهيم عليه السلام وانجايه من
النار فقط بل الاشارة لمجموع معتبرات منها لبث نوح عليه السلام
في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويريهم الايات
فما امن معه الا قليل ومنها اية اخذهم بالطوفان وتعميم
الغرق لجميع اهل الارض ومنها انجا اهل السفينة وجعلناها
اية للعالمين ومنها ما احيلوا عليه من الاعتبار بمن قبلهم
في قوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم الاية ومنها دعا ابراهيم
عليه السلام وعظيم شانه لقومه وما استجره دعاوه اياهم من
البراهين والايات على توبيخه ومنها ما احيلوا عليه اخر الايات
في قوله اولم يروا كيف يبدي الخلق ثم يعيده فلما تحصل الايات
ورد التنبيه بالاشارة الى جميعها فقيل ان في ذلك لايات واما
قوله في الاية الاخرى ان في ذلك لاية فالاشارة الى المصدر وهو
الخلق المفهوم من خلق السموات والارض بالحق كما في قوله
تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى فالضمير للمصدر وهو العدل
المفهوم من قوله اعدلوا وهو جار في الضمير واسم الاشارة
مترددة في كلام العرب فكل من الايتين على ما يجب الاية الرابعة
من سورة العنكبوت قوله تعالى وما يجحد باياتنا الا الكافرون

وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما
يجحد باياتنا الا الظالمون للسايل ان يسال اولا عن وسم
الجاحدين بالكافرين ثم وسموا بعد بالظالمين والظلم يصح اطلاقه
على ما دون الكفر فقد يسبق الى الوهم انه لو ورد وصفهم
اولا بالظلم ثم ثانيا بالكفر لكان انسب والجواب ان الظلم
وان كان يطلق على الكفر وعلى ما دونه قال تعالى والكافرون
هم الظالمون فانه اذا ذكر بعد الكفر ووصف به من قد وصف
بالكفر افهم زيادة تركب على الكفر قال تعالى ان الذين كفروا
وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
الاية وعلى هذا ورد في القران وقد تقدم ذلك فقد وضح ما وردت
عليه اية العنكبوت وليس من المشكل الاية الخامسة قوله
تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر ليقولن الله فانى يوفكون وفي سورة لقمان ولين
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله
بل اكثرهم لا يعلمون وفي سورة الزخرف ولين سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فواردت هذه
الاي الثلاث على معنى واحد من تقريرهم على ما كانوا يعترفون به
من انفراده سبحانه بخلق السموات والارض ثم اعتراقهم بذلك
ان

ان يسالوا ثم اتبع ذلك في سورة العنكبوت بقوله ولين سالتهم
من نزل من السما ما فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله
قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون فاعلم الله تعالى انهم لو سيلوا
ابتداء عن هذا لاعترفوا ثم اختلف ما اعقب به هذه الاي من
وصفهم حيث وصفوا فيها بعد فرض سوالهم واعترافهم فاعقبت
الاولى بقوله فانى يوفكون واية لقمان قل الحمد لله بل اكثرهم لا
يعلمون واية العنكبوت الثانية بقوله قل الحمد لله بل اكثرهم
لا يعقلون ولم يرد في اية الزخرف اتباع بوصف فللسايل ان
يسال عن اتحاد مقصود هذه الاي او تفصيله وعن وجه
اختلاف الحال فيما ورد التعقيب به في هذه الاي والجواب
عن الاولى والله اعلم ان المقصود منها ليس واحدا اما ثلاث الايات
الاول فالمراد بها الاستدلال بهذا الخلق العظيم وما هو عليه
من جليل التناسب واتقان الصنعة واحكامها من غير تفاوت
ولا فطور على وحدانيته تعالى والانفراد بالخلق والامر واتصافه
بالعلم والقدرة الى ما يجب له تعالى من صفات الكمال والتعالي عن
شبه الخليقة ولوضوح هذا الدليل ما اخبر تعالى عنهم انهم لو
سيلوا لاعترفوا فقال ولين سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله واما قوله تعالى ولين سالتهم من نزل من
السما ما فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله الاية فمقصودنا

اقامة البرهان على الاحيا من بعد الموت وبيان ذلك بمثالات
مشاهد للعالم ليحصل عن اعتباره جواز ما قصد تمثيله وبذلك
افصحت اية الاعراف في تعقيبها بقوله كذلك نخرج الموتى
وذلك ابين شي فقد اختلف المقام كما قدم ووجه تخصيص
سورة العنكبوت بهذه الاية مناسبتها لما يرد فيها وتكرر
من ذكر العودة الاخراوية والاشارة اليها في نيف على عشرة
مواضع اولها قوله تعالى من كان يرجو لقا الله فان اجل الله لات
واخرها ما ورد قبل الاية المتكلم فيها من قوله تعالى كل نفس ذائقة
الموت ثم الينا ترجعون بما اتصل بها وانتهى الى المقصود قوله
تعالى اولم يروا الذين كفروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان
ذلك على الله يسير الى قوله ثم الله ينشي النشاة الاخرة فناسب ما
ورد في هذه السورة من هذه الاي ايراد اية المثال المذكور
ولما لم يرد في السور الاخر بين مثل الوارد المتكرر في سورة
العنكبوت لم يكن ليناسبها ورود اية المثال مناسبتها حيث
وردت والجواب عن السؤال الثاني وهو توجيه اختلاف الحال
فيما وقع به التعقيب في هذه الاي ان ذلك مبني على الترتيب
الثابت في الكتاب العزيز ذكر تعالى حالهم ولو سئلوا عن خلق
السموات والارض وتسخير النيرين ولا اشكال فيه لمن
وفق قال تعالى فانى يوفكون اي كيف يصرفون عن الدلالة

مع

مع وضوحها بمر قال عقب اية لقمان بل اكثرهم لا يعلمون وحصل
مما اعقب به الايتان ما في قوة ان لو قيل كيف يصرفون مع بيان
الامر ما لذلك الا لمنعهم عن العلم انا جعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه واما ختام اية الزخرف بقوله خلقهن العزيز العليم
فاعتراف تام بوصفه تعالى بالقدرة والعلم واذا اعترفوا بذلك
لم يبق الا العناد بما قدر عليهم ومناسبة هذا الختام على
ما مهد من رعي الترتيب بين وكان هذه الاية الاخيرة في قوة
ان لو قيل واذا حقق عليهم دونعوا في سؤالهم اعترفوا بالامر
على ما هو عليه فكفرهم بذلك اتباع للهوى وضلال عن علم
والتناسب في هذا كله بين واما اية العنكبوت الثانية وهي
قوله تعالى ولئن سالتهم من نزل من السما ما فاحيى به الارض
من بعد موتها ليقولن الله ثم قال قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون
فوصف اكثرهم هنا بعدم العقل ووجه ذلك والله اعلم التعريف
بافراط قصورهم حتى استحقوا الوصف بصفات البهايم ومن
لا يصح خطابه وذلك ان العقل افضل الانسان وبه امتيازه عن
البهيمة ولا يمكن العلم بشي الا بعد حصوله والاتصاف به وهو
مناط التكليف وهو عند المتكلمين عبارة عن علوم ضرورية
وليس كل العلوم الضرورية وهو مع هذا خصيصة جليلة ان
عدمت لم يمنع التكليف ولا لا وجود علم ولا اضداد العلم العامة

والخاصة اضداد للعقل وهو من قولهم عقلت البعير اذا امسكته
بعقال وبه صح خطاب المكلفين فاذا فقد لحق فاقده بالبهائم
ثم يقول ان انزال الماء من السماء وهو ماء واحد يكون عنه مختلف
النبات وضروب الاشجار وانواع الثمر المختلف الحالات مع
وحدة المادة فمن عقل هذا او عقل وجود الانسان من نطفة
واحدة كوحدة الماء النازل من السماء ثم يكون على تلك النطفة
شكل الانسان وما ينطوي عليه خلقه ويشتمل عليه جملته
والمادة واحدة والتلاقي والتشبه بين المائين وما اوجده سبحانه
اوضح شي لمن عقل وكيف يستبعد العودة من يشاهد هذا او يعترف
به فقد ارانا سبحانه في ماء السماء وما يكون عنه من الاحياء بعد
الموت ما اوضحته وفي قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا
وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها الاية ما
فيه ابين دليل لمن وفقه سبحانه للنظر والاعتبار لا يوفق به
وجعل ذلك متكررا ونبه تعالى عليه بقوله كذلك نخرج الموتى وقال
تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد

سورة

الروم الاية الاولى منها قوله تعالى اولم يسيروا في الارض
فينظروا

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة
واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وفي سورة فاطر
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شي في السموات
ولا في الارض وفي سورة غافر اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة
واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من
واق وفي اخرها افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون للسائل ان يسال عن اختلاف
هذه الايات مع اتفاقهما في المعنى المقصود بها وعن وجه اختصاص
كل موضع من مواضعها بما خص به منها والجواب عن السوال الاول
ان هذه الايات لم يختلف المقصود بها وهو التنبيه على الاعتبار
بحال من تقدم من القرون في اخذهم مع تمكنهم وانما ورد في كل
موضع منها من ذكر من تقدم من القرون ما يلائم ما جرى في
تلك السورة قبل ذلك الموضع او بعده من اشارة او تعريف
بذلك اخبارا من غير تنبيه او تحريك الى الاعتبار بهم حسن حين
التنبيه بقوله اولم يسيروا في الارض ووقع ما ورد قبلا او بعد
من اخبار او اشارة لذلك مبنيا على ما عرض عليهم وحركوا به من

التنبيه على ذلك المتقدم او المتاخر والتحم معه وكمل التعريف التفسيري بحال المذكورين والتأم ذلك وتناسب وربما جرى ذكر اخذهم وهلاكهم بتكذيبهم في غير آية التنبيه بما افصح به في آية التنبيه الوارد في غير هذه المواضع لاختلاف في المعنى بيان ذلك ان آية الروم وهي اول تلك الآيات وقد ورد فيما بعدها من تلك السورة قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين فهذا تعريف منه سبحانه بما فعل باولئك الذين كانوا اشد قوة من هؤلاء وكانوا قد اثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها ولا جاءتهم رسلهم بالبينات قد ذكر في اول السورة من حالهم هذا ولم يذكر ما فعل بمن كذب منهم ولا بمن امن فعرف في الآية الاخيرة بذلك وانه سبحانه انتقم منهم لاجترائهم بالتكذيب وعرف بنصر مؤمنيهم ونجاتهم فحصل من الآيتين التعريف التام بما جرى منهم ابتداء وانتهاء وصار مجموع الآيتين من الالتحام كان قد قيل اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم مع زيادة قوتهم واستشارهم وطول اعمارهم اكثر من هؤلاء ولا جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا فانتقمنا ممن اجرم وكذب ونصرنا من امن وكان حقا علينا نصر المؤمنين وما ظلمنا من انتقمنا منه وما كان الله ليظلمهم الآية فقد اتضح هذا

كله

كله وتناسبه والتيامه فان قيل فلم يرد ذكر ما اخذهم بالانتقام منهم لما اجترموا متصلا بما تقدم من التذكير والاعتبار بهم وكان يحصل ذلك كله في كلام متصل بعضه ببعض ولم وقع ذكر اخذهم بالانتقام منهم لما كذبوا متاخرا عن الوارد من حالهم اولا الى امرها ولا وبهوا عن الاعتبار بها قلت جرى ذلك على المعتاد منه سبحانه في دعا الخلق الى الايمان من التلطف والرفق في الدعا وبذلك امر رسله عليهم فقال لنبينا صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال لموسى عليه السلام وذكرهم بايام الله اى بنعمه والآية قبلهم وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقال يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وهذا في القران كثير فلما امر هؤلاء وذكروا بالاعتبار بمن تقدم من القرون ولم يتقدم قبل الآية الا التلطف والتانيس لم يكن ليناسب ذلك من اخذ المكذبين الا ان يكون ايماء واشارة لا افصاحا فلذلك اكتفى اولا من الاشارة الى اخذهم بقوله فما كان الله ليظلمهم وترك الافصاح بالانتقام منه الى ان اوردوا اخبارا منه سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم في غير معرض الدعا الى الايمان فقال تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا فحصل التعريف بغاية حال المذكورين قبل في تكذيبهم فهذا

موجب تعريف هذا الاخبار والله اعلم فان قلت فقد ورد في اية غافر
من هذه الاي مجموع التنبيه والاخذ متصلا على عمومه وعقبت
الان قلت ذلك لسبب اقتضاه نذكره بعد فاية الدعا الى الله انما
ترد في الاغلب على ما ذكرنا من التلطف والابقا على العباد وذكر
الاحسان والرفق وقد ترد على غير هذا الاداع وحامل والاكثر
ما ذكرته واما اية فاطر فقد تقدمها قوله تعالى اخبارا لنبيه صلى الله
عليه وسلم وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم
جاتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين
كفروا فعل بعد هذه فيما هو منها ومرتبط بمعناها اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد
منهم قوة فاخذتهم بما يحمد سكذبيهم دكفرهم ولم يبق منهم احد لا
في العلم لهم وباحوالهم القادر الذي لا يعجز في شي ولا يعوقني
هارب فما مل التحام هذا كله وتناسبه وكيف تم الاخبار وكمل
ابتداوانتهاو بما لم يكمل ووقع الاكتفا في اية الاعتبار بالايما الى اخذهم
بقوله وما كان ليعجزه من شي في السموات ولا في الارض احاله
على ما تقدم من اخبار نبيه صلى الله عليه وسلم باخذهم في قوله
ثم اخذت الذين كفروا والتحم هذا كله وتناسب اعظم تناسب
واما الاية الاولى من سورة غافر فورد على الجمع بين التنبيه
للاعتبار بمن تقدم وبين اخذهم ولم يرد فيها التفصيل الوارد

فيما

فيما تقدم فقال تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في
الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ثم
اتبعت الاية بما يوجب اخذهم وذكرت العلة في ذلك من كفرهم واجتمع
في هذه الاية ما افترق في غيرها فقال تعالى ذلك بانهم كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب
فحصل منها التعريف باخذهم وذكر العلة الموجبة لذلك من تكذيبهم
وكفرهم متصلا ذلك كله بعضه ببعض ولم يجر هذه الاية من التلطف
في الدعا والتنبيه على ما جرت نظايرها مما تقدم ونبه عليه وسبب
ذلك انه تقدم في اول هذه السورة من الاخبار بسو مراجعتهم
وقبح معاملتهم مع انبيائهم ما يوجب سريع الاخذ وتنافر التلطف
وذلك قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت
كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فلما تقدم هذا من حالهم بالباطل وما سموا به من اخذ رسلهم
وامتحانهم زايدا الى التكذيب ناسب هذا تعجيل اخذهم فوردت الاية
المنبهة على ذلك ولهذا اختصت من التاكيد بما لم يرد مثله فيما
تقدمها فقيل كانوا هم اشد فوكد بالضمير تخصيصا وتعيينا للمذكورين
من نوح والاحزاب ثم اتبع ذلك في قراة ابن عامر تخصيص لمن
وعظ بذلك وخوطب فقيل منكم فتعاضد التاكيد في الطرفين تاكيدا

يناسب ما ينبئ عليه الآية وتشهد له وتسمو عن ما قدم من
السبب الأول وردت الآية الأخيرة من قوله في آخر سورة
أولم يسيروا في الأرض إلى قوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون
ثم أعقب بهذا بقوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم
من العلم إشارة إلى ما كانوا يظنونه علما ويجادلون به من قولهم
أساطير الأولين وقولهم إن هذا السحر مفترى وقولهم ولو نشاء
لقلنا مثل هذا إلى ما ورد من مقالاتهم ومحاوراتهم المشار إليها
في قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق فسماه
سبحانه علما في قوله فرحوا بما عندهم من العلم بحسب اعتقادهم
وظنهم كما قال تعالى أين شركائي أي في زعمكم وهو سبحانه
المنزه عن الشريك والنظير ويكون ما عندهم من العلم المراد
به ما كان لدى من تعاطى النظر منهم فلم يوفق من استبعاد
العودة الأخراوية وإنكار حشر الأجساد بعد تفرق الأشلاء
والأجزاء وصيرورة بعضها غذاء لحيوان آخر وتفرقها وفنائها
قالوا من يحيي العظام وهي رميم وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا
لمبعوثون وهو نظر مبني على قاعدتين واهيتين وهما إنكار
القدرة وإنكار علمه تعالى بالجزئيات وعليهما بنى منكروا
حشر الأجساد من الفلاسفة وهو قول زعيمهم أرسطو ومن
تبعه من المشائين ومن قال بقولهم وليس مما اتفقوا عليه فقد

نقلوا

نقلوا عن أفلاطون وغيره من زعمائهم مخالفة هذا القول وموافقة
المتشرعين في حشر الأجساد ونقلوا عن جالينوس التوقف
وقد رام بعض متفلسفة الإسلام الجمع بين المرتكسين فقال بالحشر
الأجساد على تأويل لا يعلمه المشرعون وذلك لما زعمه من
مواهب الشريعة ولما بنى المنكرون مذهبهم على إنكار القدرة
والعلم بالجزئيات المراد في الكتاب العزيز مهما ذكر من العودة
الأخراوية أن يناط بها وصفه سبحانه بالقدرة والعلم إفصاحا
وإشارة بحسب المراد لا يكسر إرغاما للمنكر الجاحد وحجة
قاطعة بالمعاند قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده إلى قوله
وهو العزيز الحكيم فوصفه سبحانه بالعزيز إشارة إلى القدرة وإشارة
قوله الحكيم إلى العلم وقال تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال
من يحيي العظام وهي رميم ثم قال قل يحييها الذي أنشأها أول
مرة وهو بكل خلق عليم فقوله يحييها وأنشأها إشارة إلى القدرة
وقد وقع الإفصاح بها بعد في قوله أوليس الذي خلق السموات
والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم الآية وبسط هذا ورد أقوال
هؤلاء الكفرة مستوفى في مظانه وقد شفا فيه أئمتنا رضي الله
عنهم وكتاب الله سبحانه كاف لمن وفق لتدبره واعتباره
بالبراهين القاطعة نصوصا فما كان قد بدا من قدم ذكره من
الشبهات فما ذكرنا هو الذي فرحوا به واعتقدوه علما ورد التعبير

على بعيدهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فقد وضح وجه مناسبة
هذا لقوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وتبين أيضا
وجه خصوص كل آية من هذه الاربع بموضعها والله أعلم الآية
الثانية من سورة الروم قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من
انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات
والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين
ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في
ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا
وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون للسائل ان يسأل عن اختصاص كل آية من هذه
الاربع بما ختمت به من وصف المعتبرين والجواب عن ذلك
والله أعلم ان الآية الاولى لما انطوت من حكمته سبحانه في سبب
التناسل والتكاثر على ما ابداه الله تعالى في خلق الازواج منا
ليحصل التمسك وعدم التنافر ثم غرس سبحانه المودة
والرحمة في قلب كل واحد من الزوجين ليتم الالتئام ويحصل
التعاون على ما به قوام العيش الى ما جعل في قلوبهما من
حب الولد وهيامه عند وجوده من الرقة الى ما يتعلق بهذا
ويرجع اليه مما لا يحصل على عجائبه ولا يحاط ببعض الحكمة فيه الا
بملازمة

بملازمة الفكر وطول الاعتبار ناسب هذا اعقاب هذه الآية بوصف
التفكر فقال تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ولما كان
خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان ولم
تكن شهادة هذه بحيث تخفى حتى يحتاج فيها الى طول التفكر
في ادراك المقصد بالعقل وان اتسع النظر في عجائب ما انطوت
عليه الاجرام السماوية وانتشرت وجوه الاعتبارات الى ما
يحسر العقول دونه ويكل الاذهان عن ادراك ادناه ولهذا
يفصل ذكر الاعتبارات بالسموات والارض فقال ان في خلق
السموات والارض وقال ان في السموات والارض لآيات
للموقنين فاشير اولا الى خلق اجرامها وصورتها واشير ثانيا
الى خلق ما فيها وهذا بحر لا تكدره الدلاء وباب لا يسعه تدوين ولا
املاء ومع ذلك فان ربنا سبحانه ذكر عباده من ذلك بما بدا
شاهده فقال اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها
وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا
فيها من كل زوج بهيج الى ما يتلو هذا مما يشهد باول اعتبار
مما لا ينكر عنه البصائر والابصار ومما لطف دعاءه سبحانه
بالخلق الى عبادته في قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
الى قوله الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الى اشباه هذه الآي
فلما كان هذا الضرب من الاعتبار يحصل باوله المقصود لكل واحد

قال تعالى ان في ذلك لايات للعالمين فوضح تناسب هذا الختام
ولاح التلاحم والالتيام ولما كان امر الليل والنهار منصوصا
على وجهه بالخلائق فيهما في عدة ايات كقوله تعالى وجعلنا الليل
والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب
وقوله الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
وقوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا الى غير هذه من
الايات والاخبار الواردة اعقب بقوله لقوم يسمعون واما اراءته
سبحانه البرق خوفا وطمعا وانزال الما من السما واحيا الارض
بعد موتها فلا يحصل ثمرة الاعتبار به الا لمن اطال الاعتبار
وامعن النظر وبالغ في ذلك ولما كان حصول الثمرة المطلوبة هنا
يتوقف على ما ذكر ويحصل العلم بذلك الامر بتلقفه مع وضوحه
اعقب بقوله لقوم يعقلون **الاية الثالثة** من سورة الروم قال
تعالى اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك
لايات لقوم يومنون وفي سورة الزمر اولم يعلموا ان الله يبسط
الرزق لمن يشا في اية الروم اولم يروا وفي الاخرى اولم يعلموا
فللسايل ان يسال عن الفرق **والجواب** والله اعلم ان سورة الروم
لما تقدم فيها قوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض
فينظروا

حيثه
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم والتفكر يردد نظرو شما
واعتبار والنظر المحال عليه فيما حضوا عليه من سيرهم في
الارض انما هو استعلام وبحث واعتبار بحال من بعدهم ناسب
ذلك قوله تعالى اولم يروا لان قول القايل لما لعمرة ما ترى في هذا
الامر انما يريد بحث عما يرد في خاطرك ويختلج في فكرك وعرفني
عما يظهر لك وتختاره وكذا قول القايل لامعالي لهذه القضية ما
اراك الله انما يريد اجتهد وامض فيها من الرد في خاطرك
مما تراه الاولى والحاصل من الراي في مثل هذا عالب الظن وليس
بعلم لامكان الخطا فيما يراه اذ لسنا معصومين ولو فرضنا
العصمة لكان الحاصل علما وفي كتاب الله سبحانه قوله لنبيه صلى
الله عليه وسلم فاحكم بينهم بما اراك الله وانما احيل صلى الله عليه
وسلم على اجتهاده واعتباره لما لديه من الوحي وما انزل عليه
الا انه صلى الله عليه وسلم مكتنف بالعصمة والحفظ عن الخطا
والغلط فيما يراه مما يرجع الى التبليغ وتقعيد احكام شريعته
فالحاصل من نظره صلى الله عليه وسلم وما يراه علم واما عن نظر
غيره ممن ليس بمعصوم فظن كما تعلم ولفظ راى يصلح في
الحالين ويقع بالاشتراك على المعنيين وعلى الابصار فناسب
لتردد لفظه بين هذه المعاني وان كان في سورة الروم يراد بالعلم
ما تقدم في السورة من قوله اولم يتفكروا وقوله اولم يسيروا في الارض

لجامع التردد في وضع اللفظ وان كان الفكر من قبيل التواطي
والروية من المشترك الا ان التردد حاصل في التواطي ملحوظ
الشخص توضح التناسب واما سورة الزمر فلم يتقدم فيها ما تقدم
في سورة الروم مما يستند عليه ذلك التناسب نحو قوله اولم
يعلموا فطريق باللفظ المعنى من حيث لا تردد فيهما من وجه ولا
اشتراك وايضا فقد تقدم في هذه السورة قوله تعالى فاعبد الله
مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني والاخلاص
مسبب عن العلم وهو ثمرته اعني ثمرة العلم فناسب هذا قوله اولم
يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فانهم اذا علموا
تسبب عن علمهم الاخلاص ان سبقت سابقة سعادة فتناسب
هذا اتم مناسبة فهذا وجه بين من الجواب وكانه لما تقدم فيه
المسبب وهو الاخلاص بين بذكر سببه وهو العلم ووضح على
هذا ان ما ورد هنا لم يكن ليناسب ما في سورة الروم ولا ما ورد في
سورة الروم ليناسب ما ورد في سورة الزمر والله اعلم الاية
الرابعة من سورة الروم قوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم من
قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير
للسائل ان يسال عن اختلاف ما وقع به الاتباع في الايتين فقيل
في الاولى يومئذ يصدعون وفي الثانية ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم
من نكير والجواب عن ذلك والله اعلم ان اية الروم لما اعقبت بقوله
يومئذ

يومئذ يصدعون تمهيدا لما اتصل بها من تفصيل الاحوال في قوله
من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون لان
يصدعهم يراد به افتراقهم كما في قوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فالمراد يومئذ يصدعون الى ما اعد لكل منهم
بحسب مرتكبه وحاله في كفره او ايمانه وقد تضمن قوله فعليه
كفره جزاءه واشار الى تفصيل احوالهم في عذابهم كل بحسب مرتكبه
جزاء وفاقا وكان الكلام في قوة ان لو قيل فعليه مطابقة كفره من
العقاب وكذلك تضمن قوله في الناجين ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون من تفصيل الاحوال في الثواب كل بحسب ما مهد لنفسه
كما في قوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون فعبر عن ذلك باوجز
عبارة واوفاها بالمقصود وقدمت الاشارة الى ذلك لتفصيل
في الفريقين بقوله يومئذ يصدعون اي يفترقون فيفترقون
كل لما سبق له ميسرا عن سالف عمله ومرتبطا بما اله فهذا
وجه تعقيب اية الروم بقوله يومئذ يصدعون واما اية الشورى
فانه تقدم قبلها قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
والولي من يرجع اليه ايضا واعتمادا ثم قال تعالى مخبرا عن الظالمين
في نفي الولي والنصير عنهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من
دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل فلما نفى عنهم الاولياء
والناصرين والسبيل الى التخلص ناسب ذلك امره تعالى العباد

بالاستجابة بقوله تعالى استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد
له من الله اي انه ات لا محالة ما لكم من ملجا يومئذ اي من ولي
ترجعون اليه او دافع يدفع عنكم وما لكم من نكير اي انكار ولا تغير
ولا يسعكم انكاركم ان تعلمهم فحذر تعالى عباده من حال الظالمين
في عدم الولي والناصر وامرهم بالاستجابة قبل التورط وانقطاع
الطمع والرجا في التخلص وعدم دعوى الانكار لمن ظن التعلق به
فحذرهم مما امتحن به غيرهم بعد ذكر حال من امتحن فتناسب
ذلك كله ووضح تناسبه **الاية الخامسة** من سورة الروم
قوله تعالى ومن اياته ان يرسل مبشرات وليذيقكم من رحمته
ولتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم وفي سورة
الجاثية الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من
فضله **للسائل** ان يسال عن زيادة فيه في سورة الجاثية
وكونه سقط في سورة الروم **والجواب** ان هذا لا اشكال فيه
لان البحر لم يجر له ذكر في سورة الروم فلم يكن للضمير ما يرجع اليه
فلم يوت به لهذا ولو قصد محل جري الفلك للزم الاتيان بالظاهر
ولقيل ولتجري الفلك في البحر وهو مفهوم من السياق فلم يحتج اليه
هناك اما اية الجاثية فانه لما تقدم فيها ذكر البحر جي بالضمير المجرور
والعائد اليه على ما يقتضي وكان له مفسر فحسن الاتيان به بخلاف
اية الروم فالفرق بينهما بين لا خفا به **سورة لقمان الاية**
الاولى

الاولى منها قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان
لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم وفي سورة
الجاثية ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر
مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم **للسائل** ان يسال
عن تخصيص اية لقمان بقوله كان في اذنيه وقرا **والجواب**
عن ذلك والله اعلم ان اية الجاثية لما تقدم فيها ويل لكل افاك اثيم
يسمع ايات الله تتلى عليه فوصفه بسماع ايات الله لم يكن ليطابقه
ذكر الوقر المانع منه **فان قيل** لو ذكر هنا الوقر في الاذنين لم يكن
ليكون الا تاكيدا لبيان توليه واعراضه فكان يناسب **قلت**
لو وكد بدلالة لا تقتضي مقارنته عدم السماع وليس المراد والله اعلم
الا انه سمع واعرض فكانه لم يسمع لتجري في الوارد هنا مع قوله
تعالى فيمن صمم على كفره من يهود وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا اريد به
انتفا سماعهم ولم يرد منعه البتة لم يناسبه التاكيد المعرب من
المنع مع ان النسق الوارد مراد تحصيل المقصود والله اعلم ولما لم
يقع سماع الايات في اية لقمان وتقدم ذكر المشار اليه فيها بقوله
ومن الناس لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها
هزوا وهذه زيادة مرتكب فناسبها ذكر زيادة الوقر مع انه لم
يرد فيها ذكر سماع الايات كما ورد في اية الجاثية فازداد ووضح

التلاوم وان عكس الوارد لا يلايم والله اعلم بما اراد الاية الثانية
من سورة لقمان قوله تعالى يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
وقال في سورة الشورى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور يسال عن مقتضى توكيد الخبر في هذه الاية وسقوط
التاكيد في الاولى والجواب عن ذلك والله اعلم ان اية الشورى
لما دخلها معنى القسم وكانت على تقديره اذ اللام في قوله ولمن صبر
وغفر توطية له ودلالة على تضمن الاية معناه ناسب ذلك زيادة
لام التاكيد في خبر ان وذلك ظاهر من معنى الاية واما اية لقمان فقوله
فيها ان ذلك من عزم الامور مجرد اخبار عن حال ما وقعت الوصية
به ولا مدخل للقسم هنا ولا معنى له فلم تدخل لام التوكيد في الخبر اذ
ليس في الاية معنى قسم يستند عنها ولا ما وقع في اللفظ ما يلايمها
فورد كل على ما يجب ويناسب ولو قدر العكس لما ناسب والله اعلم
الاية الثالثة من سورة لقمان قوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس كل يجري الى اجل مسمى
وان الله بما تعملون خبير وفي سورة فاطر يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم
الله ربكم وفي سورة الزمر يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز
الغفار

المسايلات

الغفار يسال عن قوله في سورة لقمان الى اجل بالى وفي السورتين
بعد لاجل يجري اجل باللام مع اتحاد المعنى فما الفرق والجواب والله
اعلم ان اية لقمان تقدمها التنبيه على الاعتبار بقوله الم تر ان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر بعطف بواو النسق المقتضية الجمع فدخل المذابح ما
قبله تحت حكم التنبيه بقوله الم تر وحكم التنبيه بالاعتبار منسحب
على المجموع للاشتراك في اللفظ والمعنى وطال الكلام بحسب ما
اقتضاه مقصوده فناسب طول الجر ما ناسبه مما لا يخرج عن معنى
اللام الجارة وهو الى فاجر الاجل بها ولما لم يتعد على الجار ليس في
اية لقمان ناسبه الجر باللام اكتفاء بحرز المعنى المقصود وناسب
المركب وورد كل على ما ناسب اتم مناسبة والله اعلم سورة
السجدة الاية الاولى منها قوله تعالى وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون وفي سورة سبا ونقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون للسائل ان يسال عن صرف
الوصف الى العذاب اولا فذكر بفعل الذي كنتم به تكذبون وصرفه
ثانيا الى النار فعل التي كنتم بها تكذبون فانث الموصول والضمير
ما وجه ذلك والجواب انهم تكذبون بالنار بعذابها وقد ورد
العذاب مضافا اليها في السورتين والعذاب مذكر والنار
مؤنثة وعوده الضمير الى كل من المضافين يحصل المقصود على

السوال اما معنى السوال عن تخصيص كل واحدة من السورتين
بما ورد **والجواب** ان اية السجدة اقترن بها ما استدعى ان ناسب
وهو قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب
الاكبر فلما اتصل ذكر العذاب اعلاما بالحاق ضربيه الادنى
والاكبر من جرى الوعيد لهم والعذاب فذكر وقد تكرر ذلك
وعقبه فناسبه عودة الضمير قبله الى العذاب المضاف الى
النار ليجري ذلك كله مجرا واحدا ولما لم يكن تلو اية سبا
ولا قبلها ما يستدعي ذلك اعيد الضمير الى النار فوضح التخصيص
في السورتين وورود الوجهين الجاريين كما تقدم مع المناسب
والله اعلم **سورة الاحزاب الاية الاولى** منها قوله تعالى
ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما وفيما
بعد من السورة ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شا او يتوب عليهم **يسال** عن ما اعقبت به
كل من الايتين مع تقارب ما بني عليه التعقيب **والجواب**
والله اعلم ان اختلاف التعقيب يرعى فيه ما تقدم قبل كل واحدة
من الايتين اما الاولى فالمتقدم فيها قوله تعالى ولا تطع الكافرين
والمنافقين ثم لم يعد الكلام الى ذكر شي من مرتكبات المنافقين
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ثم
تتابعت الاي بعد معرفة مرتكباتهم وقبيح افعالهم في ثماني

ايات

ايات او نحوها الى قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
ثم اعقب هذا بذكر حال المومنين وذكروا باحسن ما يتحلى
به الصادق في ايمانه فقال تعالى ولما راي المومنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم
الا ايمانا وتسليما الى عظيم ما وصفهم به سبحانه ثم اعقب بذكر
حال الفريقين فقال ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شا او يتوب عليهم وقد اتى سبحانه عليهم
بقوله ان شا او يتوب عليهم جريا على المطرد من عظيم حلمه
وسعة عفوه ورحمته وكل من هذا وارد على اعظم مناسبة
قلت وهذا مناسب للمتشابه من الضرب الذي بني عليه
هذا الكتاب وليس منه **الاية الثانية** من سورة الاحزاب
قوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا
مقدورا وفي اخر السورة سنة الله في الذين خلوا من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا **للسائل** ان يسال عن وجه الاختلاف
فيما اعقب به كل اية منهما ففي الاولى وكان امر الله قدرا مقدورا
وفي عقب الثانية ولن تجد لسنة الله تبديلا **ووجه** ذلك
والله اعلم ان الاية الاولى تعقبت بها قصة زينب ام المومنين
وزيد ابن حارثة رضي الله عنهما وما جرى في ذلك الى ان تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلام له ان تلك سنته في عباده

التي شاهدها وقررها حكما ثابتا فيمن بعدهم من الرسل والانبياء ومن
اهتدى بهديهم فلا حرج عليك يا محمد ولا تصغ الى قول منافق
يقول تزوج محمد حليلة ابنه فان زيدا ليس ابنك ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وانا شئت تزويجك اياها وحكمت به في
سابق علمي بعد تطليق زيد لها وانفصاله عنها فلما قضى زيد
منها وطرا زوجناكها ليعلم ان تلك سنتك وسنة امتك بعدك لكي
لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
فهذه الايات تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له من
خوض المنافقين وتنزيه لقدره العلي وتبرئة من كل متوهم
فيه ادنى نقص ودافع لما يتوهم ويعتقد وليس على ظاهره
للسابق من قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله
مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فهذه اية تعلق
بها من كان في قلبه مرض وتهجموا على باد من مفهومها
فقالوا انه صلى الله عليه وسلم راها فمال اليها واحبها في حكاية
ذكرها المفسرون يطول ذكرها ويردها المقطوع به من ان زينب
نشات معه ولم يزل يراها لمكان قرابتها منه وقوله لزيد عتيقه
الذي انعم الله عليه بالعتق اتق الله يريد اتق الله في امرها والتثبيت
فيما كان يحكيه مما كان يظنه نشوزا وقد كانت زينب رضي الله عنها
اعظم

اعظم قدرا من ان تقع في معصية النشوز عمدا ولكن الزوجين
قد يطلب كل منهما غاية في الوفا يرى عند غلبة حب هذا المطلب
عليه ما يقصر عنه نشوزا فقال الحاكي من هذا قال له صلى الله عليه
وسلم اتق الله واخفى عنه ما قد كان تقدم له الاخبار به بالوحي
من الله سيطلقها وانه صلى الله عليه وسلم سيتزوجها فهذا
الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه ولم يتكلم به حتى
ابداه الله وقوله وتخشى الناس اي تخشى كلام المنافقين
وقولهم ان محمدا تزوج امراة ابنه من حيث كان صلى الله عليه
وسلم كان قد تبناه قبل الوحي وقصة ذلك معروفة مشهورة
فكانوا يقولون زيد ابن محمد حتى نزل قوله تعالى ادعوهم لابائهم
الاية فعمل له صلى الله عليه وسلم وقد ادركه الاستيحاش من
ان يتكلم المنافقون بذلك وخشيه منهم فقال له ربه لا تخش
احدا فانك انما جريت في ذلك كله على ما بين الله لك من الشرع
الذي جعله سبحانه سبيلك ودينك الذي تدعوا اليه وطريق
من قبلك من الرسل الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله والله احق ان تخشاه انت يا محمد ولا تصغ
الى احد ولا تستحي منه فانك على صراط مستقيم فقد وضح ما
اخفاه في نفسه وهو الذي ابداه الله تعالى الا ترى انه سبحانه
قد وعد انه مبدي ما اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه فهل

ابدى في تلك القصة خلاف ما نطق به كتابه من قوله تعالى فلما
قضى زيد منها وطرا زوجناكها وكانت زينب تفخر بهذا وتقول
لازواج النبي صلى الله عليه وسلم زوجكن اهاليكن وزوجني
الله من فوق سبع سموات بهذا اخباره سبحانه وما ابداه مما
اخفاه نبيه صلى الله عليه وسلم في نفسه وما سوى هذا فاختلا
وتقول وقد تسامح المفسرون هنا وتبع اخرهم اولهم في
نقل ما كان الواجب تركه اذ هو خلاف القران لمن وفق لتدبره
ولحظ شهادة بعضه لبعض **فهذا** مقصود هذه الاية والمجموع
ما ذكرته اعقبت بقوله وكان امر الله قدرا مقدورا وقد اتبعت
الاية بذكر من سن سبحانه حكم هذه الاية لهم وانهم الرسل
عليهم السلام فقال الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا
يخشون احدا الا الله فتامل هذا التعقيب وقد مثله عليه السلام
في قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا وقوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعرفنا ربنا سبحانه ان نبينا
صلى الله عليه وسلم كذلك فعل فقال وانك لتهدي الى صراط
مستقيم واما الاية الثانية فانه سبحانه لما قال لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم الى قوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا اتبع تعالى بالاخبار ان تلك سنته الجارية في الذين خلوا

من

من قبل وهذا كقوله سنة الله التي قد خلت في عباده فاعلم انها
سنته الجارية فيهم ولن تجد لسنة الله تبديلا وقد تكرر هذا في
مواضع من كتاب الله سبحانه ووضح هنا المناسب في كل من
الاعقابين والله سبحانه اعلم **سورة سبا الاية الاولى**
منها **قوله تعالى** ان في ذلك لاية لكل عبد منيب وقال بعد ان
في ذلك لايات لكل صبار شكور فالافراد في الاولى والجمع في الثانية
فللسائل ان يسال عن ذلك **والجواب** عنه ان الاشارة اولا
الى قوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ولم
يتقدم ما يحركوا الاعتبار به غير هذا وقد انضم ذلك تحت ما الموصولة
ولفظها مفرد فورد على حسب اللفظ فقيل لاية بالافراد واما الاية
الثانية فتقدم قبلها قوله ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي
معه والطير والنا له الحديد ثم قال ولسليمان الريح غدوها
شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من
يعمل بين يديه باذن ربه ثم قال يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل الى قوله ما لبثوا في العذاب المهين ثم قال لقد كان
لسبا في مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال الايات فذكر
سبحانه بالاعتبار ما منح داود من تسبيح الجبال والطير معه
والانة الحديد وما سخر لسليمان عليهما السلام من الريح

فحمله وجنوده حيث شافى السورة التى اشارت اليها الاية
واسال له عين القطر وهو النحاس المذاب وعينه معدنه
وعمل الجن بين يديه تسخيرا فيما يريده من عمل ما شا مما فى قواهم
ثم ذكر ما كان لسبا فى مساكنهم من اية الجنتين عن يمين
وشمال واكلهم منهما وتنعيمهم الى ان اعرضوا فارسل عليهم
سيل العرم الى اخر قصتهم فهذه المعتبرات لم يدخل تحت
موصول ولا اسم مفرد يضم جميعها بل ذكرت مفصله فقيل
اشارة الى جميعها ان فى ذلك لايات ولا يمكن الا هذا اذ لم
يتقدم مفرد من موصول او غيره ذلك مما يجمع الكل يرجع اليه
الضمير مفردا كما فى الاية الاخرى فقيل هنا لايات ولا يمكن
الافراد هنا وامكن فى الاية الاخرى لوحدة الموصول الجامع
لما تفصل بعده ثم روعى لفظه لان ذلك اوجز من رعى معناه
ثم ان المعلوم من لسان العرب اذا تقدم من الاسما المفردة
ما له لفظ ومعنى فان رعى لفظه فى عودة ضميره او تفسيره اولى
ثم قد يراعى المعنى بعد فيعود الضمير بحسبه من تثنية او جمع
ومن هذا قوله تعالى ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها فقوله يومن ويعمل ويدخله
رعى اللفظ من وهو مفرد فعاد الضمير اليه مفردا وقوله بعد
خالدين رجوع للمعنى وتعلق رعى المعنى بدلها فى هذه الالفاظ التى
هى

هى مفردات تجمعها كثرة ومنه بيت الكتاب ؛ تعال فان عاهدتنى
لا تخوننى ؛ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان ؛ فقال يصطحبان
فاعاد الضمير على معنى من والاعادة الى اللفظ اكثر وعليه قيل
فى الاية الاولى ان فى ذلك لاية فالافراد على الاولى والاكثر مع
جواز ورود ما يعود على المعنى ان اعتضد ذلك اما الاية الثانية
فجمع ايات فيها لا يمكن خلافه يورد كل على ما يجب ويمتنع العكس
لما ذكر فان قيل قوله تعالى لقد كان لسبا فى مساكنهم اية
استيناف باللام التى تقع جوابا للقسم وقد قال انها تقطع ما بعدها
عما قبلها واذا امكن هذا فما المانع من رجوع اسم الاشارة الى ما
بعد قوله تعالى لقد كان لسبا فى مساكنهم اية وتلك قضية مفردة
فكان يكون الوارد هنا الاية على الافراد رعيا لمعنى القصة فالجواب
انا لو فرضنا هذا الاعتراض لازما لقلنا ان قصة سبا قد انطوت
على تفصيل يقتضى جمع ايات الا ان الاعتراض اولا غير لازم
اذ قد يشار الى مجموع قصص تفصلت ودخلت كل قصة فى اولها
بهذه اللام فلم يمنع ذلك من عودة اسم الاشارة الى الجميع كقوله
تعالى اكفاركم خير من اولائكم والاشارة باولئكم الى كل من تقدم
ذكره من اول قصة نوح عليه السلام الى قصة ال فرعون وقد
انفردت كل قصة منها باللام ثم اشير بعد الى الجمع ليعتبر باحوالهم
فكذلك فى الاية التى نحن فيها فسقط الاعتراض وتبين ان كل

ايه واردة على ما يجب ووضح التناسب والله اعلم **سورة الملايكه**
وقد تقدم ما فيها ولذلك سورة **يس** **سورة والصافات**
الاية الاولى منها قوله تعالى وقالوا ان هذا الا سحر مبين ايذا
متنا وكنا ترابا انا لمبعوثون وقال فيما بعد قال قايل منهم اني
كان لي قرين يقول اانك لمن المصدقين ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما
انا لمدينون **للسايل** ان يسال عن قوله اولا اينا لمبعوثون
وثانيا اينا لمدينون لما اختلفا مع ان مرادهم في الموضعين
انكار البعث بعد الموت **والجواب** ان الموضع الاول لم يتقدمه
شي يوجب عدولهم عن التعبير عن معتقدهم في انكار الاحيا
بعد الموت فورد على ما يطابق معتقدهم واما الاية الاخرى فقد
تقدم قبلها ذكر الجزا الاخراوي وذكر السوال فاول ذلك ذكر ما يقال
لهم اذ احشروا قال تعالى وقفوهم انهم مسولون وقوله بعد
وما تجزون الا ما كنتم تعملون وقوله بعد واقبل بعضهم على بعض
يتسالون وهذا في الاخرة الى قوله اني كان لي قرين وهذا قول الكافر
وقد باشر العذاب فاخبر عن قوله المقيض له المشار اليه بقوله
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فاخبر
عنه انه كان يقول له في دنياه اانك لمن المصدقين ايذا متنا وكنا
ترابا وعظاما انا لمدينون اي مجزيون باعمالنا وما اجترحناه
في دنيانا وفي طي قولهم انا لمدينون انكار للبعث لانكارهم ما
يبنى

يبنى عليه ويترتب بعده من الجزا وقد تقدم ذكر الجزا فناسبه ذكر
تعجبهم منكرين وقوعه ولم يكن ليحسن وقوع مدينين في الايه
الاولى اذا كان يكون هناك غير مفصح بانكارهم البعث ولا
ورد قبله ما يستدعيه بخلاف على ما يجب وتناسب والله اعلم
الاية الثانية قوله تعالى في ختام قصة نوح عليه السلام انا
كذلك نجزي المحسنين ثم اعقب القصص الثلاث بمثل
هذا اعني قصة ابراهيم وقصة موسى وهارون وقصة الياس
الا انه ورد في قصة ابراهيم سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين
ثم سقط منها لفظ انا وثبت في القصص الاخر **فيسال** عن
وجه اختصاص قصة ابراهيم دون غيرها بذلك **والجواب** والله
اعلم انه تقدم في قصة ابراهيم نفسها قوله وناديناه ان يا ابراهيم قد
صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين ثم لما كرر ليبني عليه
قوله انه من عبادنا المومنين كما في نظايره من ختام القصص الاخر
قوله كذلك نجزي المحسنين لينا عليه الجزا ويوجبه عليه كما تكرر
قوله انكم في قوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
فكرر انكم تاكيدا للمبني عليه الخبر فلذلك كررت هنا الجملة وفي
قوله كذلك نجزي المحسنين ليبني عليه ما ورد عليه موجبه لجرائهم
لتجري هذه القصة مجرى نظايرها ولم يكرر حرف التاكيد والضمير
المنصوب به ايجازا واختصارا لذكره فيما تقدم في القصة نفسها

فوضح انه لا فرق بينهما من ما اكتنفهما من القصص الواردة فيها
ذكرا ثانيا وجه **فان قيل** ولم اخر قوله من عبادنا المومنين عن
قوله اولا انا كذلك نجزي المحسنين حتى احتيج الى تكرير كذلك
نجزي المحسنين **قلت** لما اعقب به قوله انا كذلك نجزي المحسنين
من الجمل الواردة مورد حمل الاعتراض اشارة لجلالة ابراهيم
واعلاما بعظيم جلالة مقامه تعالى ان هذا لهو البلاء المبين ثم اكد
عظيم الاعتبار به مقاله وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين
سلام على ابراهيم فلما طال الكلام بما ورد تتميما وتكميلا لحاله عليه
السلام وبعد عن قوله انا كذلك نجزي المحسنين اعيد منه الجملة
الواقعة خبرا لان لان ينبني عليه ما بني على نظايره من قوله
انه من عبادنا المومنين فقصة ابراهيم عليه السلام اولى هذه
القصص تعريفا بكمال الحال ولم ينقص منها شي من الاخبار
بصفة الجزا او سببه كما في غيرها بل زاد فيها ما ورد اعتراضا
كما تبين وذلك لما ورد في قصته من عظيم ابتلايه وزيادته والله
اعلم بما اراد **الاية الثالثة** من سورة والصافات **ع** قوله تعالى
فبشرناه بغلام حليم وفي الذاريات قالوا لا تخف وبشروه بغلام
عليم والمبشر به واحد والقصة واحدة **فللسايل** ان يسال
عن موجب اختلاف الصفتين في السورتين **والجواب**
ان موجب تخصيص الاية الاولى بصفة الحلم ما اقترن بها من قوله
تعالى

تعالى فلما بلغ معه السعي الاية وجواب ابنه عليهما السلام
له بقوله يا ابت افعل ما تومر واتباعه ذلك تسلية لابيه وامتثالا
لامر ربه ستجدني ان شا الله من الصابرين فلما دل جوابه على
عظيم حاله وتلقيه عظيم هذا البلا الابتلا بالرضا والصبر التام
امتثالا لامر ربه وارضاء ابيه كان ذلك مبينا لجليل حلمه
ووفور كماله في حاله مع وصفه في نسبه بالاولية والابتدا
اما اية سورة والذاريات فلم يقع فيها ذكر هذه القصة فورد فيها
وصفه بالعلم المحرز لجليل نبوته ولو ورد في السورتين عكس
الوصف الوارد لما ناسب هذه المناسبة الحاصلة والله اعلم
الاية الرابعة من سورة والصافات قوله تعالى وابصرهم فسوف
يبصرون ثم قال وابصر فسوف يبصرون **يسال** عن الضمير
المفعول وثبوته اولا في قوله وابصرهم وسقوطه ثانيا في قوله
وابصر وعن وجه التكرار **والجواب** عن ذلك ان التكرار
تاكيد وتشديد في الوعيد وتناسب ذلك بين مالوف في كلام
العرب واما سقوط الضمير في الثاني فيحرز عموما بهم ولغيرهم
في الوعيد لان قوله وابصرهم المراد به امره صلى الله عليه وسلم بان
يرقب ما ينزل بهم ويحل بساحتهم من الانتقام واعلامه صلى
الله عليه وسلم بمعاينته اياهم كما قال تعالى انا كفيناك المستهزين
فكان كذلك وقال تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر فعاد ذلك بهم

يوم بدر وعد من سبحانه بما يسر نبيه صلى الله عليه وسلم باخباره
اياه في هذا الوعيد لهم باخذهم وقطع دابرهم ثم اردف هذا
الوعيد بوعيد ثان فيه عموم يشملهم ولا يخرج عن تناوله غيرهم
ممن سلك مسلكهم ويشعر بحاله هو صلى الله عليه وسلم وحال
من اذن واستجاب له فقال وابصر اي ترقب ما افعل لك من
تاييدك ونصرك وجزائك الاخراوي وجزا من امن بك مما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وما افعل بمن عاداك
وعاندك ممن باشرك بتمرده وطغيانه او بعد عنك من
اخذهم وقطع دابرهم ووبيل جزائهم الاخراوي هذا مفهوم لا
يرجع اطلاق قوله وابصر عن اعطائه وتعميمه ذلك كله مما يعتضد
من مواضع اخر وتامل ما فعل سبحانه بكسرى حين مزق
كتابه صلى الله عليه وسلم تمردا وطغيانا وان لم يباشره لما جاوز
حد كفره الى التمرد والطغيان مزق هو واله كل ممزق واما
قوله فابصرهم فخاص التناول للمعتبرين لكان القصد باعمال
الفعل في ضميرهم فهو وان تناول اخذهم في الدنيا وتمكين نبيه صلى
الله عليه وسلم والمسلمين منهم ثم عقابهم الاخراوي ليبلغ
بالتهديد والوعيد اقصى ما يحتمله فانهم لا يتعداهم الى غيرهم
اما قوله وابصر فاطلاق الفعل عن القصد فقابل غير ممتنع
عن تناولهم ومن سواهم من كل من خالفه صلى الله عليه وسلم

وعاداه

وعاداه ويمحض الوعيد لهم ومقصود بشارته له صلى الله عليه
وسلم تختص باب اطلاق الاول ويعم الطرفين من الوعيد والبشا رة
فقد وضح انه لا تكرار في الحقيقة بل ورد ذلك كله على ما يلائم
ويناسب وعبر عن ذلك كله بعبارة الابصار اشعارا بقربه
فكانه بمنزلة المعاين المدرك بالبصر لتعجيل الدنياوي منه
وتحقق وقوع الاخراوي وتيقنه فكل هذا على اوضح مناسبة
والله اعلم **سورة ص الاية الاولى** منها قوله تعالى وعجبوا
ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وفي
سورة ق بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا
شيء عجيب **للسايل** ان يسال عن ورود قوله في سورة ص
وقال الكافرون بواو النسق وفي سورة ق فقال بفا التعقيب
والاخبار من حالهم واحد **والجواب** والله اعلم ان اية ص
وردت مورد الاخبار بمرتكبات من افعال كفار العرب
واقوالهم فجي بتلك الجمل منسوقا بعضها على بعض فاخبر تعالى
انهم في عزة وشقاق وانهم عجبوا ان جاءهم منذر منهم ولم
يكن من الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وانهم
رموه بالسحر والكذب وعجبوا من جعله الالهة الها واحدا
وانهم تمالوا على قولهم ان امشوا واصبروا على الهتكم وانهم قالوا
ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة اي في ملة عيسى عليه السلام على زعم

النصارى فيه وقولهم بالتثليث وقد تكرر منهم التعلق بقصة
عيسى عليه السلام ومن بعد من اقوالهم في اخبار الله تعالى عنهم
الهتنا خير ام هو ولحوقهم على الافصاح لمرتكب النصارى
في التثليث وانهم اقرب الملل اليهم واخر من تقدمهم وهم متلوب
وكيف تجعل انت يا محمد الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب
فجعلوا ما جاوا به اختلاقا وتقولا الى ما ارتكبوه من هذا فلما قصد
هنا الاخبار بجملة من مرتكباتهم جات منسوقا بعضها على بعض
بالواو التي لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا واما اية ق فمقصودها
التعريف بتعجبهم من البعث الاخراوي واستبعادهم اياه ولم
يقصد هناك غير هذا فصدرت الاية اقامة الدلالة عليهم باعتبار
خلق السما وتزيينها بالنجوم واحكام صنعتها ومد الارض وارسائها
بالجبال واخراج اصناف النبات وانزال الما من السما وانبات
الجنات وضروب الحبوب والنخل الباسقات ذات الطلع النضيد
ثم قال كذلك الخروج كما بدانا اول خلق نعيده اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم فلما كان
قولهم هذا لشي عجيب مبنيا على ما جاهم به صلى الله عليه وسلم
واعلامهم من البعث بعد الموت جعل الاول اعني مجيه صلى الله
عليه وسلم منذرا لهم سببا في تعجبهم وربط بالفا اي عجبوا من
البعث بعد الموت فقالوا هكذا اجمالا لكل ما جاوزه ولم يكن الفا ليقع

هناك

هناك ولا الواو ليقع هنالك ورد كل على ما يجب والله اعلم **الاية**
الثانية من سورة ص قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك
الاحزاب وفي سورة ق كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس
وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع
للسائل ان يسال عن وجه ورود هاتين الايتين في السورتين
على خلاف الترتيب المتقرر من ذكر الرسل واممهم وما جرى بين
الرسل والامم في سورة الاعراف وهود والشعراء ثم عن وجه الخلاف
الوارد في سياق ايتي ص وق من جهة الترتيب في السورتين
ووجه اختصاص كل واحدة منهما بما ورد فيها وتعقيب اية
ص بقوله فحق عقاب واية ق بقوله فحق وعيد فهذه اربع
اسوله **والجواب** عن ذلك والله اعلم ان الوارد عن الجملة في السور
الثلاث مقصود فيه اخبار الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بما كان من الرسل المذكورين مع اممهم تثبيتا لفواده صلى الله عليه
وسلم وتانيسا قال تعالى وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما
نثبت به فوادك فذكرت انبياوهم عليهم السلام على الترتيب
في ازمنتهم وارسالهم اما سورة ص وسورة ق فلم يقصد ما
ورد فيهما على ذلك القصد وانما بنا ما في السورتين من ذلك على
تسليته صلى الله عليه وسلم فيما كان يكابده من عتاة قريش وكفار

العرب في توقفهم عن الايمان فجرد لهذا القصد ذكر عتاة المكذبين
واخذه سبحانه اياهم وقيل له صلى الله عليه وسلم تعريفا بحال
كفار قريش وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فخالف
ايراد ما في هاتين السورتين ما تقدم في غيرها لاختلاف المقاصد
وجاء في كل واحدة منهما من الترتيب ما يلائم ويناسب على ما تبين
بحول الله تعالى فان قيل فان سورة الحج ورد فيها ذكر الامم المكذبين
في قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت
للكافرين ثم اخذتهم الاية فجرد ذكرهم عن ذكر الرسل اخبارا بمجرد
تكذيبهم واخذهم كما في سورة ص وسورة ق وقد وردت على
الترتيب الوارد في السور الثلاث فقد خالف مقصودها في تلك
السور ثم جرت على ما فيهما من الترتيب فما الفرق بينها وبين
هاتين السورتين قلت الفرق بينهما ان مقصد اية سورة
الحج الاخبار بتكذيب اولئك الامم تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم
من غير زيادة لما تعرضت له اية سورة ص واية ق واما هاتان
الاثنتان فقد اجري فيهما مع ذكر التكذيب والاخذ التعريف بتمرد
عتاة قريش ومن وافقهم وذكر شقاقهم وقبح ردهم وتعاميهم
عن النظر في الايات والاعتبار بما نصب منها في الارض والسما
وات فلهذا المجموع انفردت سورة ص وسورة ق بالوارد
فيهما

فيهما من الترتيب عن سورة الحج فان قلت فاذا اجتمعت
السورتان فيما ذكر فما وجه اختصاص كل واحدة منهما بما اختصت
به عن اختها من الترتيب قلت اما اية ص فوجه اختصاصها
بما ورد في ترتيبها عليه انه سبحانه لما وصف كفار قريش والعرب
بالاعتزاز والشقاق بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق ثم
عقب بذكر القرون المهلكة فقال كم اهلكنا من قبلهم من قرن ثم
عاد ذكرهم مفصلا قرنا فقرنا وامة امة كان الانسب لما تقدم من ذكر
عتو كفار العرب وشقاقهم ذكر اعتى القرون من الامم واجراهم
فذكر قوم نوح من حيث لم يجد عليهم تكرار الانذار مع طول
الامد قال تعالى مخبرا عن طول مدتهم وبعد اجابتهم قال نوح
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا الى
قوله واصروا واستكبروا استكبارا الى دعائه عليه السلام
عليهم عند قطع رجائه منهم بقوله لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
الى ما وصفهم سبحانه به وانه لم يؤمن منهم مع نوح الا القليل
فوجود ما تخلقت به عتاة قريش وثمود واكفار العرب من
العزة والشقاق في قوم نوح اوضح شي ثم اتبع ذكرهم بذكر عاد
الموصوفين بالقدرة والطغيان القائلين من اشد منا قوة
والقائلين لنبيهم عليه السلام سواء علينا اوعظت ام لم تكن

من الواعظين الى قوله وما نحن بمعذبين ثم اتبع بذكر فرعون ذي
الاوتاد والمراد هو واله وقومه وقد تكرر في القران مع ذكر
فرعون وعلوه في الارض وطغيانه ما اوضح شنيع مرتكبه
وبعد شقاقه ثم اتبع من ذكر بعدهم مراعى في ذلك مناسبة ما تقدم
ثم ذكر اجتماعهم في موجب ثمودهم وعتوهم وهو تكذيبهم
الرسل فقال تعالى ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ثم اعاد الكلام
الى كفار قريش والعرب المبدوء بهم والمنبهون لو تنبهوا
باخذ من عاند وكذب ممن تقدمهم فقال ما ينظر هولا الا صيحة
واحدة ما لها من فواق انهم ان تمادوا على شقاقهم فلا فرق بينهم
وبين من تقدمهم من هولا الفرق وقد خلت من قبلهم المثلات
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم ثم اتبع سبحانه
ذكر مرتكبهم في استعجالهم العذاب وقولهم عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب فانبا تعالى باستحكام كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم
الموجب لتعجيل اخذهم ثم الكلام الى امره سبحانه نبيه صلى الله عليه
وسلم بالصبر على معاندتهم وردي مقالهم وبذكر اخيه داود
والاعتبار بامره وتسخيره سبحانه له الجبال وحشره له الطير
منقادة الى مراده والانة له الحديد وقلوب الادميين اهون
واقرب فلو شا لهديها ولكنا سخر الجبال لداود ولو شينا لاتينا
كل نفس هداها وهذا وجه ذكر داود عليه السلام هنا الاما

قال

قاله الزمخشري وقد تقدم الايما اليه في قوله تعالى في سورة طه فاصبر
على ما يقولون الاية ويسمو في عقب هذا بحول الله بهذا وجه
اختصاص اية ص بما ورد فيها من التوبيخ وذكر العروب المهلكة
بكذبيها واما اية ق فوجه الوارد فيها من اتباع ذكر قوم نوح
بذكر اصحاب الرس ومخالفة الوارد في سورة ص ان الوارد في
اية ق قد انفردت عن اية ص بما قصد فيها مفصحا به من ذكر
تعامي قريش والعرب من النظر في خلق السموات والارض
ممن تقدمهم من الامم واخذهم بكذبهم فقد اتت ص ذكر تجبرهم
وشقاقهم وطغيانهم وفي ق ذكر تعاميهم عن الاعتبار والنظر
فبدا سبحانه بتذكيرهم بذكر حال السما والارض في جليل خلقهما
وعظيم صنعهما واتقانهما فقال افلم ينظروا الى السما فوقهم
كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الى قوله كذلك الخروج
والمراد انهم وقفوا فامعنوا النظر في بنا السما وتزيينها بما
جعل تعالى فيها من نجومها وسلامتها من فطور او بروج وفي
امتداد الارض وارسائها بالجبال وانبات ما فيها من كل زوج
بهيج وانزال الما من السما وانبات الجنات وحب الحصيد والنخل
الباسقات ذات الطلع النضيد واحيا البلاد الميتة وتكرر ذلك
عليها ولو اعتبروا بهذا لاستوضحوا العودة والنشاة الاخراوية
لذلك الخروج كما بدانا اول خلق نعيده فلما ذكرهم سبحانه بخلق

السموات والارض اعقب ذلك تتميما جاريا على المذكور للمكرر
فى الكتاب من ذكر القرون السالفة المهلكة بتكذيبها فقال
كذبت قبلهم قوم نوح ولما بنى على ما تقدم من الاعتبار على الاشارة
الى الاستيفا فى عجائب الارض والسما ناسب ذلك ما ذكر من
نبه عليه ممن هلك بتضييع نظره واعتباره على الاستيفا
وذكر طرفان ليحصل حصر من بينهما امة ممن تقدم قوم [illegible] لم
نوح وامة من خلق تاخروا هم اصحاب الرس ليحصل ما بينهما اشارة
الطرفين كما قال سبحانه فى سورة الفرقان وعادا وثمودا واصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وهذه الاية واية ق مشيرتان
الى تاخر الرس عن كل من ذكر فى القران من الامم المهلكين بتكذيبهم
ممن عين ذكره والله اعلم وقد اختلف المفسرون فى اصحاب
الرس فالواقع لهم فى مختلف اقوالهم فى ذلك ثمانية اقوال ومن
جملتها انهم اصحاب الاخدود وقيل كانوا قوما قتلوا نبيهم ورسوه
فى بير لهم زاد بعضهم انه كان نبيهم حنظلة وقيل هم من قوم
شعيب عليه السلام وقيل غير ذلك والمقطوع به ما نطق به
القران من وجود قرون كثيرة بين قوم نوح واصحاب الرس
ويظهر من هذا الوارد فى سورة ق ان مقصود الاية من استيفا
القرون الماخوذين بتكذيبهم غير وارد فى غيرها الا ترى انه
قد افصح فيها بثمانية قرون منصوص عليها وهم قوم نوح واصحاب
الرس

الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم
تبع والمراد فرعون هو وقومه ولم يرد فى اى فى المكرر فى
الكتاب العزيز غير سبعة والاكثر ستة ودل على قصد الاستيفا
فى هذه السورة وعلى كل حال فقد ورد قوم نوح واصحاب الرس
طرفين لمن بينهما من القرون مقصود بها والله اعلم استيفا
ما بينهما اشعارا فى هذه السورة وافصاحا بالكثرة من بينهما
فى سورة الفرقان وقرونا بين ذلك كثيرا واما الوارد بعد
الطرفين فى سورة ق من ثمود وعاد ومن ذكر بعد فقد يكون
والله اعلم من قبيل ما ورد فى القران ممن شمله لفظ متقدم ثم
مصرح ثم نص عليه احتفا واعتنا واهتماما مع كونه قد تضمنه ذلك
اللفظ المتقدم كقوله تعالى وجبريل وميكال بعد دخولهما تحت
لفظ الملائكة وعلى كل حال فاصحاب الرس متاخرون عن قرون
كثيرة بعد قوم نوح بنص القران ان الله سبحانه فلما ورد هنا
ما يشير الى الاستيفا للاعتبار بهم جريا مع ما تقدم من استيفا
الاعتبار بعجائب الارض والسما قدم ما يحصل بتقديمه ما اشير
اليه من الاستيفا ولم يكن القصد هنا ما قصد فى اية ص لجا
كل على ما يجب ويناسب والله اعلم واما المعقب به كل واحدة من
الايتين من قوله فى سورة ص ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب
وقوله بعد اية ق فحق وعيد فراعى فى ذلك الفواصل فى كل من

السورتين والا فالعقاب والوعيد حق على من هاولا المكذبين
فانهار وعلى الفواصل وقوله تعالى انه ص بل لما يذوقوا عذاب
ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب واستمرت فواصل
الاى هكذا الى ما بعد الايه فاستدعى ذلك مناسبة مقطع
الاية المتكلم فيها فعل ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب واما
اية ق فنوسب بها ايضا ما بعدها من قوله ونزلنا من السما ما مباركا
فانبتنا به جنات وحب الحصيد ثم قال والنخل باسقات لها طلع
نضيد وورد ايضا في الفواصل بعدها افعيينا بالخلق الاول بل
هم في لبس من خلق جديد الى بضع عشرة اية جارية في مقاطعها
على ما ذكر فناسب ذلك كل كذب الرسل فحق وعيد وجا كل على
ما ناسب وذلك واضح **الاية الثالثة** من سورة ص **غ** قوله تعالى
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر
عبدنا داود ذا الايد انه اواب وفي سورة الاحقاف فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وفي سورة القلم فاصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت ورد في هذه السور الثلاث امره
صلى الله عليه وسلم بالصبر محالا في الاولى على الاعتبار بحال
داود وانابته وفي الثانية على اولي العزم في اهتدائهم واقتدائه
وفي الثالثة منبها بالجاري لذي النون في مغاضبته ونداسه
والمتردد في غير هذه الاي انما هو امره صلى الله عليه وسلم بالصبر
غير

غير مناط بذكر احد من الرسل كقوله تعالى واصبر وما صبرك الا
بالله وقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه وقوله فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وقوله
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا الى غير هذا من الاي **فللسائل** ان يسال
عن وجه ذلك وعن اختصاص كل سورة من الثلاث بما ورد فيها اذ
لم تثبت الاحالة فيها على حد سواء فهذان سوالان **والجواب** عن
الاول ان تكرر امره صلى الله عليه وسلم بالصبر في الايات المترددة
على كثرتها ادل دليل على الاعتبار به صلى الله عليه وسلم لعظم اجر
الصبر وشدة الحاجة اليه في كل مطلب ديني من اخذ وترك ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم في صفته الصبر ضيا وقال تعالى في قصة
ايوب وحال ابتلايه انا وجدناه صابرا وقال تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وقال تعالى ان الله مع الصابرين
وقال تعالى ولا يلقاها الا الصابرون واحوج الخلق الى الصبر الرسل
عليهم السلام لعظيم ما يلقون في مكابدة الخلق ولشدة الحاجة
الى الصبر ما تكرر في عدة ايات امره صلى الله عليه وسلم ولامته
والجواب عن السوال الثاني ان امره صلى الله عليه وسلم بالاقتدا
بالرسل قد تردد وتكرر في غير اية وتردد ايضا امره بالاقتدا
بابيه ابراهيم عليه السلام لعظم مقام ابراهيم وجليل خلته وابوته
وتنبيها للعرب لرجوعهم اليه انتسابا واعترافهم مقرين بتعظيمه .

واما تخصيص السور الثلاث ببعض ما ورد فلما نذكره من الوجه
الحامل والمناسبة في النظم واما سورة ص فوجه اختصاصها
بالوارد فيها التئام نظم الآية بما تقدمها وارتباط قوله تعالى فيها
واذكر عبدنا داود ذا الايد بما اتصل به من قوله اصبر على ما يقولون
بيان النظم في ذلك والتئامه اوضح التئام ان الله سبحانه لما
ذكر حال العتاة من كفار قريش وشنيع مقالهم لنبيه صلى الله
عليه وسلم من لدن قولهم ساحر كذاب الى ختمهم ما ذكر تعالى من
سوء مراجعتهم بقولهم استهزاء وتكذيبا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
اتبع ذلك ملاطفة وتأنيسا لنبينا صلى الله عليه وسلم بقوله اصبر
على ما يقولون بذكيره فان الجاري من ذلك انما هو على ما شاء لهم
في ازله وقدره عليهم فليس خارجا عن ارادته فكأنه يقول لنبيه
صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يرد منهم وما يلقونه فانه مرادي
منهم في سابق قدري ولو شئت لهديت قلوبهم وسخرتها لاجابتك
فقد سخرت الجبال مع داود والطير والنت له الحديد وقلب
الادمي الين واقرب ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فاذا علمت
ان قلوبهم بيدي اقلبها كيف شئت فاصبر على ما يقولون واعتبر
بما سخرته لداود واعتد بما منحته من الايد والقوة فهذا وجه
النظم والارتباط في هذه الآي والله اعلم وقد تعرض ابو الفضل
ابن الخطيب رحمه الله في تفسيره الكبير لتوجيه النظم فيها

قدمناه

قدمناه فقال ان قيل اي تعلق بين قوله تعالى اصبر على ما يقولون
وبين قوله واذكر عبدنا داود قلنا من وجوه الاول كأنه قيل
ان كنت شاهدت من هؤلاء الجهال جرأتهم على الله وانكارهم الحشر
والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله ومن
يوم الحشر فانه بقدر ما يزداد احد الضدين شرفا يزداد الآخر
نقصانا انتهى معنى كلامه قلت وهذا الذي حكاه ضعيف لان
هذا الكلام انما يثمر التعجب من فعل الله سبحانه ولا يثمر تسلية
ولا تأنيسا وهما انسب في الموضع وذكر وجها ثانيا وهو انه
كأنه قيل لنبينا صلى الله عليه وسلم لا يضق صدرك بسبب انكارهم
لقولك ودينك فانهم ان خالفوك فالاكابر من الانبياء وافقوك
قلت وهذا اضعف من الاول لانه صلى الله عليه وسلم انما
يأنس بمصدقيه من امته وايضا فقد كان ذكر ابراهيم لو قصد
هذا الغرض من المواضع انسب لتعظيم العرب اياه والاتفاق
عليه ولتعظيم خلته وذكر وجها ثالثا وهو ان الخصمين الذين
دخلا على داود عليه السلام كانا من البشر وانما دخلا عليه لقصد
قتله فخاف داود ومع ذلك فلم يتعرض لايذائهما ولا دعا عليهما
فامر نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به في حسن الخلق قلت
وهذا اضعف كالذي قبله وذكر غير هذه الوجوه مما دون هذه
في القوة ثم اعجب هذه ما قال وهو وجه اخر اقوى واحسن مما

كان يقدم وايما وجه اتصاله به ان العقلا قالوا ومن ابتلى بخصم
جاهل مصر متعصب ورآه قد خاض في التعصب والاصرار وجب
عليه ان يقطع الكلام معه في تلك المسله لانه كلما كان خوضه
في تقريره اكثر كان بعده عن القبول اشد فالوجه حينئذ ان
يقطع الكلام معه في تلك المسله وان يوخذ في كلام اخر اجنبي عن
المسلة الاولى فاذا اشتغل خاطره بهذا الكلام الاجنبي وينسى
المسلة الاولى ادرج له اثنا الكلام في هذا الفصل الاجنبي مقدمه
تناسب ذلك المطلب الاول فيحصل عن ذلك تسليم المتعصب
لهذه المقدمه فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في اثبات المطلوب
الاول فيتمكن من انقياده ويرجى رجوعه الى ما طلب به اولا
وهذا معنى ما اراده ابو الفضل في هذا الفصل ثم اشار الى المدرج
في هذا الكلام من المقدمة المناسبة للمطلب الاول هي قوله تعالى
وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا الى قوله كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب **قلت** وعندي
ان ما ذكره من هذا وان العقلا قالوا ان كانت العرب تفعله وتعرف
من كلامها وتركنا به فانما يكون والله اعلم على اوضح والنسب مما ذكر
والذي اراه جاريا على هذا المنهج الذي اراده والله اعلم قوله تعالى
ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاهم منذر منهم فقال الكافرون
هذا شي عجيب اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فهذا انكار
منهم

منهم للبعث الاخراوي واستبعاد وهو نحو من الوارد في سورة
ص فاعقب تعالى ذلك بقوله مما يشبه الالتفات وهو الذي
زعم ابو الفضل ان العقلا يرتكبونه عند لدد الخصم والاخذ فيما
هو كالاجنبي فقال تعالى افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها
وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج الى قوله في ما السما واحيينا به بلدة
ميتا كذلك الخروج فبعد العدول عن مجاوبتهم الى قوله ذلك رجع
بعيد وذكر اختلاطهم المسبب عن تكذيبهم وتحيرهم المعبر عنه
بقوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاهم فهم في امر مريج اي مختلط صرف
تعالى الكلام الى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين فقال افلم ينظروا
الى السما فوقهم الى قوله فاحيينا به بلدة ميتا وذلك كله مدرك
مشاهد لهم لا يمكنهم التوقف في شي منه ولا يحفظ عنهم انكاره
فعند تقرر هذا قال تعالى كذلك الخروج فهذا والله اعلم اقرب مما
ذكره ابو الفضل وزعم ان العقلا يرتكبونه واما الوارد في سورة
ص فبعيد والله اعلم ان يكون من هذا لان القول بان الوارد في سورة
ص من قوله واذكر عبدنا داود اجنبي مما قبله وغير مناسب البتة
وانه انما اوتي به لما ذكر من شغل الخصم المتعصب من ذلك على الوجه
الذي ذكر بعيد بالكليه وان ورد شي مما يمكن ان يقال انه من
ذلك فالصوب ولا انسب ان يكون من الوارد في سورة ق ولا الوارد

فى سوره ص اذا تاملته وضح لك ذلك وان الوجه فى نظم الكلام
ما قدمته اولا مما لا غبار عليه والله اعلم وقد تعرض الزمخشرى
لما تقدم فى هذه الاى فاجاب عن ذلك بما جرى فيه على شنيع المرتكب
وسوء الادب بناء على استبداد العبيد بفعلهم بما لا يرضاه الخالق
سبحانه ولا يريد فجعل لله شركا وافرد العباد بافعالهم استبدادا
فاجاب بناء على ما اصل وما وفق فى هذا الموضع لوجه
المطابقة ولا حصل بطائل فان قلت كيف تطابق لنبيه صلى الله عليه
وسلم اصبر على ما يقولون وعظم معصية الله فى اعينهم بذكر قصة داود
وهو انه نبى من انبياء الله سبحانه قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك
لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه
على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب
ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته
فى بطن كفه حتى لا يزال مجددا للندم عليها فما الظن بكم فى
كفركم ومعاصيكم وقال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولو
وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم
وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك
الزلة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغى ما لقى
انتهى جوابه وقد اجتمع فيه مخالفة الصواب والبعد عن المطابقة
فان تعظيم معصية الله كما قال الزمخشرى بذكر قصة داود لقوم
غير

مؤمنين باحد من الانبياء المذكور بذلك لمن يقول استهزاء
وكفرا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فتذكرهم بهذا مع ذكر الانبيا
بلفظ الزلل اقرب شئ لاستمرارهم على الاستهزاء مع عصمة الانبيا
عما يقع عليه الزلل جملة ثم قوله فى الجواب الثانى عن داود عليه
السلام انه لقى من توبيخ الله وتظليمه ونسبته للبغى هذا كله
خلف من المرتكب واطلاق لا يجوز فى حق الانبيا فقد جمع جوابه
سوء الادب وشنيع المرتكب والبعد عن المطابقة والذى جاوبنا
به لا غبار عليه ولا توقف فى مطابقته نسال الله سبحانه ان
ينفعنا به يوم تبلى السرائر سورة الزمر الاية الاولى منها
قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا
له الدين الا لله الدين الخالص وقال فيها بعد انا انزلنا عليك
الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه الاية للسائل ان
يسال عن قوله اولا اليك وثانيا عليك وهل بينهما فرق يوجب
تخصيص كل واحدة من العبارتين بمكانها والجواب ان اليك
وعليك هنا مترادفان على معنى واحد من معنى الخطاب فتارة
يراعى وصول المنزل بواسطة الملك وتارة يراعى وصوله من
عند الله سبحانه من غير واسطة فاذا روعى هذا قيل عليك واذا
روعى الاول قيل اليك قال تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك
الاية وقال تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب والاول اكثر

فيدي هنا به ثم انه ورد في الاية الثانية انا انزلنا عليك الكتاب
للناس بالحق واللام الجارة في قوله للناس تفيد الاختصاص وترادف
كثيرا لفظ الى فتقول الامر لزيد والامر الى زيد قال تعالى ومن
عاد فامره الى الله وقال قل ان الامر كله لله فلو وردت الثانية الاية
بالى فقيل انا انزلنا اليك الكتاب للناس لكان ذلك كالمرادف
لقوله انا انزلنا اليك الكتاب الى الناس وكان يكون فيه ايصال
الفعل الى مجرورين بحرف واحد وليس احدهما معطوفا على الاخر
والعرب لا تعدي الفعل بما يطلب الا واحدا فلا تعديه ظرفي زمان
بغير حرف تشريك ولا ظرفي مكان ولا تعدي مفعولين لفعل
متعد الى واحد ولا ثلاثة مفعولين لمتعد الى مفعولين الا على
طريقة البدلية ولا يصح ذلك في الاية او على التشريك بحرف
العطف وليس ذلك في الاية ايضا فجيء بالاثنين على ما يناسب
ويلايم والله اعلم الاية الثانية من سورة الزمر قوله تعالى قل
اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول
المسلمين للسايل ان يسال لم عدي الفعل الذي هو امرت اولا
بغير حرف جر ثم عدي ثانيا في قوله وامرت لان اكون بحرف الجر
والجواب عن ذلك ان العرب تقول امرتك الخير وامرتك بالخير
فتعدي هذا الفعل بنفسه وبحرف الجر وهو الاصل فيه والحذف
فصيح كثير ويلحق اذ ذاك بباب اعطى وكسى في احكامه ومنه
امرتك

امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب
والاية من قوله امرت ان اكون مثل البيت واذا تقرر هذا فمفعول
امرت الاول وهو الضمير قام مقام الفاعل والثاني ان اكون
وصل الفعل اليه بنفسه والاصل بان اكون واما قوله وامرت
لان اكون فاقول انه محذوف منه حرف الجر كالاول تقديره وامرت
بان اكون فحذف منه حرف الجر الذي اصل الفعل ان يصل به وهو الباء
واما اللام في لان اكون فمساقه من محذوف تفهمه سياق الكلام
مع الحرف المنفي منه وتقديره وامرت لعلمي او لان اكون اول
المومنين الا ترى ان الوارد في الاثنين امران اولهما عام والثاني
خاص لان امره صلى الله عليه وسلم بالعبادة والاخلاص امر له
ولامته قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
فالاية من قبيل ما توجه فيه الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد هو
وامته والخطاب الثاني كذلك والثاني اوله خاص واخره عام ومنه
يا ايها النبي اذا طلقتم النسا واذا ورد بصورة الخصوص به كان
امرا او نهيا فامته داخلة معه في ذلك الحكم ما لم ينص على خصوصه كقوله
تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما
ملكت يمينك مما افا الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فحكمه صلى الله عليه
وسلم وحكم امته في هذا واحد ثم قال تعالى وامراة مومنة ان وهبت

نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين
فاورد سبحانه جواز الموهوبة بالنص على ذلك ولولا قوله تعالى
خالصة لك من دون المومنين لكان حكم امته في ذلك كحكمه
واذا تقرر هذا فقوله وامرت لان اكون اول المسلمين امر
خاص به لا يشركه فيه غيره ونظير هذا قوله وامرت ان اكون
اول من اسلم والمعنى يجوز ذلك بل لا يمكن خلافه وذلك لان الحكم
من الامر والنهي اذا جاء به الملك وتلقاه منه صلى الله عليه وسلم
ما خوطب به وصدق به واسلم وجهه لربه وبعد ذلك تلقاه امته
صلى الله عليه وسلم من حضره وخاطبه ولا طريق لاحد ان يتلقى
حكما الا منه صلى الله عليه وسلم بعد تلقيه هو ذلك من جبريل عليه
السلام فهو صلى الله عليه وسلم اول مومن واول مسلم ولا تمكن
تلك الاولية لغيره ولا يسبقه اليها احد فقد وضح وجه دخول
هذه اللام في قوله لان اكون **الاية الثالثة** من سورة الزمر قوله
تعالى ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما وفي سورة الحديد كمثل
غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما فورد
هنا ثم يكون وفي الاولى ثم يجعله مكان ثم يكون **فللسايل** ان
يسال عن وجه ذلك وهل كان يمكن ان يرد في الاولى ثم يكون وفي
الثانية ثم يجعله **والجواب** والله اعلم انه لا يناسب كلا من الموضعين
الا ما ورد فيه ولا يجوز على رعي التناسب الملازم لما يكون ورعيه
في

في الكتاب العزيز غير ما ورد عليه الموضعان ووجه ذلك ان اية
الزمر وردت مورد التنبيه على الاعتبار وبالتنبيه على ذلك
افتتحت الاية فقال تعالى خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم والمراد
هو وامته الم تر ان الله انزل من السما ما والمراد به المطر فسلكه
ينابيع في الارض اي انفذه واجراه في الارض فدرت عيونها وجرت
مياهها من تلك المادة السماوية وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار فيخرج سبحانه به الزرع المختلف الالوان والطعوم
المتباينة يسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
ثم يهيج اي تتم جفافه فيبلغ الغاية التي بها كمال المنفعة فيه فتراه
مصفرا ثم يجعله تعالى حطاما فناسب سبحانه كل حالة من تقلبات
الزرع وتنقلاته من لدن خروجه ونباته وما بعد ذلك الى تخلصه
الى نفسه اذ لا طمع لمخلوق في ادعا شي من ذلك ثم قال تعالى ان
في ذلك لذكرى لاولي الالباب فافتتحت الاية واختتمت بالتنبيه
على الاعتبار فلما كان مبناها على ذلك ناسبه نسبة الفعل اليه
تعالى فقال ثم يجعله واما اية الحديد فوردت مثالا للدنيا وابتدا
غرورها وصغو الكافر الغافل الى ذلك واعراضه عن سرعة
تقلبها وزوالها وفنائها فلما قصد هنا المثال ناسب هذا المقصود
قوله ثم يكون حطاما اذ لم يتقدم في اول الاية النسبة للفاعل اكتفا
بما هو غير خاف على كل ذي عقل سليم تجري اخرها على ما جرى عليه

اولها كما جرى في اية الزمر اخرها من التنبيه على ما جرى اولها وسا
ذلك كله وورد على ما يجب ولم يكن بناء على ما صدرت به كل اية منهما
ان تكون في اية الزمر لم تكون ولا في اية الجاثية لم يجعله بل ورد كل
على ما يناسب والله اعلم **الاية الرابعة** من سورة الزمر قوله تعالى
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وب
وفي سورة الجاثية وبدا لهم سيئات ما عملوا **للسائل** ان يسال
عن وجه اختصاص اية الزمر بقوله ما كسبوا واية الجاثية بقوله
ما عملوا مع ان القصد في الموضعين واحد وهو انه لم يغب من
اعمالهم السيئة شي **والجواب** عنه ان العمل اعم من الكسب لان
الكسب واقع على ما للانسان فيه تعمل وعلاج وقد يطلق في غير
الانسان اذا كان الواقع منه ذلك نحو ان يصح منه القصد كالجوارح
المعلمة وشبهها ومنه قوله ∴ وتحر يريه لها الحمى اجركواسب ∴
واحر جمع جرو واما العمل فيقع على ذلك وعلى ما جرى من فاعله
وان لم يكن منه قصد ولا تعمل ولا هو فاعل حقيقة فيطلق على ما
لا يطلق فيه الكسب ومنه بيت الكتاب • حتى سماها دليل موهنا
عمل • باست طرابا وبات الليل لم ينم • فوصف البرق بانه عمل ومقصود
الاية انه بدا لهم كل ما كان منهم على الاستئناف لانه اخبار بوعظه
وتهديد واشعار بالوعيد فمناسبه ما جرى في المناقشة واذا
كان المعنى على ما ذكرنا فالمطابق لها ما ورد في الجاثية من التعبير
بدو

ببدوق العمل وعلى هذا ورد قوله في سورة النحل وعيدا للمقولة فيهم
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين
من قبلهم وما ظلمهم الله الاية ثم قال فاصابهم سيئات ما عملوا
ولم يرد هنا ما كسبوا لانه من قصد التوسعة مما يبدون من
اعمالهم ويظهروا الا سيئا لذلك ولذلك الوارد في الجاثية واذا وضح
هذا فيتفق **السوال** على ما وضح في سورة الزمر لم عدل به عن هذا
بقعل ما كسبوا **والجواب** عنه والله اعلم انه لما ورد بتمه لما
تقدمه من قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما
لم يكونوا يحتسبون فقوله ما لم يكونوا يحتسبون يتناول ما
قدموه من سيئ اعمالهم غافلين عنه وناسين له كان مما قصدوه
واعملوا فيه انفسهم او دون ذلك فقد حصل من هذا مع ما بعده
ما يحصل من قوله وبدا لهم سيئات ما عملوا وكان قوله بعد ذا وبدا لهم سيئات
ما كسبوا اكالتتمة المذكورة ويتناول ما قصدوه واعملوا انفسهم
فيه وحصل من مجموع ذلك للمكتسب وغير المكتسب فلا فرق
بين اية الزمر واية الجاثية ولو قيل في اية الزمر ما عملوا لكان
تكرارا لان ذلك حاصل مما قبلها ولو قيل في اية الجاثية ما كسبوا لما
كان وافيا بما يناسب مقصود الكلام فتبين خصوص كل من
الواردين بموضعه وان عكس الوارد لا يمكن **فان قلت** ما الوجه في ما

من قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون **قلت** هي نكرة موصوفة
كقولهم مررت بما معجب لك وإذا كان يجوز بما تقرر من المعنى إبهامها
كما أن ما الاستفهامية حيث تقصد الإبهام تعظيما للأمر وتفخيما
كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وقوله القارعة ما القارعة يجوز لإبهامها
من عظم أمر الحاقة والقارعة ما لا يعنى به الوصف أو الإبهام المقصود
في التعظيم والتفخيم للأمر المعبر بها عنه **فإن قلت** إنما تعلم وقوعها
نكرة موصوفة **قلت** بل هي حيث يقصد بها ما ذكرنا هذا المعنى موجود
في كلامهم وإن كانت الموصولة أكثر منها إلا أن الموصولة لا تحرز ما ذكرنا
من المعنى إحرازها **فإن قلت** إنما يصح ما اعتمدت من المعنى على القول
بتكليف ما لا يطاق وذلك أصل لم يتكلف به **قلت** أما أنه من
الأصل فصحيح وقد امتحن به من قبلنا وحمل عليهم بنص القرآن
وأما أن يقال إنه مما لا يطاق فلا يبلغ هذا بل يقول إنه يطاق بمشقة
والآية ليست نصا في هذه الأمة بل ولا في أهل الشرائع وحدهم
وإنما هي فيمن ينكر البعث الأخراوي ومن جاراهم ويبين ذلك ما ورد
قبل الآية الجاثية من قوله وإذا قيل لهم إن وعد الله حق وإن الساعة الآية
فهو قول من لم يصدق بالبعث وليس هذا من أتباع الرسل بل إن
التخويف بها يعم جميع المكلفين والمؤمن الموفق أشد الخلق خوفا فلا يأمن
مكر الله إلا القوم الخاسرون ثم إنا نقول بجواز التكليف بما لا يطاق عقلا
ونمنعه شرعا وبسط هذا في مظانه **الآية الخامسة** من سورة

الزمر

الزمر قوله تعالى في أهل النار حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ثم قال في
أهل الجنة حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها **للسائل** أن يسأل عن
زيادة الواو في قوله وفتحت في الآية الثانية **والجواب** والله أعلم
أن إذا في مثل هذا جارية مجرى أدوات الشرط في احتياج الفعل بعدها
إلى الجواب إلا أن جوابها في قول البصريين لا ينجزم إلا في الشعر وأهل
الكوفة يرون أنها تجزم في الكلام وقد اتفقا على استدعائها الجواب
فوقع جوابها في الآية الأولى منطوقا به وهو قوله فتحت فلا مدخل
للواو وأما الآية الثانية فجوابها محذوف مقدر وقوله وفتحت
أبوابها كلام معطوف على ما قبله كما عطف عليه ما بعده ولو كان جوابا
لكان مقتضاه أنها لا تفتح إلا عند مجيئهم كالحال في أهل النار
وليس كذلك والله أعلم ألا ترى أن قوله في سورة ص وإن للمتقين
لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فانتصاب مفتحة
إنما هو على الحال والحال قيد فيما قبلها فإذا قلت جاء زيد ضاحكا فالمعنى
جاء زيد متصفا وقت مجيئه بالضحك فالضحك مقارن حين المجيء
وليس المراد أن ضحكه بعد المجيء وإنما المعنى أن تلك صفته التي
جاء عليها فقد تقدمت مجيئه ولهذا قدر سيبويه رحمه الله قول
بعض العرب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا فقدره مررت
برجل معه صقر مقدرا الصيد به غدا فقدره بما هو حاصل بأن
وقت المرور ولهذا قالوا في قول العرب هنت واصك عنه أنه

من الشاذ النادر ونحوه ما انشده من قول الشاعر ❁ فلما حشوا
انطا قبره رحو سوار هم بالكا ❁ وهذا في غاية القلة وبحسن
ورود الماضي حالا اذا كانت معه قد لا مضا بها القرب ويحسن
ورود احتمال ان يكون منقطعا فيضاد مقصود الحال فان
فوتت الدلالة عليه من المعنى جاز وروده في الفصيح وعليه جا
قوله تعالى في قراءة الاكثر او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم
الاية لدلالة المعنى وقد تعقوب حصرة صدورهم فيتنب قراءة
ما قرا به الجماعة فقد تبين ان قوله وفتحت ابوابها معطوف على جاؤها
وليس جوابا وتبين ما ذكرناه في معنى الاية ويشهد له اخباره صلى
الله عليه وسلم في الصحيح انه اول من يفتح له واول من يقرع باب
الجنة فقد اورد بهذا ان الداخلين يأتون لها وبعده فيجدونها
مفتوحة الابواب واذا لم يتوقف فتح ابوابها على مجيئهم فليس
قوله وفتحت جوابا لو فرضنا ان لا يعتد بالواو كما يقول اهل الكوفة
فان قلت فما جواب اذا قلت الجواب والله اعلم مقدر بعد تفسيره
المعنى كان قد قيل حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين أنسوا وامنوا او ما يرجع الى هذا
المعنى ونحوه وادراك يقولون الجرمية الذي صدقنا وعده وقد
نقل منسوبا الى اهل الكوفة ان الواو قد تزاد في الجواب في مثل
هذا وعليه عندهم ما ورد من مثل قول امرئ القيس ❁ فلما اجزنا
ساحة

ساحة الحي وانتحى ❁ قالوا وانتحى جواب لما فالواو زائدة وعند
غيرهم ان قوله وانتحى معطوف على اجزنا والجواب محذوف اي
استيقنا او تعادثنا او ما يحرز هذا المعنى ومن محسنات الحذف
الطول هنا وفي الاية الكريمة ثم ان الاية قد اوضح مقصودها
ما ورد في سورة ص فان قيل ان قوله في تقدير الجواب في البيت
ايقنا وتحدثنا توسعة في التقدير وليس ذلك معين ولا يحذف
الجواب او الخبر او ما يحذف الا بعد ما يتعين فالجواب انا لم
نقدر ما يغاير معناه ولا شك ان المراد بعينه انما هو المعنى
ثم نحوم على ما تحصله من العبارة اللفظية مما يرجع الى معنى واحد
هذا قول المحصلين وهذا رد على من جعل خبر المبتدا فيمن قال كل
رجل وضيعته هذا المعطوف هو وضيعته وقال ان الفائدة قد
حصلت بذلك وتم الكلام وتاول كلام سيبويه على هذا وقال ان
الذي قدره الفارسي وغيره ان الخبر مقترنان لا يصح لانه يحتمل
ان يقدر يفترقان او يتلازمان فلا يتعين المحذوف واذا لم يتعين
لم يجز حذفه فيقال له ان سيبويه قدره كما قدره الفارسي وغيره يقولهم
واحد فقال بتقدير سيبويه بقدر معنى وانما كلامنا في تقدير الاعرا
وما يجوز حذفه من اللفظ وما لا يجوز وجوابه ان سيبويه وابا
علي ومن قال بقولهما انما اعتمدوا في الدلالة على ان الخبر محذوف بما
يقتضيه ويدل عليه واو مع في قوله وضيعته الذي اتى الكلام ان

معهم انها تعني مع وقد دلت على معنى الالتزام فلا مبالاة بالاخلال
في تعدد الالفاظ المترادفة ما لم يختلف المعنى سعد بن مقرونان
او متلازمان او متلاصقان الى ما يحور منع الاجماع الذي
تعطيه وتقتضيه واو مع لا تصدق في ذلك وشان من اعتبر
نظره فلم يتلبث ولم يتهم نفسه ولا بالى بمخالفة الجماهير في كل
صناعة انه قل ما يصيب من الناس في هذه المسالة معقوب على ما
اعتمده سيبويه والفارسي ولم يجعل احد منهما خلافا الا ما زعمه
هذا القايل وقد خرج بنا الكلام الى ما موضعه اولى به واما الاية
فقد وضح امرها **سورة المومن الاية الاولى** منها قوله
تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
للذين امنوا وفي الشورى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الارض **للسايل** ان يسال عن الوجه في تخصيص سوال
الاستغفار للمومنين في الاولى وتعميمه في الثانية **والجواب**
والله اعلم ان ذلك جار بحسب المناسبة ولما تقدم الاية الاولى
فيما ختمت به سورة الزمر ذكر المتقين في قوله تعالى وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وقول الملائكة عند دخولهم الجنة
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقول الداخلين عند دخولها
الحمد لله الذي صدقنا وعده الى ختام السورة ثم تبع ذلك قوله تعالى
في مطلع سورة المومن غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب

ذي

ذي الطول فناسب هذا استغفار الملائكة المتصفين بصفات
المذكورين ويشهد لهذا ما ورد بعده من قوله تعالى مخبرا عن الملائكة
في قولهم داعين فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك واما قوله تعالى
اثر هذه الاية ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك
تقلبهم في البلاد وقوله كذبت قبلهم قوم نوح الى قوله فاخذتهم
فما تانيس للمومنين وباعث على شكر النعمة على ما منّ به عليهم
من هدايتهم وسلامتهم من موجب اخذ من كذب وعاند فبان
التناسب في هذا كله واما سورة الشورى فقد تقدمها قوله تعالى
في خاتمة سورة السجدة قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد الى قوله الا انهم في مرية من
لقاء ربهم ثم اتبع في مطلع سورة الشورى بقوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن فلولا علمه تعالى لعجل هلاكهم باستغفار
الملائكة لهم ابقاء منه سبحانه عليهم اذ لا يفوتونه وقد يومن
من سبقت له السعادة فقد وضح مناسبة الوارد من الموضعين
لما بني عليه كل منهما وان عكس الوارد غير مناسب والله اعلم
بما اراد **الاية الثانية** من سورة المومن قوله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم قال
وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء قليلا ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر لا يومنون ثم قال

وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا
يشكرون **للسائل** ان يسال عن اختصاص كل اية من هذه الثلاث
بما فصلت به فقيل في الاولى لا يعقلون وفي الثانية لا يؤمنون
وفي الثالثة لا يشكرون **والجواب** عن ذلك مجملا والله اعلم ان
المخاطبين ممن عقل لو نظروا واعتبروا لعلموا ولو علموا
لامنوا ولو امنوا واستوضحوا النعم لشكروا وبسط هذا
الاجمال ان قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
مبسوط الدلالة في اية البقرة وهي قوله ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لقوم يعقلون ثم ورد
في الكتاب العزيز بيان الدلالة بكل فصل من هذه الاية فقال تعالى
اولم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج
وقال تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين وقال تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا وقال
تعالى الذي رفع السموات بغير عمد الى ما جعل فيها من ايات
الشمس والقمر والكواكب السيارة وتسخيرها في بروجها لا
الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل
في فلك يسبحون الى ادخال الليل على النهار والنهار على الليل
بتدريج

بتدريج لا تدركه الابصار الى انزال القطر من السما الى الارض عند
حاجتها فتنبت من كل زوج بهيج وتخرج من انواع الثمرات
مختلفات الالوان والطعوم تسقى بما واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل الى جعل الارض مهادا اذ ارساها بالجبال
العاقل وغير العاقل اليها وتشييد الارض بجري المياه لئلا تقف
فيتضرر بها اهلها ولا يتم لهم النفع بها وهذا مع دحوها وحوائجهم
به التصرف والمشي في مناكبها لمصالح الخليقة ومنافعهم وجعل
ما البحر مالحا لئلا يتغير ويتعفن لطول مكثه وتسخير الحيوان
لتحريك مياه البحار من اسفلها وتسخير الرياح مختلفة لتحريكها
من اعلاها فيحرز ذلك بقا مياهها سالمة من النتن والجمود على
مرور الايام وليتصل العباد الى منافعهم بالتصرف فيها الى حيث
شاؤوا باختلاف الرياح الحاملة بها المسددة لما يتصاعد من الحرارة
الخلق وانفاسهم اذ لولا تبديدها لركدت في الجو فاضرت
بالعالم الى تقلب فصول السنة بتصاعد الشمس من برج الجدي
الى سرطانها ثم انحدارها الى الجدي جريا بحكم الترتيب لانبعاث النبات
باذن الله وصلاح ابدان الحيوان وانضاج الفواكه وتهيئتها
للانتفاع وتليينها وترطيبها بحركة الشمس والقمر الى ما تقصر
عن استيفائه الذكر ذلك تقدير العزيز العليم افيتكون شي
من هذا بنفسه او يوجد بطبعه ومماثله في الاقدار والاطوار

لقد شهدت الجملة ودلت اجزاؤها على الخالق المنزه عن سمات نقصها
المتعالي عن شبهها المقدس عن الند والمثل والمشارك والنظير
المنفرد بالخلق والتدبير لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فحق
الآية الكريمة المشيرة الى ما وقع الايماء الى بعضه ان يكون ختامها
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم قال تعالى وما يستوي الاعمى
والبصير فضرب سبحانه المثل بذكر الاعمى والبصير وهما حال
المعتبر بخلق السموات والارض وغير المعتبر وحال المؤمن
الموفق للاعتبار والمسيء بشركهم ثم اعقب بذكر الساعة التي لا
يعلم كنهها الا من الخبر الصدق فحق لهذه الآية ان يكون ختامها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ولو اعتبروا او لو نظروا الى معجزات
الرسل لوضح لهم صحة ما جاؤوا به وصدقوا بالساعة ثم اعقب من ذكر
نعمه بجعل الليل سكنا لراحة الحيوان وسكونه والنهار مبصرا اي
متصرفا فيه لتصرف الخلق في معايشهم الى ما يجري في الليل والنهار
مما لا يحصى واوضحها ما نص عليه الآية فحق لهذه ان يكون ختامها
ولكن اكثر الناس لا يشكرون فقد تبين مناسبة هذه الخواتم
لما خصت به والله سبحانه وتعالى اعلم **فصل** لذا قوله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا **سورة السجدة الآية الاولى**
منها قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
الآيات وقد تقدم ذكرها في سورة الاعراف **الآية الثانية** منها

قوله

قوله تعالى حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون وفي سورة الزخرف حتى اذا جاءنا قال
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقد تقدم
في سورة الزمر قوله في اهل النار حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها وفي
اهل الجنة حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها **للسائل** ان يسال عنها
عن زيادة ما في قوله في سورة السجدة حتى اذا ما جاؤوها وسقوطها
في سوى هذه الآية **والجواب** والله اعلم ان اذا يرد بعدها ما
كثيرا فصيحا وقد لا يرد وكلا التركيبين فصيح واذا تقرر هذا فمن
المعلوم ان لسان العرب مع انهم يؤثرون ايجاز الكلام في الاكثر قد
يختارون من الطول ومد اطناب الكلام في بعض المواضع وذلك
بحسب ما يدعو اليه الحال يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي
الملاحظ خيفة الرقبا فاذا تاملت آية السجدة وجدتها مبنية على
ما يستدعي الاطالة ويناقض الايجاز بقصد استيفاء ما تضمنت
من حال اهل النار في امتحانهم الا ترى تخصيصها بما ذكر فيها من
شهادة الاسماع والابصار والجلود وعتبهم جلودهم في الشهادة
عليهم بقولهم لم شهدتم علينا ومجاوبة الجلود بقولها انطقنا الله
الذي انطق كل شيء الى اخر ما خاطبهم به الا ترى ان الوارد هنا
من قصصهم قد نيف على عشر آيات وان آية الزخرف وهي اخر الواقع
ورد مضمونها في اربع آيات واما آية الزمر فلم يبلغ واحدة منهما الا ت

ايات فريدت ما في اية السجدة مساحرة لما انجر في ذلك المقصود بها
من الاطناب والاستيفا ولم ترد في التوالي لما ينبني عليه من الايجاز
فجا كل منها على ما يلايم ويناسب ولم يكن ليناسب عكس الوارد
على ما يمهد والله اعلم **الاية الثالثة** من سورة السجدة قوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من
ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وفي سورة الشورى
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب **للسائل** ان يسال
عن خلو اية السجدة من ذكر النهاية المذكورة في الاخرى **والجواب**
عن ذلك والله اعلم ان اية الشورى تقدم قبلها ذكر تلك الغاية والاجل
في قوله وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير
فهذا هو الوقت الموعود والاجل المسمى فلما تقدم ذكره وقعت
الاحالة عليه في قوله الى اجل مسمى واما اية السجدة فلم يتقدم فيها
ذكر هذه الغاية على الوابه وبما فيه واما قوله تعالى فيها ويوم
يحشر اعداء الله الى النار فاشارة الى وقت حشرهم وادخالهم وانما
ذلك فعل يقصد بها ولا الى ذلك اليوم وبعض ما فيه وانما وقع اسم
اليوم على الوقت منه الذي فيه بها ولا الى النار كما قال تعالى ومن
يولهم يومئذ دبره اي وقت الوقت فوقع اسم اليوم على الوقت
اذ لا يتقيد لقا العدو وقتاله بيوم براسه ولا بنهار دون ليل

فاما

فاما وقع اليوم في قوله ويوم يحشر اعداء الله الاية على وقت من اليوم
يتقيد به بعض افعال ذلك اليوم اما لفصل ما فيه من استغراق
الفريقين والافصاح باسمه فانما ذلك حيث ذكر فكان هناك
ما يحال عليه وقد تكرر ذكره في قوله تعالى في سورة التغابن يوم
يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فلم يتقدم ذكره وفي التعريف
باسمه وقعت الاحالة عليه والاشارة بقوله الى اجل مسمى فقد
وضح ورود كل من الايتين على ما يناسب ولا يناسب عكس الوارد
والله اعلم **الاية الرابعة** من سورة السجدة قوله تعالى قل ارايتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد
وفي سورة الاحقاف قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم **قد يسال**
عن وقوع ثم في الاولى ووقوع واو النسق مكانها في الاية الثانية
والجواب عن ذلك والله اعلم ان ثم للترتيب الزماني واقتضا
المهلة فيه ويأتي ايضا لبيان رتبة ما يعطف بها وانه لو موقعها
وخطرا وانه اعتنا وقد مر بيان ذلك وان تفاوت الرتب كتفاوت
الزمان ولا توقف في ان كفرهم بالقران بعد علمهم انه من عند الله
كما هو وكانوا اعلم من سعد بالايمان به وان كذبوهم فلا شك ان
ذلك مرتكب شنيع وضلال بعيد فجي هنا بثم ليحرز عظم اجترائهم
وشنيع مرتكبهم على ما يجب ولما قصد في اية الاحقاف زيادة شهادة

عليهم بتصديق من يعرف عنده علم الكتاب المنزل قبل كتابنا ممن يعرف
علمه فيشهد بما عنده من العلم ان هذا الذي جا به محمد صلى الله عليه
وسلم انما هو من عند الله وكان ذلك في الحجة عليهم لم يرد بثم لا فصلها
مهلة لم يقصد لهما وبيان النظم الجليل الوارد في الاية على تقديره
معريا لا فهامنا ان كان وقد قيل لهم يا محمد ارايتم ان كان القران
من عند الله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فكفرتم وابى
ذلك الشاهد واستكبرتم انتم عن الايمان فكيف يكون حالكم
واوضحكم هذا معنى الاية ففي الكلام تقديم وتاخير اقتضاه
جليل النظم الكتاب وعلى براعته واذا كان المعنى على يسر ذلك
ما تاخر في التركيب من قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
وان كان من عند الله لم يكن ليصح بين المنسوقين المحمول
احدهما على الاخر بما يقتضي الجمع من غير فتور ولا مهلة الفصل بثم
لانها منافرة لهذا الغرض فورد هذا الواو ولتحرز ما قررناه من
المعنى وورد الاية الاولى بثم لتحرز معناها ايضا وجا كل على ما
يجب ويناسب ولا يمكن خلافه والله اعلم سورة الشورى الاية
الاولى منها قوله تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا
يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشا عقيما انه عليم قدير ثم قال تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما

ما يشا انه علي حكيم للسايل ان يسال عن وجه الاختلاف فيما اعقبت
به كل اية من هاتين الايتين فقيل في الاولى انه عليم قدير وفي الثانية
انه علي حكيم وهل كان يمكن عكس الواقع والجواب عن ذلك ان الاية
الاولى لما تضمنت الاعلام بانفراده سبحانه بملك السموات
والارض وقهره جميع من فيهن وانه الخالق لكل شي فلا اختيار
لمخلوق ولا مشيه وكل صادر منه احسان فيهب لمن يشا
اناثا وقدم ذكر الاناث لكراهة العرب اياهن فاشار ذكرهن
الى ان فعلهم وكراهتهم معارضة لما انفرد به مشيته ثم قال ويهب
لمن يشا الذكور وجا لفظ الذكور معرفا للتشريف بما تعطيه الالف
واللام من العهدية الى حالهم من الفضل ودرجة التقدم على الاناث
فكانه في قوة ان لو قيل الذين من امرهم وشانهم فتوازن تقديم
الاناث وتعريف الذكور وقدم ذكر الاناث لارغام العرب وعرف
الذكور لشرف المنزلة ثم قال او يزوجهم ذكرانا واناثا اي على
التساوي عددا ثم قال ويجعل من يشا عقيما فحصل من هذا ان الفعل
له لا شريك فيه عبرة لفعل في ذلك كله ما اراده ولما تضمنت الاية
قهر العباد وانفراده سبحانه وتعالى بالخلق والامر ناسبها الختام
بقوله انه عليم قدير اي عليم بوجه الحكمة في ذلك قدير على ما يريد ولما
قال في الاية بعدها وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما وصفت الاية على كماله تعالى وتنزيهه

عن سمات الحدوث وان المخصوصين من البشر للسفارة والرسالة انما
خطابه سبحانه لهم بهذه الوجوه المفصحة بتنزيهه عن شبه خليقته
فلا يصلون الى ما يستقر عندهم من خطابه تعالى الا باحد هذه الوجوه
وهي الوحي مناما او الهاما وخلقا في قلب النبي وعن هذا النوع عبر
بالوحي ومنه قول ابراهيم عليه السلام لابنه يا بني اني ارى في
المنام اني اذبحك او من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام
وارساله سبحانه ملكا من المقربين لديه يوحي باذنه ما يشاء كما
كان جبريل عليه السلام وهو المعروف بهذه الخصيصة والمعد
من الملائكة للسفارة عنه سبحانه وبين رسله بانبائهم عما يرسله
تعالى به من القصص والاوامر والنواهي بهذه الطرق الثلاث
وصول الرسل والانبياء الى ما عندهم من الله سبحانه وقد حصل من ذلك
الاعلام بتنزيهه سبحانه وتعاليه عن التكييف فناسب هذا اختتام
هذه الاية بقوله تعالى انه علي حكيم اي علي عن مداناة البشر
الا باللطف والاحسان حكيم في افعاله فتبين وجه مناسبة هذا
اتمام ما به ختم كما ناسب الختام قبله وهو قوله انه علي قدير ما اعقب
به توضح ان كل ختام منهما لائق بموضعه وانه لو خص هذه
الاخيرة بما خص الاولى والاولى بما خص به هذه لم يكن ليناسب
هذه المناسبة الحاصلة والله اعلم بما اراد **سورة الزخرف**
الاية الاولى منها قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم
بذلك

بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقال في الجاثية ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم
الا يظنون فاعقب في الاولى قوله ما لهم بذلك من علم بقوله ان
هم الا يخرصون واعقب في الثانية قوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا
يظنون **فللسائل** ان يسال عن وجه اختصاص كل من الموضعين
بما اعقب به **والجواب** عن ذلك والله اعلم انهم لما قالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم فتعلقوا في احتجاجهم بقول حق وهو انه سبحانه لا يجري
في ملكه الا ما يريده ويشاؤه ثم اختصاصهم من اسمائه الرحمن
عضد لمتعلقهم وتقوية لما راموا الاحتجاج به ولانهم قالوا اذا كان
لهم مضافا بالرحمة والاسعاد لا لاحد من الخلق شيء من افعالهم
وانما يجري ما يصدر عنهم بحسب مشيئته وارادته وقد جرى
منا ما نحن عليه من عبادة اصنامنا وما اتخذنا من معبود اتنا وليس
منا استبدادا بما يصدر منا فهو مراد له ومشيئه وهو رحمة لانه
الرحمن فلو كانت الرحمة في تركنا معبوداتنا لشاء ذلك لنا لان الرحمن
لا يكون منه الا ما هو رحمة وانما الفعل له لا لنا فلو شاء ان لا نعبدها
ما عبدناها فلما تعلقوا بما تبيدوا منه ان لديهم علما اخبر تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم انه لا علم عندهم ولا قالوا ذلك عن معتقد
تركن اليه قلوبهم وانما هو خرص قول لا علم وراءه ومن وحي الشياطين
اليهم لانهم اولياؤهم كما قال تعالى ان الشياطين ليوحون الى

اوليائهم ليجادلوكم فكلامهم خوض بالقول لا علم وراه اذ الكلام
في القدر واحكامه وان الارادة تخالف الرضا وان الامر قد يامر
بما لا يريده وانه سبحانه قد يريد ايقاع ما لا يرضاه وبيان ما ينبني عليه
التكاليف ويتعلق به الاوامر والنواهي من القدرة الكسبية
التي يعرف فيها وبتوتها حصول السلامة من مذهب الجبر وافكاره
التورية في مذهب الاعتزال ودعوا اهل القدر وكلا المذهبين
ضلال وخروج عن الحق وكل من المذهبين له شبه يسبقيه الى
الاذهان يدفعه التوفيق الى النظر الصحيح والا كان التخرص المورط
في الضلالات وهنا لحار طاميه من دقائق العلم والنظر لا شي
عندها ولا الكفار منها بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ان هم
الا يخرصون فقد وضح التناسب في هذا واما الاية الثانية فانه تعالى
لما حكى عنهم قولهم منكرين البعث الاخراوي وقالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا نموت وما يهلكنا الا الدهر اي وما يهلكنا الا تعاقب الايام
والليالي فلم ينسبوا الاحيا والاماته لفاعل مختار يميت ويحيي
وبنوا على ذلك انكارهم العوده اخبر الله تعالى عنهم لا يعقلون
الا بمجرد ظن لا مستند له فقال وما لهم من علم ان هم الا يظنون
فاخبر تعالى ان مرجعهم الى الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيا وتناسب هذا واضح لا خفا به **الاية الثانية** من سورة
الزخرف قوله تعالى بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مهتدون

مهتدون ثم قال وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا
قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
للسائل ان يسال عن الفرق الموجب لقول الفريق الاول وانا
على اثارهم مهتدون وقول الفريق الثاني وانا على اثارهم مقتدون
مع الاتفاق من جميعهم في قولهم انا وجدنا اباءنا على امة اي على دين
وملة ثم وقع الاختلاف في وصف انفسهم في اتباع ابائهم بالاهتدا
والاقتدا **ووجه** ذلك والله اعلم ان ما تقدم الاية الاولى حكاية
قول كفار العرب المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والسامعين
منه القران المسمى هدى في غير موضع كقوله تعالى هدى للمتقين
وقوله هذا هدى وقوله فيه هدى ورحمة للمحسنين فلما دعاهم
صلى الله عليه وسلم ليهتدوا بهديه قابلوا دعاه بقولهم انهم مهتدون
وانهم وجدوا اباهم على امة وانا وجدوهم عليه هدى فقالوا انا
وجدنا اباءنا على امة اي على دين وانا على اثارهم مقتدون بهديهم
فلما دعاهم الى الهدى زعموا انهم على هدى وهذا بين تناسب واما
الاية الثانية فحكاية اقوال قرون مختلفة وقد ذكر تعالى من قول
بعضهم قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين وفي موضع اخر كذلك يفعلون
فهذا اتباع مجرد على دعا كونه هدى او غير هدى فهو اعتراف بتقليد
واتباع بعضهم لفعل ابائهم من غير ادعا شبهة فلم يكن ليطابق
هذا الا الوارد من قوله تعالى عنهم وانا على اثارهم مقتدون فجا

كل على ما يناسب والله اعلم **سورة الجاثية الاية الاولى**
منها قوله تعالى ان في السماوات والارض لايات للمومنين
وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السما من رزق فاحيى به الارض بعد
موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون **للسايل** ان يسال
عن وجه اختصاص كل اية من هذه الثلاث بما به ختمت خواتمها
من صفات المعتبرين بها فقيل في الاولى للمومنين وفي الثانية
لقوم يوقنون وفي الثالثة لقوم يعقلون **والجواب** عن ذلك
والله اعلم ان خلق السموات والارض للمعتبر المنصف
كاف في التصديق بحدوثها وافتقارها من حيث ان وجودهما
وعدمهما من قبيل الجائز والمخصص باحد الجائزين لا يكون
الا مخصصا مقتضيا لهذا الجائز الواقع ثم ذلك المخصص لا يكون
مماثلا والا لافتقر الى مخصص وذلك يؤدي الى التسلسل وهو
محال وايضا فليس احد المتماثلين في الجانب حكم المماثلة باولى
من ان يوجبه له الاخر وهذا كله محال فلا بد من صانع يتعالى عن
شبه المصنوع منزه عن المماثل والنظير وسمات الحدوث
متصف بالكمال بكمال المصنوع واتقانه متصفا بالعلم والقدرة
والارادة الى ما هو سبحانه اهله واذا حصل الاعتراف بالصانع
علم المعتبر بما ذكرنا انه سبحانه قادر على خلق ما بيننا والى هذا الاشارة

قوله

قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على
ان يخلق مثلهم ثم قال تعالى بلى وهو الخلاق العليم فمن اعتبر
بالسموات او بخلقهما اذ يمكن في قوله ان في السموات والارض
ان يوخذ انه لا مضاف محذوف وقد ان يكون على حذف المضاف
اي في خلق السموات والارض وطريقة الاعتبار واحدة
على التقديرين فمن اعتبر واتصف ايمانه قال تعالى ان في السموات
والارض لايات للمومنين يحصل لهم الايمان فوسموا قبل
حصوله بما يؤول امرهم اذا اعتبروا اليه فهو من قبيل التسمية
بالمآل ومنه قوله تعالى اني اراني اعصر خمرا ثم قال تعالى وفي
خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون والمراد ان المعتبر
بالسموات والارض اذا احسن اعتباره واتصف من نفسه
حصل له الايمان بالصانع سبحانه فاذا اضاف الى الاعتبار بخلق
الانسان وتصويره في الارحام من حال النطفة الى حال العلقة
الى حال المضغة الى حال العظام وكسوتها باللحم الى الابراز
الى عالم الشهادة بشرا سويا محكما متناسب الاعضاء تام الخلق
الى تدريجه بعد هذا وكل ذلك من غير توقف شي من صفاته
وخواصه على اختيار استوام في اختلاف الالسنة والالوان
والصور الى ما يتعلق بذلك واعتبر بخلق الحيوانات وما بث
سبحانه في الارض بريها وبحريها من ذلك يكون كل ذي شكل الى

شكله وتمام الغداية المجمع بما يصلح لهم وتسخير المسخر منها
للادمي وايناسه وتوحش المتوحش واجرا ارزاق الجميع
على اختلاف الاحوال في ذلك ففي الاعتبار بذلك كله ما يثمر
للمومن اليقين ويرقيه في اعالي درجات المتقين ثم اذا اعتبر
بما اشارت اليه الاية الثالثة من اختلاف الليل والنهار وتهيئة
الليل للسكن والاستراحة والنهار للتصريف في المعايش
والحاجات وتداولهما كالمتعارضين في الطول والقصر وايلاج
احدهما في الاخر ايلاجا خفيا حتى لا يدخل احدهما على الاخر دفعة
فيضر بابصار الحيوان الى ما يتعلق بهذا ويرجع اليه من احكم
تدبير ذلك والاعتبار به واعتبر جري الرياح ومنافعها وسوقها
السحاب بالامطار واحيا الارض بالما النازل منها بعد موت
الارض واخراجها ضروب النبات لانتعاش الحيوان ومصالحه
فاذا اعتبر المومن ذلك بهذا اعقبه ثبات يقينه وتمكن ايمانه
وامن والتقى وعقل عن ربه فانتفت الشبهات واصحب
بالبراهين الايات قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون فتامل كيف جعل سبحانه تعقل الامثال موقوفا
على العالمين وانما يحصل لهم الاتصاف بان كانوا عالمين بما منحوا
من كمال عقولهم فتبين التدريج المراد في الايات وانه لا يلايم
اية منها ما ختم به غيرها بالاحكام من الاوصاف الثلاثة لا يليق بغير

موضوعه

موضعه وبان بما اية البقرة وهي قوله تعالى ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس الى قوله لايات لقوم يعقلون لما جمعت اية البقرة
ما وقع في هذه الايات الثلاث من سورة الجاثية منسوقا
ذلك بعضه على بعض غير مستانف ولا بتدي الاعتبار به كما
ورد في هذه الاي بل ورد مجموعه في اية واحدة كيف ختم ذلك
بقوله لايات لقوم يعقلون اعلاما لشرف العقل الذي به ياذن
الله بحصول الايمان ثم اليقين ثم الثبات للمحصل للكمال
لحصول العلم الحاصل لذلك كله **سورة الاحقاف** قد تقدم
ما فيها **سورة القتال الاية الاولى منها** قوله تعالى
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم وفيما بعد من
هذه السورة ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم
في بعض الامر **للسايل** ان يسال عن وجه ورود انزل في
الاولى وفي الثانية نزل مضعف **والجواب** والله اعلم ان ذلك
مفهوم مما تقدم في اول سورة ال عمران باعتبار ما يخص هذه
السورة الى قوله بعد الاي المتكلم فيها وان الكافرين لا مولى
لهم لم يقصد بما تضمنته هذه الاية من الكفار غير مشركي
العرب من قريش وغيرهم ولا شك ان كفرهم منسحب على كل
المنزل من القران وما تقدم من قوله في التورية وغيرها من

الكتب فلم يكن للام ذلك عبارة نزل المبنية على تنجيم المنزل ولهذا نقول لذلك عن القرآن وهم ينكرون كل الكتب المنزلة ويكرهون ما فقيل هنا كرهوا ما انزل واما الآية الثانية فالمراد بها ذوو النفاق والمرتدون على ادبارهم ويعين ذلك ما تقدمها من قوله تعالى رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وهاولاء هم المنافقون ولم يقع فيما بعد عدول عنهم الى قوله ان الذين ارتدوا على ادبارهم وانما هاولاء قوم كفروا بعد اسلامهم وهم القائلون بمقتضى نفاقهم وما ابطنوه من الكفر لغيرهم سنطيعكم في بعض الامر فلهاولاء اطلاع على المنزل من القرآن وخصوص كراهيته له وهي المبنية لنفاقهم فهو الذي كرهوه حقيقة فقيل هنا كرهوا ما نزل الله بلفظ المضعف اذ الاشارة الى القرآن وهذه صفته اعني ما اشير اليه المضعف من التنجيم في النزول فكل من الموضعين وارد على انسب نظام واتمه **الآية الثانية**

ع قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة ثم قال فاذا انزلت سورة فورد الفعل اولا مضعفا وثانيا غير مضعف **ووجه** ذلك والله اعلم ان المومنين هم الذين يودون نزول السور ولا طلبهم نزولها انما هو على ما اعتادوه جاريا في غيرها من التنجيم وتفصيل النزول فالملائم هنا عبارة المضعف وقوله فاذا انزلت سورة انما المراد تحصلها بجملتها بعد كمالها وذلك مفهوم من سياق

الكلام

الكلام والملائم تحصل عبارة الانزال من غير تضعيف فكل من الموضعين وارد على انسب نظم والعكس غير ملائم والله اعلم **سورة الفتح**
الآية الاولى منها قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ثم قال تعالى ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما **للسائل** ان يسال عن تعقيب الآية الاولى بقوله وكان الله عليما حكيما وتعقيب الثانية بقوله وكان الله عزيزا حكيما **والجواب** عن ذلك والله اعلم ان الآية الثانية لما تقدمها قوله تعالى ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ناسب هذا المتقدم من فعله تعالى بالفريقين من مجازاة المومنين بالنعيم المقيم وتعذيب المنافقين وغضبه عليهم ولعنهم واعداده لهم جهنم وصفه تعالى بالعزة ليعلم انه سبحانه لا يغالب وان الكل تحت قهره اذ لا لعزته يفعل في الكل ما يريده وما تقتضيه حكمته اذ هو العزيز في ملكه الحكيم في افعاله ولما لم يتقدم الآية المتقدمة ما يقتضي القهر كهذه وانما قبلها قوله سبحانه هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا

لم يتقدم ح

الا مع ايمانهم وهذا تعريف بانعامه سبحانه ورحمته المومنين
فناسب قوله سبحانه وكان الله عليما حكيما فاعلم سبحانه انه العليم
بمن يرحمه كما قال تعالى ربكم اعلم بكم وقال تعالى وهو اعلم بالمهتدين
وقال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وجاء كل في الايتين على ما يجب
ويناسب والله اعلم **الاية الثانية** قوله تعالى سيقول لك
المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا
وفيما بعد منها سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها
ذرونا نتبعكم ففي الاية الاولى افراده صلى الله عليه وسلم بخطابهم
له في قوله تعالى افصاحا بحرف الخطاب لك ولم يرد ذلك في الثانية
ووجه ذلك ان المخبر عنهم من المخلفين طلبوا منه صلى الله عليه
وسلم الاستغفار لهم لتخلفهم عنه وافردوه بخطابهم اذ ليس ذلك
من مطلوبهم لغيره فوردت العبارة عن ذلك بافراد الخطاب واعلم
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بنفاقهم وكذبهم في اعتذارهم فقال تعالى
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم واما الاية الثانية فليس قولهم
ذرونا نتبعكم خطابا خالصا له صلى الله عليه وسلم بل هو خطاب
له وللمومنين والسياق يفصح بذلك وما امر به صلى الله عليه
وسلم من مجاوبتهم في قوله لهم لن تتبعونا لم يرد هنا افراده صلى
الله عليه وسلم بخطابهم له كما ورد في الاول وجاء كل على ما يجب ويناسب
فان قيل ان خطابهم له خاص كالاول ولكن خاطبوه مخاطبة المعظم
بقولهم

بقولهم ذرونا نتبعكم **قلت** وهل فرض هذا مع مراعاة الالفاظ في
التعظيم الكيدة جدا وبها احرازه وعلى هذا لا يلائم هنا الخطاب
كيف ما قدر الا بصورة ما للجميع والله اعلم بما اراد **الاية الثالثة**
من سورة الفتح قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد
بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم قال فيما
بعد وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من
بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا **للسائل**
ان يسال عن وجه اختلاف الموضعين الواقع بهما خطاب
الاثنين وهما خبيرا في الاولى وبصيرا في الثانية **والجواب** عنه انه
قد تقدم قبل الاية الاولى قوله تعالى سيقول لك المخلفون من
الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم فناسب هذا وصفه تعالى بالخبير لان الخبير هو
العليم بما خفي وبطن فاما مناسبة هذا لقوله يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم واما الاية الثانية فتقدمها قوله تعالى وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم
وليس في هذا ابطان شيء اظهر خلافه فكان ابدا وصفه سبحانه ببصير
انسب وورد كل على ما يجب **سورة الحجرات** قد تقدم ما فيها
سورة ق قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال
قرينه هذا ما لدي عتيد ثم قال بعد هذا الذي جعل مع الله الها اخر

فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان
في ضلال بعيد سال عن ثبوت واو العطف في قوله اولا وقال
قرينه ولم تثبت الواو في الآية الثانية والجواب عن ذلك ان الآية
الاولى وردت معطوفة على ما قبلها من اخبار عن ما يلقاه الانسان
المتقدم ذكره من الاهوال والشدائد في المواقف الاخراوية
وما بين يديها اولها قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ثم قال ونفخ
في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقال
قرينه هذا ما لدي عتيد فهذه اخبارات عن شدائد يعقب بعضها تالي
بعض فطابق ذلك ورود بعضها معطوفا على بعض واما قوله بعد
قال قرينه ربنا ما اطغيته فهو اخبار مستاد مستانف معرف بتبري
قرينه من حمله على ما اتى بطه واخرجه ولا طريق لعطف ذلك على ما
قبله انما هو استيناف اخبار فورد كل من الآيتين على ما يجب ويناسب

سورة والذاريات الآية الاولى منها قوله تعالى انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع وفي الطور ان عذاب ربك لواقع ما له من
دافع وفي المرسلات انما توعدون لواقع للسايل ان يسال
عن وجه اختلاف العبارة عما وقع القسم عليه وجودت ثبه
مع ان المراد بذلك كله الجزا الاخراوي والجواب والله اعلم ان
سورة والذاريات تقدمها في سورة ق اخباره سبحانه بالعودة
الاخراوية واقامة البرهان على ذلك لمن وفق لاعتباره فقال
تعالى

ن تعالى اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من
فروج الى قوله كذلك الخروج ثم اعقب بذكر مكذبي الرسل من الامم
وما حق عليهم من الوعيد الاخراوي بعد اخذ كل منهم في الدنيا
بذنبه ثم استمرت اي هذه السورة على هذا المنهج من ذكر البعث
وحصر اعمال المكلفين وكتبنا عليهم مع علمه سبحانه بما توسوس
به نفوسهم ووقوع الجزا على ذلك وغفلة المكذب عن ذلك كله حتى
يكشف له الغطا فيشاهد ما لم يكن يحتسبه واعقب بان الجنة
للمتقين ووصفهم بما يحتم ووعدهم عليه ثم اعقب بامر نبيه صلى
الله عليه وسلم بالصبر والتزام ما امر به وان يذكر بالقران المستجيبين
الخائفين وعيده سبحانه فلما اشتملت السورة على اعادة جزاء
اعقبت بالقسم على ذلك من صدق وعده سبحانه ووعيده ووقوع
الحساب على الاعمال فقال تعالى والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع وناسب النظم على ذلك كله اتم تناسب
اما سورة والطور فالقسم فيها مرتبط بما اتصل به ووقع عليه القسم
من قوله تعالى خاتمة سورة والذاريات فان للذين ظلموا ذنوبا
مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم
الذي يوعدون واتبع قسما على هذا بقوله والطور الى قوله ان
عذاب ربك لواقع ما له من دافع واما قوله في سورة والمرسلات انما
توعدون لواقع فمرتبط بما بنيت عليه سورة الانسان فانها

فجملتها دارت اياتها وجرت على ما به ختمت من قوله تعالى يدخل
في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما فحصل مجرد وعد ووعيد
ولم تخرج السورة عن ذكر الفريقين ممن وعد وتوعد فناسب ذلك
قوله تعالى جوابا للقسم انما توعدون لواقع فجا كل من المواضع
الثلاثة على ما يناسب ولا يلايم النظم في ثلاثتها غير ما ورد عليه
والله اعلم **الاية الثانية** قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون
اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون الى قوله فورب السما والارض انه لحق مثل ما
انكم تنطقون وفي سورة والطور ان المتقين في جنات ونعيم الى
قوله بما كنتم تعملون **للسايل** ان يسال عن وجه الاختلاف الاخبار
عن اهل الجنة في هاتين السورتين **والجواب** عن ذلك والله اعلم
ان هاتين السورتين اخذتا في القصد من وعيد كفار قريش
والعرب ذوي العناد والتكذيب والاخبار بجزائهم الاخروي
فعلى هذا مبنى السورتين ولهذا افتتحتا بالقسم على ذلك كما
تقدم والموعود به فيهما جزا فريقي السعادة والشقاوة
واليه الاشارة بقوله ان الدين لواقع وهو حساب الكل ومجازاتهم
على ما سلف من جميعهم من خير او شر ولم يكن بد من ذكر اهل
النعيم ذوي الاستجابة والتصديق ليتبع بجزاء من كان على الضد
منهم وهذا قانون مطرد في مجموع هذين من الكلام المراد
ومقتضى

مقتضى قوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وانه
اذا ذكر الفريقين اتبع بذكر الفريق الاخر فلهذا ما ذكر فريق المتقين
وجزاؤهم مع ان مبنى السورتين على ما ذكر فبدي فيهما بذكر حال
المعاندين وبذلك ختمت كل سورة منهما ثم ذكر الجزاء في السورتين بعد
حال المتقين ونص في السورة الاولى على اسنى اعمالهم واجل ملتزماتهم
المستتبعة لما سواها من سائر اعمالهم المترتب عليها جزاؤهم
فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسايل والمحروم
فذكرهم تعالى بالاحسان وقيام الليل والاستغفار بالاسحار
والمساهمة في اموالهم للسايل والمحروم وكان هذه امهات امور
هنا عليها واقتصر في الثانية بذكر الجزا وضروب النعم ليحصل من
مجموع السورتين الوفا بذكر اعمالهم وجزائهم فقيل في الاولى
ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم فهذا من ذكر
جزائهم في ايات الى قوله انه هو البر الرحيم وحصل في هذا استيفا
كثير من جزائهم وفي السورة قبل ما عليه ترتب ذلك من اعمالهم
فارتبطت الايات وتبين انه لا اختلاف فيهما وفي ختم كل
واحدة من السورتين مثل ما به تبين واشعار ببنائهما على ما قدمنا
من وعيد من ذكر وان ما ذكر فيهما من حال اهل الجنة اعمالا وجزا
فلما تقدم ذكره من الارتباط بين الجزائين في اي الوعد والوعيد

ذكر احدهما والله اعلم بما اراد **الاية الثالثة** وهي تمام ما قبلها وذلك
قوله تعالى وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وفي سورة المعارج
وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم **يسال** عن وجه زيادة
الصفة في سورة المعارج من قوله معلوم وسقوطها في والذاريات
وهل كان يناسب عكس الوارد **والجواب** والله اعلم ان اية
المعارج قد تقدمها متصلا بها قوله تعالى الا المصلين والمراد بالصلاة
هنا المكتوبة وايضا تقترن بها في اي الكتاب الزكاة المفروضة
وبها فسر المفسرون الحق المعلوم في اية المعارج قال الزمخشري
لانها مقدرة معلومة **قلت** وليس في المال حق مقدر معلوم وفيها
نصابا ووجوبا غيرها فلما اريد بالحق الزكاة اتبع بوصف يحرر
المقصود ولما قصد في اية والذاريات غير هذا المقصد بدليل ما تقدمها
من قوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما
يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون فوصفهم بطول
قيام الليل في صلاتهم وتهجدهم ومداومتهم الاستغفار في الاسحار
فذكروا الزيادة من التطوع والفضل على ما فرض عليهم مما يبعد تاركه
اذا تركه مستحلا الاطلاق الوارد في نفقاتهم ليفهم الزيادة على ما
فرض عليهم من الزكاة المقدرة ولم يكن ليناسب هنا الاشارة
على قدر المنفق كما في سورة المعارج ولم يكن عكس الوارد ليناسب
فورد كل على ما يجب والله اعلم **الاية الرابعة** قوله تعالى ففروا
الى

الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه
نذير مبين **للسائل** ان يسال عن وجه تكرر قوله تعالى اني لكم منه
نذير مبين وعن الانذارين من التوجه له سبحانه في كل المطلوبات
واعتماده على كل من عبده ومن ان يشرك به سبحانه او يعبد معه
سواه فعلى هاذين الضربين ورد التحذير والانذار وهما الواردان
في قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فامر سبحانه بعبادته
وان لا يعبد معه غيره **والجواب** انه سبحانه لما قدم من المعتبرات
الدالة على وجوده تعالى وانفراده بالايجاد والخلق ما قدم في
السورة قبلها من قوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها الى قوله تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ثم قال ونزلنا من
السماء ماء مباركا الى قوله رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج
ثم ذكر تعالى اخذ المكذبين من القرون السالفة فقال كذبت قبلهم
قوم نوح الى قوله فحق وعيد ثم ذكر تعالى خلق الانسان وعلمه تعالى بما
توسوس به نفسه وقربه تعالى منه قرب العلم والاحاطة لا قرب
المكانة والمسافة ثم ذكر احصاء الحفظة على المكلفين ولزومهم الى
موت الانسان وبعثه ومجي كل نفس في القيامة معها سائق وشهيد
ولم يقع عدول عن هذه الانذارات والاخبارات الاخراوية والا
عتبارات الجلية الى قوله تعالى اعلاما لنبيه صلى الله عليه وسلم
بمقام المدعوين وامرا لهم بتذكيرهم بالقران فقال نحن اعلم بما يقولون

وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد ثم اقسم الله
على صدق تلك المواعد والاخبارات فقال تعالى والذاريات ذروا
الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع ثم ذكر سوالهم
عن يوم الحساب سوال استهزا واستعجال بالدين فقال يسالونك
ايان يوم الدين الى ذكر حالهم وحال المتقين والاشارة الى جزا
الفريقين ثم اعقب بذكر الايات في الارض وفي انفسنا وان رزق
العباد وما توعدون في السما واقسم تعالى على ذلك بقوله فورب
السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ثم اعترض سبحانه
بذكر ضيف ابراهيم وقصتهم ثم عطف على التذكار والتنبيه
المتقدم في قوله وفي الارض ايات للموقنين فقال وفي موسى فذكر
ارساله واخذ فرعون وجنوده بتكذيبهم ثم ذكر عادا واخذها
وثمود وقوم نوح واقتصر على ذكر تكذيبهم واخذهم تنبيها باحوالهم
مرتبطا باول التنبيه بقوله افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها
بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون [illegible]
قوله افلم ينظروا الى السما فوقهم الاية وتدبر اثنا ذلك قوله ومن
اشرك به سبحانه قوله القيا في جهنم كل كفار عنيد الى قوله فالقياه
في العذاب الشديد فلما حصل التنبيه بعد الايات واوضح بيان
على انفراده سبحانه وحصل ذكر من اشرك وانطوى ذلك ولم ينفصل
بعضه عن بعض اعقب بقوله ففروا الى الله المنفرد بخلقكم والمالكم

المنعم

المنعم عليكم بما انعم من واضح الادلة عليه سبحانه اني لكم نذير مبين
اي من عذابه واخذه كما فعل بمن كذب قبلكم مبين بما اوضح لكم من
البراهين ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين فقد
تبين ارتباط كل من الايتين بما تقدم وان الثانية موكدة للاولى
وورد ذلك على اتم مناسبة والله اعلم بما اراد **سورة والطور**
الاية الاولى منها قوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم
لولو مكنون وفي سورة الواقعة ويطوف عليهم ولدان
مخلدون باكواب واباريق وفي سورة الانسان ويطوف عليهم
ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا فورد في سورة
والطور غلمان لهم وفي السورتين ولدان والمراد في السور
الثلاث الخدام **فللسايل** ان يسال عن الموجب لتخصيص كل اية
بما ورد فيها **والجواب** والله اعلم يترتب على تمهيد وهو ان الغلام
هو الطار الشارب وقيل باستصحاب هذا الاسم الى ان يشيب
والجمع غلمان واما الوليد فاسم للمولود حين يولد وهو فعيل وهي
بنية مبالغة وفائدتها استحكام الصغر وجمعه ولدان وعلى هذا
لا يترادف احد الاسمين الاخر فان ورد احدهما في موضع الاخر فعلى
المجاز والتوسع والاصل ما مهد واذا تقرر هذا فورود الغلمان في
سورة الطور والله اعلم مناسبة اللفظ باتساع مواقعه في احد [illegible]
وذلك لاستصحاب اسم الغلومية الى الشيب او لاحتياج التوسع

فيما يطوفون به ويستخدمون فيه بحسب اسنانهم لمن تقدم من
صنفي المخدومين وهم الاباء والابناء في قوله والذين امنوا واتبعناهم
ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فذكر هنا الاباء الداخلون الجنة
مجازاة على اعمالهم والابناء من الذرية ممن لم يبلغ سن التكليف
فدخل الجنة بغير عمل فناسب الاتباعُ الاتباعَ واما اية الواقعة
فلم يقع فيها ذكر الاتباع فناسب ذلك ذكر الولدان الذين لا يحتمل
اسنانهم خدمة الغلمان فناسب الاقتصارُ الاقتصارَ والتوسعُ
التوسعَ ووضح ان العكس لا يناسب والله اعلم ووصف الولدان
بقوله مخلدون اعلام بانهم باقون على ما مضى من الولدانية لا
تتغير احوالهم عن ذلك والا فالخلود الاخروي عام لهم ولغيرهم
والجواب الثاني وهو انه لما ذكرت الذرية في سورة والطور ربما
كان يتوهم ذكرهم من حيث دخولهم الجنة بغير عمل انهم فيها خدام
لمن اتبعوه من قوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم ان الكل
من تابع ومتبوع مخدومون وقيل لهم باللام المقتضية للملك
مع كون الضمير في لهم للكل من متبوع وتابع اشعارا بان ملكهم
على انهم يتصرفون في كلما يامرون به ويشتهون ولما لم يقع في سورة
الواقعة وسورة الانسان ذكر الاتباع من الذرية لم يرد فيها الا اسم
الولدان وهم في الخدمة بمقتضى اسنانهم دون الغلمان وتناسب هذا
والله اعلم بما اراد **الاية الثانية** من سورة والطور قوله تعالى ام عندهم
الغيب

الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا وفي سورة القلم ام عندهم الغيب
فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت **للسائل**
ان يسال عن وجه تعقيب هذه الاية في السورتين بما ورد فيهما
ووجه المناسبة في ذلك **والجواب** عن ذلك والله اعلم انه جل
وتعالى ارغم معاندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع تعلقهم
واوضح عجزهم واوقفهم على قبح تكذيبهم وشنيع مرتكبهم في بضع
وعشرين اية من سورة الطور وسورة القلم وسورة الطور اكثرها
وتعاديها في سورة القلم وتحصل محصورا فيها كل متعلق لمجادلتهم ظنا
او   وقدم قبل ذلك في السورتين حال المتقين وما منحوه
على تفصيل في سورة الطور واستيفا يناسب ما فصل انفا من حال
المعاندين في تعلقاتهم والجاري في سورة القلم يناسب الوارد فيها
من ذلك التعلق مكتفى من ذلك في   المتقين فقوله تعالى
ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم فلما تقدم في السورتين
حال المتقين اعقب بتوبيخ من ارتكب ضد حالهم فبدأ سبحانه
في سورة الطور بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم امرا له باستمراره
على الدعاء فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون فنفى عنه ما
نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من الكهن والجنون وكانوا اكثر ا
ما يرمونه صلى الله عليه وسلم بهاتين وقد علموا براءته من ذلك
واعترفوا به في الخبر الصحيح بل قد كانوا يعلمون صدقه قال تعالى قد

فعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون وهذا اخبار منه سبحانه بمعتقدهم فيه ولكنهم
كانوا يرون ان رميه بالكهن والجنون كانه مخيل في توقفهم
عن تصديقه واتباعه ولذلك اكثر سبحانه نفي ذلك عنه بالقسم
في السورتين فقال فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وهذا
في قوة القسم الصريح وقال في سورة القلم مفصحا بذلك ن والقلم
وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون ثم كرر ذلك توبيخا لقائله
فقال ويقولون انه لمجنون ولم يكرر في السورتين مفصحا به من
الصادر عنهم فيما كانوا يرمونه به غير صفة الجنون ثم قال تعالى
قاطعا بهم في احتجاجهم ام يقولون شاعر وقد عرفوا ان ما جاءهم
ليس بشعر ثم قال ام تأمرهم احلامهم بهذا ومن المعلوم الذي قد علموه
هم ان عقولهم لا ترجح ذلك من مقالتهم فكيف تأمرهم به ثم قال ام
يقولون تقوله اي فان قالوا فليأتوا بحديث مثله وعجزهم عن ذلك
قاصد هذا التعلق ثم قال ام خلقوا من غير شيء وقد اكذبوا انفسهم
في هذا واعترفوا بخلق الله اياهم ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله ثم قال ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض وقد اخبر تعالى
عنهم بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فلا تعلق لهم بشيء من هذه المرتكبات لتكذيبهم انفسهم بكل ما يقال
ان يتعلقوا به من المذكور بعد هذا من قوله ام عندهم خزائن ربك الى قوله

ام

ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون لا توقف في اضمحلال تعلقهم
به فلم يبق بعد وضوح الحق الا الضلال ولما بلغ المفتري من رد
تعلقاتهم الغاية في قطع كل ما يتوهم من تمويهاتهم المفروضة قال
تعالى ام عندهم الغيب وهذا اخر ما يتوهم من تعلقاتهم وان لم
يقولوه فلم يبق لهم الا اعمال المكيدة فاخبر تعالى انهم المكيدون سيهزم
الجمع ويولون الدبر فقد وضح وجه تعقيب اي سورة الطور
بهذه الاية ولما كان في سورة ن والقلم ذكر كل ما يمكن تعلقهم به
واشتملت على ما قد وقع منهم وما يشبه ذلك مما لم يقولوه لبعده كادعا
اطلاع الغيب واستراق السمع وادعا خلق السموات والارض
واتخاذهم من غير صانع مريد مختار ما ذر وان خزائنه عندهم فلما
لم تبق ما توهم امكان قصوره وانقطع تعلقهم وتبين توقفهم
وانما غايتهم عناد بين قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر لحكم
ربك واعلمه بحسدهم في قوله وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم لما سمعوا الذكر فارغمهم وفضحهم واعقب الاية في
قوله ام عندهم الغيب في سورة القلم بالامر بالصبر لكمال ما قصد
من قطعهم بكل جهة واستيضاح تمردهم من بعد ما تبين الحق
الا الصبر عليهم حتى يحكم الله فيهم بما شاء فقال له يحذره من ان تدركه
السآمة والضجر فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو
مكظوم وبان انتظام هذا التعقيب ولما كانت سورة الطور مقدمة

في الريب المستقر وورد بعدها في سورة ن والقلم ما هو راجع
الى الوارد في الطور من تمامه اعقب الاية هناك بقوله ام
يريدون كيدا واعلم تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان كيدهم راجع
عليهم وان ما راموه حائق بهم فمهل الكافرين امهلهم رويدا ايناسا
له صلى الله عليه وسلم واعلاما بنصره عليهم ثم لما تم المقصود في سورة
ن والقلم من ذلك الغرض امره بالصبر واعلم بان العاقبة له وانه
سيستجيب له غير بهم ممن سبقت له الحسنى فاناب وتذكر قال
تعالى وما هو الا ذكرى للعالمين وجاء على ما يجب ويناسب والله
اعلم **سورة النجم الاية الاولى** منها قوله تعالى تلك اذا قسمة
ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من
سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقال بعد هذا
ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما
لهم من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيئا **للسائل** ان يسال عن تعقيب قوله اولا ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس وثانيا بقوله وان الظن لا يغني من الحق شيئا
وما الفائدة في تقديم ما تقدم وتاخير ما اخر وهل كان العكس يناسب
والجواب والله اعلم انه لما قال تعالى افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى فذكر اصنامهم وتسميتهم اياها الهة
واتخاذها معبودات وذكر تعالى في مواضع اخر انهم جعلوا الملائكة
اناثا

اناثا قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وهم
بنات الله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه وكرهوا البنات
لانفسهم واليه الاشارة بقوله ولهم ما يشتهون اي وجعلوا
لانفسهم ما يشتهون قال تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم
ومعلما بحالهم وتوبيخا لهم وتقريعا بابلغ اعظم التلطف واجل
الحكم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة
ثم عرفهم بالاحوال لهم عليه وانه مرتكب لا مستند له قال ان
هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
الا اتباع ظن وهوى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس
ثم نبه تعالى على الرحمة بما جاءهم به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
ولقد جاءهم من ربهم الهدى وعرفهم بما تشهد العقول بصدقه
لادرك ذلك ادراكا ضروريا فقال ام للانسان ما تمنى اي ان الحري
في الوجود ان الانسان قد يتمنى الشيء فلا يدركه اذا لم يقدر له وقد
يجنبه ما لا يريده ولا يحتسب يمنى سكم الا ان يشاء الله تعالى
ثم اخبر عن الملائكة واشار الى اقدارهم فقال وكم من ملك في
السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء
ويرضى فقطع تعالى بهم في قولهم في الهتهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ثم صرف تعالى الخطاب الى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ولم يعلم له ان قومك او ان العرب او ما

لحرز هذا انما علمهم واخبار ان لا علم عندهم ان يتبعون الا الظن
ثم قال وان الظن لا يغني من الحق شيئا فهذا موضع قوله وان الظن
لا يغني من الحق شيئا فمناسب هذا كله واما الموضع الاول فموضع
ذكر اتباعهم اهواءهم لما اوضح تعالى لهم ان ليس للانسان ما يتمناه
فبطل هوى الانفس ولم يبق الا مجرد ظن اخبر تعالى ان الظن
لا يغني من الحق شيئا فمناسب هذا كله وتبين ان كلا من المعقب
به في الموضعين لا يصح في غير موضعه ولا يمكن العكس والله اعلم

سورة القمر قوله تعالى كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس
كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر **والجواب** عن ذلك والله اعلم ان عادا لما كذبوا
هودا عليه السلام امتحنوا بالقحط واشتد الامر عليهم هذا اشد
تخويف لو وفقوا للتذكر وقد خوف بذلك فرعون قال تعالى ولقد
اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون
فخوف عاد بذلك فلما لم يجد ذلك عليهم مع اليم امتحانهم
به اهلكوا بالريح العقيم فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم فامتحنوا
بعذابين وانما كان اخذ قوم نوح قبلهم وهلاكهم بالطوفان ولم
يعرف من الكتاب العزيز انه تقدمهم قبله اخذ بغيره من ضروب
ما اهلك به غيرهم وكذلك ثمود اخذوا بالصيحة وقوم لوط بالخسف

وانما

وانما تكرر الامتحان بعد عاد على ال فرعون فاخذوا بضروب العذاب
والامتحان الى ان اغرق الله اخرهم مع فرعون وممن اشار الكتاب
العزيز الى تنوع اخذهم قوم شعيب ولم يقع ذكرهم في هذه السورة
فلما اخذت عاد بالسنين ثم استؤصلوا بالريح العقيم ورد مكررا
فاشار قوله اولا فكيف كان عذابي ونذر الى ما قدم لهم من منع
المطر وشدة السنين عليهم وما انذروا به من ذلك واشار قوله
ثانيا فكيف كان عذابي ونذر الى استئصالهم بالريح العقيم وجرى
مع ما ذكرته ويشير اليه قوله تعالى قد وقع عليكم من ربكم رجس
وغضب والرجس هنا العذاب ومنه اخذهم بالسنين واما
الريح العقيم فمن غضبه سبحانه الى ما يلحقهم منه في الاخرة قال تعالى
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة فتكرر قوله تعالى فكيف
كان عذابي ونذر مرتين مشيرا الى ما قدم لهم مما باشروه وشاهدوه
من العذاب بالسنين وقطع دابرهم واستئصالهم بالريح وجاريا
مع هذا التنويع من امتحانهم في الدنيا والاخرة ولما لم يذكر من حال
قوم نوح وقوم صالح وقوم لوط مثل هذا التنويع لم يتكرر ما ورد في اعقاب
قصصهم من قوله فكيف كان عذابي ونذر وتناسب ذلك كله اتم مناسبة
وجرى نمط كل منهما **فان قيل** فان ال فرعون قد تكرر عليهم الامتحان
قال تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين وقد تقدمت الاشارة
الى ذلك ولم يقع التنبيه على تعذيبهم وانذارهم متكررا كما وقع في

قصة عاد **فالجواب** ان قصة فرعون لم يقع عقيبها بقوله فكيف
كان عذابي ونذر كما ورد في القصص الثلاث واذا لم يرد عقيبها
بذلك فقد سقط السوال عن التكرر ثم ولما عقبت بما خبر ابتداهم
باشد امتحان وهو قوله تعالى فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر ولما
خالف ايرادها تلك القصص ولم يجر في ذلك التعقيب مجراها لم
يلزم السوال عن المكرر المعروض والله اعلم بما اراد واما الجواب
في قصة عاد فانها اخص ما نزل فيها من كتاب الله بذكر عذابين
احدهما قوله تعالى لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والثاني قوله
تعالى ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون فاشار بقوله اولا فكيف
كان عذابي ونذر الى عذابهم في الدنيا واشار بالتكرار الى عذابهم في
الاخرة وهذا الجواب والله اعلم بعيد لان سورة القمر باسرها
مقصود بها تذكير كفار العرب من قريش وغيرهم بما نزل بمن تقدمهم
من مكذبي الامم وانما ذكروا الحاصل مدوقع لمن سلك مسلكهم
ليعرفوا اخبره فيتعظوا فعلى هذا جرى تذكارهم في الكتاب العزيز
فتارة بشاهد من خلق السموات والارض وشبه ذلك وتارة بما
يعلم حسا اما وعظهم بعذاب الاخرة وهم مكذبون بالرحمن فبعيد جدا
ولا يطابق ذلك قوله عقب كل قصة فهل من مذكر ولا قوله لقد تركناها
اية فهل من مذكر فتامله وهو اعلم جوابي صاحب كتاب الدرة واراه لا يصح
سورة الرحمن الاية الاولى منها قوله تعالى والسماء رفعها ووضع
الميزان

الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان **للسائل** ان يسال عن الموجب في تكرر الميزان ثلاث مرات
ووجه تخصيص هذه السورة بذلك **والجواب** عنه والله اعلم
ان المراد بذكر الميزان اعلام العباد بما به قوام احوالهم واستقامة
ايمانهم من اجراء امورهم على العدل الذي امر به سبحانه في قوله ان
الله يامر بالعدل والاحسان الاية وفي قوله ان الله يامركم ان
تودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
وفي قوله اعدلوا هو اقرب للتقوى وفي قوله واقسطوا ان الله
يحب المقسطين وفي الحديث ان المقسطين على منابر من نور
يوم القيامة وتكرر في الكتاب العزيز الوصية بالوفاء في الكيل والميزان
المحسوسين لسان الامر فيهما قال تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم
وزنوا بالقسطاس المستقيم وذم سبحانه من بخس فيهما وجعل
جزاءه الويل والهلاك فقال ويل للمطففين الايات واعلمنا
سبحانه بعاقبة قوم شعيب عليه السلام في ذلك واخذهم الصيحة
وعذاب يوم الظلة واعلمنا سبحانه بوزن اعمال العباد يوم القيامة
فقال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس
شيئا الاية وتكررت الايات والاحاديث بعلمه بذلك ليشاهد
العباد عظيم العدل واستيفاء الاعمال مرئيا محسوسا جاريا على
ما الفوه في دنياهم ليشاهدوا الصالح والطالح على المعيار المقرر عند كافة

اهل السنة فلما كانت الاستقامة في الكيل والوزن مشعرة بما سواها وما تاكد لانفسهما ولما وراءهما سبحانه الامر بذلك واخبر بوضعه للخلائق في العامة يتمثلون بذلك امره فقال والسماء رفعها ووضع الميزان وقال مفسرا امره الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وان قوله الا تطغوا يحتمل ان يكون علة اي لئلا تطغوا في الميزان وان يكون حرف عبارة وتفسير نائبة مناب اي ومفسرة كالواقعة في قوله وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا وكرر لفظ الميزان جريا على عادة العرب فيما لها به اعتناء وتهمم كقول الخنساء ∘ وان لوالينا وسيدنا ∘ وان صخرا اذا نشتو لنحار ∘ وان صخرا لتاتم الهداة به ∘ كانه علم في راسه نار ∘ فكررت ذكر صخر ثلاث مرات ظاهرا غير مضمر وكقول الاخر ∘ لا ارى الموت يسبق الموت شيء ∘ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا ∘ فكرر لفظ الموت ثلاث مرات في بيت واحد وقال ∘ ليت الغراب غداة ينعب دائما ∘ كان الغراب مقطع الاوداج ∘ وهذا موجود في كلامهم كثيرا اذا قصدوا الاهتمام والاعتناء والتهويل والاستعظام ومن الوارد في هذا في التنزيل الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة وما ورد من هذا واما تخصيص هذه السورة بذكر الميزان وتاكيده والوصاة بحفظه وفاء والتزاما وهو السؤال الثاني من حيث ان بنا السورة على اعلام الثقلين بنعمه

سبحانه

سبحانه لديهم واقامة الحجة عليهم وتعريفهم بانهم لو وفقوا للحظ نعمه تعالى وما بث في السموات والارض ومخلوقاتهما من عجائب صنعه ما كفر منهم احد ولا كذب وانما اثنى على من تقدم ذكره من الامم المكذبة في سورة القمر المتصلة بهذه لعدولهم عن النظر السديد اعتمادا على الاهوا ونبذ العهود والانصاف ولو اعتبروا بخلق الانسان وما منح وعلم من البيان وشرف به على سائر الحيوان واعتبروا بآيتي الشمس والقمر وجريهما بحسبان لتفصيل الفصول وربط الازمان وتعاقب الملوين للتصرف والاستراحة وليعلموا عدد السنين والحساب لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار فلو اعتبروا بهذا وما يستدعيه ويجر معه وبالنبات نجما وشجرا ورفع السما ووضع الميزان للانام واخراج ضروب الاطعمة واصناف الفواكه منها واختلاف الوانها في الطعم واللون والروائح مع اتحاد المادة يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكيف مرج سبحانه البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وقد حجز سبحانه بينهما واحكم ذلك فلا يلتقيان التقا يعود بعدم المنفعة على العباد واخرج منهما اللولو والمرجان واجرى فيهما السفن بآجال الرياح واقام على الجميع دلائل الافتقار والحدوث وحكم عليهم بالفنا والعجز هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وما يعتبر من هذه الآلاء في شهادته بفصيح بلسان

حاله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون فلو اعتبر اولئك الامم
بعض هذه المنصوبات للاعتبار من المنبه عليه في سورة
الرحمن لدلهم ذلك على الصانع الذي ليس كمثله شي ولم يتخذوا
معبودا تهم من دونه جل وتعالى واجابوا الرسل فلم يهلكوا
ولكنهم انحرفوا عن سنن الانصاف وكذبوا فهلكوا فلما بنيت السورة
على هذا احسن تذكر الميزان اي تكررا مؤكدا على ما وقع فيها ولما
لم ترد هذه الاغراض في غير هذه السورة مبنية على ما بنيت عليه
في السورة فلها من اخذ المكذبين على الصفة الواردة فيها وابرزت
هي بما قدم كانت مظنة الاعتنا بالحث على طرق السلامة في كل
عمل وهو العدل الذي به قوام المخلوقات والوزن بالقسط الذي
يستوضح كل نفس في القيامة به مالها وعليها ولم يكن غير هذه
السورة ليكون اولى بذكر ذلك فيها منها والله اعلم الاية الثانية
من سورة الرحمن قوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان للسائل ان
يسال عن وجه تكرار هذه الاية احدى وثلاثين مرة ما وجه ذلك
وهل تخصيص هذا العدد بسبب موجب والجواب عن ذلك
والله اعلم انه سبحانه افتتح السورة بذكر ضروب من النعم ما به
عجز عن الاحاطة بوصفها وعجز العارفون عن شكرها وكلها دلائل
للمعتبر واضحة وشواهد قاطعة بانفراده سبحانه بالخلق والاختراع
والانشا والابداع فقال تعالى الرحمن علم القران فخص سبحانه من
اسمائه

الحسنى اسمه الرحمن لمناسبته لما رحم به عباده فذكر سبحانه تعليمه
القران ولا نعمة اعظم من ذلك اذ بتعليمه الحصول على الايمان
والفوز في الدارين ثم اردف نعمة خلقه الانسان ثم تعليمه
البيان المتوصل به الى الابانة عما في نفسه واستيضاح ما استبهم
عليه وايضاح ذلك لغيره وبه يعرف قدر النعمة بالقران ثم اردف
بذكر نعمة الشمس والقمر ونبه تعالى على جريهما في بروجهما
بحسبان لما تدرك من منافعهما انضاجا وتيبيسا واضاءة وحسبانا
لتعلموا عدد السنين والحساب ثم قال تعالى تحركا للمعتبرين
وايقاظا للمتفكرين والنجم والشجر يسجدان والنجم ما نجم من النبات
وارتفع عن ارضه ثم قال والسماء رفعها فاشار الى جعلها سقفا محفوظا
من غير عمد مزينة بالنجوم للدلالة ورجم الشياطين وقد امر التنبيه
بما فيها وفي خلقها من العبر ثم قال ووضع الميزان وقد تقدم الكلام في
ذلك ثم قال والارض وضعها للانام للمشي في مناكبها والاكل مما نبت
فيها والاعتبار بها وبعجائبها وعجائب السموات والارض اكثر
من ان تحصى بالعد قال تعالى ان في السموات والارض لايات للمومنين
ثم ذكر تعالى بعض ما بث فيها من الرزق فقال فيها فاكهة والنخل
ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان ولما كانت هذه النعم مشاهدة
للخلائق ولا مطمع لاحد في نسبتها الى غيره سبحانه وقد استدت العقول
وعرفت انفراده سبحانه بايجادها واختراعها اتبع ذلك بتقرير الثقلين

وتجبر الفريقين فقال لهما عقب هذه الضروب الثمانية فباي
الاء ربكما تكذبان اى من هذه ما يمكن الجاحد ان يكذب بها او يتعاطاه
لغيره سبحانه مع وضوح شهادتها لخالقها وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها ثم عرفنا سبحانه بخلقة الثقلين وبالمادة التي
اوجد منها كلا من الصنفين فقال خلق الانسان من صلصال
كالفخار وخلق الجان من مارج من نار لينسب ذلك الى غيره المعبود
به سواه ثم رابع سبحانه بانه رب المشرقين ورب المغربين اى
مشرق الشتا ومشرق الصيف اشارة الى الغايتين في الانتهاء
من راس الجدى الى راس السرطان ثم بخلق البحرين الحلو والملح
والتقائهما وفصلهما ثم بما يخرج منهما للانتفاع والزينة ثم بتسخير
السفن وجريها ثم بذكر فناء كل من عليها وبقائه سبحانه ثم بافتقار
اهل السموات والارض اليه جل وتعالى وسؤالهم اياه شؤونهم
وحاجاتهم كل يوم واعقب كل قصة من هذه بتوبيخ الثقلين
وتحسيرهم لقيام الحجة عليهم فقال فباى الاء ربكما تكذبان وتكررت
الاية بتكرر القضايا وكلها مما لا مطمع لاحد في ادعائه فقامت الحجة
بها وكانت شواهد باعلى سنة ما وقع التنبيه به من تحريك المعتبر
واطراد هذا العدد في ذلك فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم تمام سبعة اطوار اخرها ثم انشاه خلقا اخر وقال
عقب هذا ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ولما ذكر سبحانه الخلال

المعتد به

المعتد به التي بها خلاص المكلفين ذكر سبعا فقال قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون فعد للمؤمنين خصالا سبعا جعلهم
بها الوارثين نعيمه وساكنين جنته فقال اولئك هم الوارثون الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون وهذا العدد مطرد جار في
اشيا تشهد اطراده فيها على قصد حكمة بعضها فمنها ما ذكر
انفا ومنها ان ام القران سبع ايات والسموات سبعة والارضون
مثلها وابواب جهنم سبعة وحد الاثغار سبعة اعوام ويعق
عن المولود يوم سابعه ومن مسنونا به صلى الله عليه وسلم
التسبيع للبكر وهذا كثير جدا ثم انصرفت الايات عقب هذه
التسبيع المذكور بها الى سبع قضايا وعيدية اولها قوله تعالى سنفرغ
لكم ايها الثقلان الى قوله يطوفون بينها وبين حميم ان معقبا
فيها كل قضية بقوله تعالى مقرعا وقامعا للمعاندين بقوله تعالى
فباى الاء ربكما تكذبان ثم انصرفت الاي الى فريق النجاة ووعدهم
بما اعد الله تعالى لهم فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
واستمرت الاى فيما اعد الله لهم فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان
واستمرت فيما اعد الله تعالى لهم ومما اعطاهم الى قوله هل جزا الاحسان
الا الاحسان محمه كل قضية منها بقوله في ثماني كرات في اعقاب
ثماني قضايا على ما تقدم فباى الاء ربكما تكذبان وكانت هذه ثمانية لكونها
في اهل الجنة ثمانيات على وفق ابوابها ويشهد لهذا القصد تعقيبها

مثلها عددا فيما زادهم في قوله تعالى ومن دونهما جنتان الى اخر
السورة وهي ثماني ايات كعدد ما قبلها معقبة كل اية منها بقوله
فباي الاء ربكما تكذبان رعيا لما ذكرنا فحصل في المجموع العدد المتقدم
ولم يكن الزيادة على ذلك لتناسب اذ لا مقتضيه سوى هذه
المعقبات كما ان النقص من هذا العدد لا يناسب لطلب كل مقتضيه
لتلك الاعقاب تناسبا وتوازنا على ما تقدم من الوعيد فورد ذلك
كله على الوجه الذي لا يناسب خلافه والله اعلم فان قلت فما وجه
اختصاص سورة الرحمن بهذا التعقيب مما هو ايقاظ للغافلين
وتنبيه للمومنين وتقريع وتوبيخ للغافلين وما وجه ذلك
فالجواب [illegible] **سورة الحديد الاية الاولى منها** سبح لله ما في السموات
والارض وفي سائر المسبحات وما في الارض ثم في سورة الحديد
وسورة الحشر وسورة الصف سبح بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن
يسبح بلفظ المضارع فهذان سوالان **والجواب** عن الاول والله
اعلم ان كون ما لم يتكرر في هذه السورة انما ذلك لتطابق الكلام
ما اتصل به ذلك من قوله تعالى له ملك السموات والارض فلما
لم تكن هذه الاية مستدعية لفظه ما روعي ذلك فيما قبلها ليناسب
الاتيان مع حصول ما تعطيه من المعنى فلو وردت لم تكن لتكون
الا تاكيدا وكان تسقط التناسب اللفظي ثم قد ورد بعد هذا قوله
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام فيناسب هذا
كله

كله على ما يجب واما المسبحات فلم يرد فيها ما يستدعي هذه المناسبة
فوردت على ما هو انسب لما تقدم لفظ المضارع من التمادي والتكرر
والله اعلم **والجواب** عن السوال الثاني ان لفظ الماضي في سبح ولفظ
المضارع في يسبح يحرز ان الاستمرار والدوام ولا يحرز احدى
العبارتين ذلك الا بالتاويل والتقدير فكان الجمع بين الاستمرار
وكان ورود اكثرها على التعبير بالماضي لانه اوضح في استحكام الثبات
وامتداده فورد هذا كله على انسب وجه **الاية الثانية** من سورة
الحديد قوله تعالى له ملك السموات والارض وهو على كل شي قدير
ثم ورد بعد له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور **للسايل**
ان يسال عن اعادة قوله له ملك السموات والارض مع قرب ما بين
الايتين وعن تعقب الاولى بقوله وهو على كل شي قدير والثانية
بقوله والى الله ترجع الامور **والجواب** عن الاول انه اعاد
قوله له ملك السموات والارض انما اعيد ليبنى عليه قوله والى الله
ترجع الامور لما تقدم وصفه سبحانه بانه المسبح المتعالي ذو
العزة والحكمة وانه الذي له ملك السموات والارض والقدير على كل
شي والخالق للسماوات والارض والذي استوى على العرش بالقهر
والقدرة والعلم بما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما
وما يعرج فيها وانه مع الكل بالعلم والقدرة والاحاطة والبصر
باعمالهم اكد ما تقدم باخباره تعالى بان له ملك السموات والارض واليه

رجوع امر الخلائق فلا تتحرك ذرة الا باذنه ولا تصدر شئ الا بتقديره وعن
قضايه ثم كرر قوله له ملك السموات والارض لبنا ما ذكر عليه لا يتبين
شئ لحصول الجمل المفصلة قبله تحت مفهومه فقد تبين وجه التكرار
ووجه تعقيب المكرر بقوله والى الله ترجع الامور واما تعقيبه اولا
قبل التكرار بقوله وهو على كل شئ قدير فلما تقدم متصلا به من قوله
يحيي ويميت فالمراد وهو على كل شئ قدير من الاماتة والاحيا وغير
ذلك مما يدخل تحت حكم القدرة فهذا المعقب انسب شئ واوجهه
والله اعلم **الاية الثالثة** من سورة الحديد قوله تعالى يوم ترى المؤمنين
والمومنات يسعى نورهم وفي سورة التحريم يوم لا يخزي الله النبي
والذين امنوا معه نورهم يسعى فقدم الفعل في الاولى واخر في الثانيه
ووجه ذلك والله اعلم ان قوله في سورة التحريم والذين امنوا معه
نورهم من حيث المعية وقرب المنزله وعلو الحال وتقدم ثبوته فناسب
ذلك ورود الجملة الاسميه هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه
واستحكامه اما قوله في سورة الحديد يسعى نورهم بين ايديهم
بشارة للمومنين ولم يات هنا كونهم مع نبيهم فلم يحصل فيما
يفهم تمكن المنزله وثبوتها ما يحصل في اية التحريم وانما هو بشارة
يناسبها التجدد والحدوث فناسب ذلك الفعل لما يعطيه من هذا
المعنى فقيل يسعى نورهم بين ايديهم ليفهم التكرر وحدوث الشئ
بعد الشئ فورد كل على ما يجب ويناسب والله اعلم **الاية الرابعة**

ع

ع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في
كتاب من قبل ان نبراها وفي التغابن ما اصاب من مصيبة الا باذن
الله **للسائل** ان يسال عما زيد في اية الحديد من قوله في الارض ولا
في انفسكم الى ما بعد مما خلت منه اية التغابن مع اتحادهما فيما
انطوت عليه من المعنى **فاقول** واسال الله التوفيق ان المسبحات
الخمس وهي سورة الحديد وسورة الحشر وسورة الصف وسورة
الجمعه وسورة التغابن مع اشتراك خمستها في مطالعها تلاقت
متونها في هذه معان وترادف الفاظ واحدة مع الاخرى تلاقي هاتين
السورتين اعني سورة الحديد وسورة التغابن الا ترى اجتماع
السورتين في ذكر خلق السموات والارض والاعلام باحاطة علمه
سبحانه بما خفي وما ظهر والامر بالايمان بالله ورسوله والانفاق
في سبيله سبحانه وما يترتب على ذلك من الجزا الاخراوي وذكر
الاموال والاولاد والفتنة بهما وتحقير امر الدنيا وما انطوت
عليه والاشارة الى تفصيل احوال الخلق وجزائهم الاخراوي وان
كل واقع في الوجود واقع باذنه سبحانه وانطوى كل واحدة من
هاتين السورتين على جملة من اسمائه سبحانه ولم يرد في غيرها
من السور الخمس المذكورة من ذلك ما جاء فيهما فيما اشتركتا فيه
من الاسما العليه وان كانت سورة الحشر قد انطوت من ذلك على
نحو ما انطوت عليه سورة الحديد الا انها لم تلتق معها في توافقه

ما اجتمعتا عليه من بعض عدة منهما فيما اتفقت السورتان
فيما ذكر ولم تجمع معهما غيرهما من المسبحات في ذلك والامر يتبع
طول سورة الحشر وتجاريهما في الطول من سورة الحديد وكون
سورة التغابن لا تقارب واحدة منهما في الطول ومع ذلك فقد
شاركت سورة الحديد في تلك الاغراض الجليلة والمقاصد العظيمة
وجارتها في ذلك عددا واستيفاء وعريت سائر المسبحات عن التعرض
لذلك والوفاء به على وفاء به من حاله فلما اتفقتا في هذه الكلمة وكانت
سورة الحديد اعني في كل ضرب مما ذكروا وفي تعريفا واشد تفصيلا
وكانت هذه الآية المتكلم فيها من جملة ما اتفقت السورتان فيه ورودا
والحادي معنى اخرتين في كل واحدة من السورتين من التفصيل
في الاولى والاستيفاء والاجمال في الثانية والاكتفاء على ما جرت به سائر
الآي فيما اشتركت فيه السورتان مما ذكر فيما يناسب ذلك ما زيد فيها
في الآية المذكورة قبل ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبراها فناسبته لما بنيت عليه السورة من
الوفاء بالاغراض المذكورة وقيل في آية التغابن ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله فناسب الاجمال الوارد فيها من ذلك المشترك ونظم
نظم السورتين على اتم مناسبة واجل تلاوم وجرى ذلك على سنن البلغاء العرب
وتفننها في كلامها وتصرفها اذ الطالب لداع موجب وفضلته
او وجوب لمقتضى من المعنى واجلته ؛ يومون بالخطب الطوال
وتارة

وتارة ؛ وحي الملاحظ خيفة الرقباء ؛ ولا يمكن على ما تبين عكس
الوارد في السورتين بوجه والله اعلم بما اراد **سورة المجادلة**
قوله تعالى وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم وقال بعد ان الذين
يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا
آيات بينات وللكافرين عذاب مهين **يسال** عن وصف الاولى
بقوله وللكافرين عذاب اليم والثانية بقوله وللكافرين عذاب مهين
ووجه اختصاص كل موضع بالوارد فيه **والجواب** عن ذلك والله
اعلم ان الآية الاولى لما تقدمها ذكر الظهار وقد سماه سبحانه منكرا
من القول وزورا وشرع الكفارة فيه رحمة وتداركا للواقع فيه
اذا اتعظ واناب وجعلها على التدريج من تحرير رقبة للواجد القادر
عليها والا فلكفارته صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن
عجز عن الصيام فاطعام ستين مسكينا ثم قال لتؤمنوا بالله ورسوله
اي ان الانقياد لاوامر الله سبحانه والتزام حدوده عنوان كسر
على كمال الايمان والتزام ما به التخلص لديه سبحانه فشرع لكم
الحدود فمن التزمها ولم يتعدها فذلك المؤمن ومن تنكب عنها
وحاد عن التزامها فتلك صفات الكافرين وللكافرين عذاب
اليم ووصف العذاب بالايلام ليكون في ذلك من التناسب واما الآية
الثانية فقد تقدمها قوله ان الذين يحادون الله ورسوله والمحادة المشاقة
والمعاداة ولذلك جزاؤهم ان كبتوا واذلوا قال الله تعالى ان الذين

يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين فاما تقريرها ولما ارتكبوا
المحادة والمشاقة كان جزاؤهم اكبابهم واذلالهم واما نفيهم في
مقابلة تقريرهم كفرا وعنادا فقال تعالى في جزائها ولا وللكافرين عذاب
مهين اي مذل لهم قامع لعنادهم وهذا من التناسب والله اعلم
سورة الحشر قوله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون ثم قال بعد تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون والجواب عن ذلك والله اعلم انه
تعالى لما اخبر عن يهود والمنافقين بسوء احوالهم وان الرعب قد
سكن قلوبهم حتى كان خوفهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشد خوفهم من الله قال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله
فناسب هذا نفي فهمهم وانسلاخهم عن النظر والتدبر والموفق
فقال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون ثم ذلل بالتعريف بسوء باسهم
بينهم وشتات احوالهم فقال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فناسب
هذا ما يفهم عدم الثبوت على شيء والرجوع الى قانون يقفون عنده
ويرتبطون اليه فقال تعالى ذلك بانهم قوم لا يعقلون والعقل علوم
ضرورية يوقف عند مقتضاه ويحكم بما امضاه ولا يتعدى وحصل
من ذلك الثبوت واستفاقه من قولهم عقلت البعير اذا ربطته بعقال
وهو الحبل وشبهه بما يقيد به ولما نفي عنهم الارتباط مع وصفهم
بشتات القلوب وجودا فقال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اخبر تعالى

ان

ان سبب ذلك انهم لا يعقلون وتناسب هذا بين ولا يناسب الاولى
قبلها الا ما اعقبت به والله اعلم سورة الممتحنة قوله تعالى
لقد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه وبعد هذا لقد كان
لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر يسال
عن موجب اعادة قوله لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة وعن تعلق
كل واحدة من الآيتين وهل كان يصلح ورود كل واحدة منهما
مكان الاخرى والجواب عن ذلك والله اعلم انه تعالى امر المؤمنين
الا يتخذوا اعداءه واعداءهم اولياء بالقاء اسباب المودة والنصيحة
لهم وسبب نزول هذه السورة قصة حاطب بن ابي بلتعة رحمه
الله في كتابه الى اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يريده فيهم ودفع ذلك الى ظعينة ونزول الوحي بذلك
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والمقداد وامرهما ان ياتيا
روضة خاخ وقال لهما ان بها ظعينة معها كتاب الى اهل مكة فذهب
علي والمقداد رضي الله عنهما فوجدا الظعينة كما اخبرهما فانكرت الكتاب
فاشتد عليها علي وقال لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب فاخرجته
من عقاصها فاتى به علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب
من حاطب فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرا حاطب من
ان يكون فعل ذلك نفاقا واعتذر بما قبله منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونزل القرآن بتصديقه في اعتذاره فقال تعالى يا ايها الذين

امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الايات فامر تعالى بالتبري منهم
وذكر كفرهم بما جاء المومنين من الحق واخراجهم الرسول والمومنين
من مكة من اجل ايمانهم وتوعد فاعل ذلك واخبر بانه قد ضل سوا
السبيل وقبل تعالى توبة حاطب وامر بالاقتدا بابراهيم عليه السلام
حين تبرا هو ومن معه من المومنين من قولهم الا ما كان من موعد
ابراهيم لابيه بالاستغفار الى ان تبين له انه عدو لله تبرا منه فقال
تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الايات فلما اوضح تعالى من
ذلك ما فيه شفا للمومنين اتبعه تعالى بالقسم المؤكد
لذلك فقال لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة ودلت اللام الموطئة
للقسم في لقد كان على تاكيد ما قدمه من الامر بالاقتدا والتاسي
بابراهيم عليه السلام ومن كان معه فقال تعالى لقد كان فيهم اي
في المذكورين اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر
ثم قال ومن يتول اي عن الاقتدا والتاسي بمن ارشد سبحانه
الى التاسي به فيما ذكر فان الله هو الغني الحميد فالاولى تنبيه
وارشاد للمومنين والثانية تاكيد وشف كل اية منها الذي به
اتصالها وتعلقها بين ولا يلايم كل واحدة منهما ولا يناسبها
غير موضعها والله اعلم سورة الجمعة قد تقدم ما فيها سورة
المنافقين قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن
المنافقين

المنافقين لا يفقهون ثم قال تعالى يقولون لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمومنين
ولكن المنافقين لا يعلمون للسايل ان يسال عن نفي الفقه
عنهم اولا ونفي العلم في الاية الثانية وهل كان يمكن وقوع ما نفي في
الاولى مكان الثانية ووقوع ما نفي في الثانية في الاولى والجواب
والله اعلم ان الاعتزاز بالدين والاطلاع على تشريف المومن به
واعتزازهم بسببه امر لا يوصل اليه الا بعلم ويتقى لا طريق
للمنافق اليه ما دام على نفاقه وانما يعلمه ويصل الى رحمة الله المومن
العالم بشرف العلم بما منح الله المومنين من الاعتزاز بدينه سبحانه
والاعتصام باتباع نبيه والتمسك بما جاء به فنفي ذلك عن المنافقين
بين لا خفا به ولا يناسب الموضع غيره واما ما رامه من قطع الوفد
والارفاق وما يرجع الى ذلك عن المومنين حتى ينفضوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفردوه فان ذلك امر لو سوا
فيه كفرهم ونفاقهم واسعوا النظر لعلموا بجري العادة ان
ارزاق العالم لا يتوقف على منع مانع منهم لمشيئته جميعهم
في هذا غير بالقدرة وان وصول ارزاق العباد اليهم امر ليس للمخلوق
كنزول المطر وارسال الرياح وذلك مما لا مطمع للمخلوق في
ارساله وامساكه فلو فقه المنافقون وتفهموا السنة الجارية
لما فاهوا بمقالتهم ولكن المنافقين لا يفقهون فنفي الفقه عنهم

هنا انسب شي فلا يلايم وقوع احد المتعقبين في موضع الاخر والله
اعلم **سورة التغابن الاية الاولى** منها قوله يسبح لله ما في السموات
وما في الارض وقال تعالى بعد يعلم ما في السموات والارض ويعلم
ما تسرون وما تعلنون **للسايل** ان يسال عن تكرر ما في اول
السورة وتركها في الاية بعد وهل كانت الفايدة تحصل بعكس ذلك
والجواب والله اعلم ان الاثنين معا قصد بهما الاستيفا والاحاطه
لكل من المسبحين وما احاط به علمه سبحانه مما ظهر وبطن
وما اشتملت عليه السموات والارض فلما اقترن ما يعطي
احاطة علمه سبحانه بحسب ما في الجملة وانه لا يعزب عنه
لم يحتج في قوله تعالى يعلم ما في السموات والارض الى اعادة ما لان
ذلك كان يكون كالتكرار الذي لا يحرز معنى واما الاية الاولى
فلم يقترن بها ما يعطي ذلك ملفوظا به مع انه قد قصدت الاحاطه
فلا يكن بد من اعادة مع استيناف احصا وتاكيدا فلا يلايم كل
من الموضعين الا ما ورد فيه **الاية الثانية** من سورة التغابن
قوله تعالى ومن يومن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سياته ويدخله
جنات تجري من تحتها الانهار **للسايل** ان يسال عن زيادة يكفر عنه
سياته في سورة التغابن ولم يرد في سورة الطلاق مع ان المقصود
واحد في الاثنين **والجواب** عنه والله اعلم انه لما تقدم في سورة
التغابن قوله تعالى مخبرا عن المكذبين زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا

يقو

يقول الله تعالى لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بلى
وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ثم قال فامنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير وبين انه تعالى لا يخفى
عليه شي من اعمال المكلفين وان المنبا به كل اعمالهم من
غير فوات شي ثم ذكر تعالى جمعهم ليوم الجمع ثم انس المومنين
بقال ومن يومن بالله ويعمل صالحا وفي قوله ويعمل صالحا اشارة
الى ان المومنين الموعودين هنا ليس من شروطهم استيفا
اعمال الطاعات اذ يحوز المنكر في قوله ويعمل صالحا ويشعر بهذا
المعنى وما لم يكن العصمة والتقصير حاصل ولا انفكاك عن
مجترحات وقد سمع المومن لتنبؤن بما عملتم فاشفق من
تقصيره وهناته وتوقع تخوف سياته وتشوف الى تعرف
تفصيل الحال في المنبا به من الاعمال ليعلم المال يجوب على
الكمال بكشفه ما به تعالى اعماله فقال ومن يومن بالله ويعمل
صالحا يكفر عنه سياته في هذه الاية ويشهد لهذا المفهوم
قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران
لسعيه الى غيرها من الايات واما اية الطلاق فلا داعي فيها
الى زيادة قوله يكفر عنه سياته بل سياقها يستدعي ان لا يكون ذلك
فيها لان قبلها فاتقوا الله يا اولي الالباب والامر بالتقوى يعم
ولا يخص ثم قال تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا الى قوله ليخرج الذين

آمنوا وعملوا الصالحات فأشار إلى الخُلَّص من المؤمنين المسمّين
أعمال الطاعات أشار إلى ذلك لفظ الصالحات بالألف واللام
ثم قال من الظلمات إلى النور أي من الظلمات كلها إلى النور
التام وهذه حال المخلصين المحسنين من المستجيبين ثم
تدارك تعالى من لم يبلغ حالها ولا من المؤمنين وألحقهم في
النجاة فقال تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار فناسب حال المقصرين من دون الأخصّاء
أن لا يقع إفصاح يشعر بعصيان ثم القوم لا أشفق بهم حلمهم
فوقع الاكتفاء بإيمان ويعمل صالحا وقوله يدخله جنات وقوله قد أحسن
الله له رزقا فجاء كل من الآيتين على ما يلائم ويناسب ولم يكن ليلائم
ورود العكس **سورة الطلاق** قوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ثم قال بعد ومن يتق الله
يجعل له من أمره يسرا ثم قال بعد ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له أجرا **للسائل** أن يسأل عن تكرر الأمر بتقواه تعالى أثناء ما
ذكره سبحانه من الطلاق والعدة وما يرجع إليهما وعن وجه
تخصيص هذا العدد والجزاء على ذلك بقوله في الأول يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وفي الثانية يجعل له من أمره يسرا
وفي الثالثة يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ويمكن أن **يجاب**
عن ذلك والله أعلم بأن الأوامر التي دارت عليها هذه السورة
ويتبين

ويتبين عليها بلاثة الأول منها الأمر بالمحافظة من إيقاع الطلاق لما
دعت إليه الضرورة في وقته لاستقبال العدة حتى لا يقع إضرار
بالمطلقة بتطويل عدتها والثاني الأمر بإحصاء العدة والمحافظة
عليها وأن لا تخرج المعتدة من بيتها حيث وقع عليها الطلاق
ولا تبيت عنه إلى ما يرجع إلى هذا والثالث إنفاذ ما يقع الاعتماد
عليه من إمساك أو مفارقة من حسن الصحبة وجميل العشرة
إن اعتمد الإمساك بالإمتاع والاعتماد والتلطف رعيا لما تقدم
من الصحبة إن عول على المفارقة فعلى هذه القضايا الثلاث بنا
هذه السورة وعلى الوعظ في ذلك والتأكيد بالتزام تقوى الله
والتزام ما حد سبحانه فيما ذكر ولرعي هذه الأوامر الثلاثة ما ورد
الإخبار بجزاء من اتقاه سبحانه في ثلاث كرات فجاء أول قضية من
أوامر السورة قوله تعالى ومن يتق الله أي في إيقاع الطلاق في
محله ووقته كما أوضح صلى الله عليه وسلم في قضية عبد الله ابن عمر
المشهورة يجعل له مخرجا بحكمه نفسه أن لحقه ندم كما قال تعالى
كدارك لعل الله يحدث بعد ذلك أي من تقلب الأحوال وصيرورة
البغض ودًّا فيجد السبيل إلى المراجعة سهلا بالتزامه الوجه الجاري
على السنة وأخذه بالطاعة فينشرح صدره فيتيسر أمره ويكثر
رزقه بتقوى الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب وهكذا من اتقى الله في صبره أيام العدة على ما يلزمه من نفقة

ويسكنّ حيث يلزم ذلك وان طالت الايام فكان طول هذا مع ما
يتكلفه فيها مظنة للتشحح وكرب النفس واذا اتقى الله في ذلك
يسر عليه تلك المشقة وقرب عليه امرها وان تعرف المشقة وانسه
في وحشتها وجعل له من امره يسرا واذا اتقى الله عند تمامها والاسرا
عند انفصالها واخذ بالسنة واتقى الله فيما اختاره تعالى له وبعضيه
من امساك او فراق ويلزم المعروف ان امسك وتنحى كل سيئة
حرب حال طلاقه وغضبه من قبيح كلام وقصد مضرة وان كان ادنى
ايام او اساءه معامله ينافي المجامله والمكارمه بحسنة يقابلها وجرها
من اظهار التندم وطلاقة البشر والاغضاء عن كل ما جرى ايام المجاوره
ويتبدل المناقشه بالمياسره فاذا فعل هذا واتقى الله تعالى في ذلك
كفر عنه سيئاته واعظم اجره جزاء وفاقا لاعماله في ثلاثة احوال مورد
ما ذكر كل مرتكب في تلك الاحوال بما يناسب جزاء على ذلك الاعمال ويشهد
لما مهد من جزاء تقوى الله سبحانه في تلك الحالات ما افصح به ما
بعد من الايات قال الله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من
وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل
فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن الى قوله سبحانه سيجعل
الله بعد عسر يسرا وبالجملة هذه الاوامر والوصايا الجليلة
ما تشير اليه من الاسعاف وحمل التحمل والانفاق مع ما تقدم تجده
جاريا على اوضح المناسب واجل الالتئام والله اعلم بما اراد **سورة**
التحريم

التحريم قد تقدم ما فيها **سورة الملك** قوله تعالى ءامنتم من في
السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان
يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير **للسائل** ان يسال
عن وجه تقديم الوعيد بخسف الارض على الوعيد بارسال
الحاصب من السماء ولم انجبر تقديم الوعيد بالخسف وما الفرق
بين الوارد هنا والوارد في قوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم **والجواب** والله اعلم انه لما
تقدم هنا اتصاله الموعظة من قوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
فامشوا في مناكبها تحصل في النفوس عند ذلك ويتقرر بذكره هذه
النعمة وجليل الامتنان بها شاهدا حاضرا للمتذكر وعلمها قراره
خلاف بذكره وسعمه بالتقلب فيها حين خطابه متصلا غير منفصل
وملتصقا غير متباعد كان انسب شيء لهذا في الموعظة تذكره انقلابها
فيجمعها من تحته حتى كان ذلك الامر جاءه لا من خارج عنه اما اية
الانعام فتقدمها قوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
فصرف هذا الخطاب تفكر النفس في غير الجهة التي ذكر منها القهر
فكان انسب شيء ذكر التخويف من تلك الجهة بخلاف اية الملك فكل
اية من هاتين الايتين تبين حال الاخرى وان المناسب انما
هو فيما وردت عليه كل اية منهما وان العكس غير مناسب والله
اعلم **سورة ن والقلم** قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز

مشا بنميم الى قوله تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه
على الخرطوم وقال في سورة المطففين الذين يكذبون بيوم الدين
وما يكذب به الا كل معتد اثيم الى قوله اساطير الاولين كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون **للسايل** ان يسال عن التعقيب
في الاولى بقوله سنسمه على الخرطوم وفي الثانية بقوله كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون مع اتحاد وصف من اعقب بهذا
المعقب حاله وحكي مقاله وهل كان يجوز تعقيب اية سورة القلم
بما اعقب به اية المطففين او اية المطففين بما اعقبت به اية القلم
والجواب عن ذلك والله اعلم ان اية القلم نزلت في شخص بعينه
قيل هو الاخنس بن شريق وقيل الوليد بن المغيرة وكان مظهرا
لعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القايل سانزل مثل ما
انزل الله وكان من اكثر قريش مالا وولدا فلهذا قيل ان كان ذا مال
وبنين وهو القايل يوم مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم اصبح
محمد ابتر اي لا ولد له فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ان
شانيك هو الابتر والثاني المعتدي واسلم ولده فقطعهم بالاسلام
عنه وكان هو الابتر كما اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وصار
اولاده في عداد المسلمين الذين هم اولاد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وازواجه امهاتهم فغي هذا انزلت الايات من قوله ولا تطع
كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم الى اخرها فاعقب
صفاته

الشانئ

صفاته المذمومة في تعيين اسمه بقوله سنسمه على الخرطوم
اخبارا منه تعالى باول عقاب ينزل بعدو الله المذكور والخرطوم
الانف فكان ذلك يوم بدر فهذا وعيد خاص معين نزل به
معجله ولعذاب الاخرة اكبر واما اية المطففين فليست في
معينين بعد من تكلما بهم قال تعالى وما يكذب به اي بيوم الدين
وهو يوم الجزاء الا كل معتد اثيم مكذب بالوحي اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين فقال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون اي ان المانع لهم عن فهم الوحي والعلم بانه منزل
من عند الله ما غطى قلوبهم وغشاها من الرين وهو ما يغشى
القلب ويمنعه من الوصول الى ما ينفعه واعاد الضمير في قلوبهم
على المعنى من حيث ان المراد هنا جميع من وقع عليهم كل وان اية
القلم كان كلامها واقعا على مفرد وعين بكل المقصود بذلك المراد
ثم من كان على صفته ابلاغا في ذمه والضمير في سنسمه لمفرد كما
تقدم ولفظ كل تطابق لمعناه وقد تبين انه لا يصح في موضع من السورتين
الا ما وقع به المعقب ولا تناسب اية القلم ما اعقبت به اية سورة
المطففين ولا اية المطففين ما اعقبت اية القلم وان كلا منهما
اعقبت بما هو مناسب لا يلائم غيره والله اعلم **سورة الحاقة**
قوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا
ما تذكرون **للسايل** ان يسال عن الموجب في نفي الايمان عنهم عقب

تنزيه ما جاء به صلى الله عليه وسلم من القران عن ان يكون شعرا
ونفى التذكر عقب تنزيهه عن ان يكون من قبيل قول الكهان
والجواب عن ذلك والله اعلم ان نفى كون القران من اقوال الكهنة
امر لا يحتاج الى كبير نظر ولا استعمال طول فكر بل يتوصل الى ذلك
بادنى التفات فناسب هذا نفى التذكر واما تنزيهه بالحاقه
بقبيل الشعر وما يرجع الى نحو ذلك من اقوال الخطباء واسجاعهم
وقد سوهم الجاحد الظلوم المتعامي عن النظر وصرف التفكر
الى نظره والاصغا الى سماعه المرامي الى التعلق بادنى شبهه يسوغ
اليها رجوعه الى ذلك فناسب هذا نفى التصديق لانه انما يكون ممن
يركن الى نظر يحاكم على ما يناسب والله اعلم **سورة نوح عليه
السلام** قد تقدم فى سورة المعارج قوله فى سورة نوح ولا تزد
الظالمين الا ضلالا وبعد ولا تزد الظالمين الا تبارا **للسائل**
ان يسال عن وجه اختلاف ما دعا به نوح عليه السلام على قومه
فى الموضعين **والجواب** عن ذلك ان نوحا عليه السلام لما ذكر
اولا فى اخبار الله تعالى عنه عصيان قومه وقولهم لا تذرن
الهتكم اى لا تتركونها ولا تذرن ودا ولا سواعا الى قوله وقد اضلوا
كثيرا اردف هذا بما يناسب من الدعا فى زيادة ضلالهم ولم يدع هنا
بهلاكهم واما الاية الثانية فقد تقدمها دعاؤه عليه السلام بهلاكهم
واخذهم فى قوله ولا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاتبع ذلك بما
يناسبه

يناسبه فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا **سورة
الجن** قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا **للسائل**
ان يسال عن قوله تعالى على غيبه باعادة الظاهر مضافا الى
المضمر هل ذلك من قبيل ما تكرره العرب لتفخيم الامر وتعظيمه
ثم قال فما لهم . لا ارى الموت يسبق الموت شيء . نغص الموت
ذا الغنى والفقيرا . وقال تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما
الحاقة وقال تعالى القارعة ما القارعة فيكون قوله غيبه واقعا
موقع علمه ويكون الاية على هذا مثل قوله قل لا يعلم من فى السموات
والارض الغيب الا الله وما ورد من مثله فلا يكون بين الاى
الواردة فى هذا المعنى خلاف ويكون محل جميعها على العموم ام
المراد بهذه خصوص لم يرد بسواها من الاى الاخر وان كان داخلا
تحت عموم تلك الاى **والجواب** والله اعلم ان هذه الاية مراد بها
خصوص ما انفرد سبحانه بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه
ولا يظهر سبحانه عليه الا من ارتضاه من رسله مع سلوك
الرصد من الملائكة من بين يديه ومن خلفه حفظا للغيب تعالى من
مسترق سمع او مستطلع فهذا غيب لا سبيل لاحد من الخلق
اليه على بعض الايمة لا بتكهن ولا بتنجيم ولا زجر ولا غير ذلك وهو
كوقوع الساعة وتجليها لوقتها الى غيرها من غيوب استاثر
سبحانه بها ولم يجعل لاحد لشيء منها ماسه فيتشوف مخلوق الى تعرف

وقت شي منها او كيفيته او هيئته او غايته اذ لو لا الاخبار
الصدق بانه الساعة لما وقع من احد من العالم تشوف الى تعرف
قيامها ولكنا نعلم ما الساعة واذا لم نعلم ماهية الساعة بعينها
لم نتشوف الى تعرف ما هو تابع للماهية ولهذا ضاق عنها نطاق
التمثيل حتى اوهم كلام بعض الجلة ان المراد بهذا الغيب الذي
استاثر سبحانه بعلمه انما هو غيب الساعة وان ما سواها
يمكن الوصول اليه بالكهانة والتنجيم والالهام ونحو ذلكم ولعل
ان هذا القائل اراد ظاهر ما سبق من كلامه لما سلم له لانه لولا
تسمع باسم الساعة لعجزنا عن تعرف موجود معلوم الله وقع تسمى
بهذا الاسم فالذي يجب ان نفهم عن هذا القائل انه يريد ان لله سبحانه
غيوبا لا تحصى لا يظهر عليها احدا من خلقه على مقتضى هذه الاية
الخاصة بهذا المجردة له ومن نحو هذا ما تشير اليه قوله تعالى ولا يحيطون
بشي من علمه الا بما شا واذا اظهر تعالى شيا من هذا الغيب فانما
يدركه الخلق او من شا الله منهم بعد ظهوره وكيانه فيعلم اذ ذاك
قد كان هذا الظاهر في غيبه الذي انفرد به عن خلقه ولو لم نعلم
احد من الخلق لها ماهية الا بعد ظهوره وما غاب عن الخلق
اكثر من هذا والله اعلم هو المراد بهذا الغيب المذكور هنا وعليه
يحمل ما تقدم عن من ذكر وان اوهم من حيث حصر التمثيل انه غيب
الساعة خاصة وهو لا ولا بد لم يرد ذلك وانما اراد جنس الساعة

وما

وما كان مثله مما لم يذكر له ماهية فلم يكن المسؤل لما تقدم لا انما
اعلمنا ماهيته فصح السوال عنه وهو امر الساعة فهذا والله
اعلم ما يمكن ان يقال الان الذي تحررت له اية سورة الجن واما الوارد
في قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
وما ورد من مثله فليس بخاص بل هو على اطلاقه وعمومه ومصرف
المنع الى الاحاطة والاستيفا والتعين وحصر جزئيات المعلومات
ولا يعلم ذلك علم استيفا واحاطة الا الله سبحانه فهو الذي احاط
بكل شي علما واحصى كل شي عددا ثم لا يمنع اظهاره سبحانه من
شاء من خلقه من غير الرسل على ما شا مما اشير اليه ولا يحجز اما
اطلعهم عليه مما عنده سبحانه ويدخل تحت العموم العلم الذي
استاثر سبحانه بعلمه وانفرد به دون خلقه الا ان حكم ذلك على
ما تقدم ويقرر ومن نحو العموم الواقع هنا قوله ولله ملك السموات
والارض فهذا كقوله ولله غيب السموات والارض له سبحانه
لا شريك له في ذلك ثم قد قال تعالى قل اللهم مالك الملك توتي الملك
من تشا وتنزع الملك ممن تشا واعلمنا سبحانه ان نبيه عليه السلام
طلب ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واتاه تعالى ذلك واذا ولي عليه
السلام هذه حالة وكيف ما اوتيه غيره مما لا يبلغ معشار ما اوتيه
سليمان عليه السلام وكذا الامر في الغيب فلا يعلم غيب السموات
والارض على ما هو علم احاطة وتفصيل الا هو سبحانه ثم يطلع من

شاء من خلقه على ما شاء من ذلك ولا سيما ما يطلع عليه الرسل من
نبي وما سواه مما لم يطلعهم عليه ثم ان ما عند ما سوى الانبياء
والمصطفين من العباد لا نعلم انهم يتيقنوا ذلك واذا لم يكن
علمهم علم يقين وتحقيق فاطلاق اسم العلم عليه مجاز بل هو ظن
وان قوي واذا لم تصحبه اليقين ولا الاستيفاء والاحاطة بالجزئيات
فالمتصف به ليس بعالم غيب على الحقيقة وهذه الصفة القاصرة
هو العلم الموجود عند الكفار وغيرهم ممن لم يستمد من الوحي
ولا سلمه الشريعة فنفي الاتصاف بعلم الغيب عمن عري عن
اليقين او من لم يحط علمه بجزئيات ما يعلمه او لم يستوفه من جهة
واوضح الاطلاق بانه ليس عالما بالغيب اطلاق صحيح ثم ان القول
بانه مخبر بغيب وبعض تفاصيل عن مغيبات غير معارض و لا
مناقض فلا يلزم على ذلك اعتراض بعلم شق وسطيح وما اخبرا به
لانهما وان اخبرا بعجائب وتفاصيل فقد فاتهما غير ذلك من
جزئيات في معلومهما الذي اخبرا به ولم يخبرا بهما ولا احاط بعلمهما
ولا غيرهما من الكهان والمنجمين فقد وضح مجملات العموم واما
اية سورة الجن فحملها على الخصوص كما تقدم ومما يزيد ذلك وضوحا
ويعضد ما قدمنا من المفهوم في الضرب ان الله سبحانه لما ذكر المغيبات
الخمس قال تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما في الارحام الى اخرها افرد علم الساعة بقوله ان الله عنده علم الساعة

وعبارة

وعبارة عنده تقتضي توقيعها خصوصا وقربا وتمكنا ولذا اورد
تعالى هذا الاخبار حيث تكرر فقال تعالى يسالونك عن الساعة
ايان مرساها قل انما علمها عند ربي وقال تعالى بعد قل انما علمها
عند الله وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل انما العلم عند الله تجري هذه الاخبار مقيدا بعبارة عند حيث
تكررت ولم يشترك معها في اية لقمان ما لا ذكر بعدها في الدخول
تحت حكم عند وما تقتضيه من الخصوص بل قال تعالى وينزل الغيث
ويعلم ما في الارحام الى ما بعد فيفصل هذه الاخبار والتفصيل في
نظم الاية يفهم منع التساوي ولا شك ان عدم اعتبار الجزئيات
في تركيب الالفاظ يؤدي الى عدم فهم ما انتظم منها **فان قيل**
انما ورد بعد ذكر الساعة من قوله تعالى وينزل الغيث الى ما بعد
مفصولا من حكم عند ليفهم التكرار اذ المعلوم ان تكرر نزول الغيث
فيما كانت الحاجة اليه هو عين الانعام والاحسان الى العباد
فلهذا ورد بلفظ ما يقتضي التكرار وهو لفظ المستقبل من الفعل
فاحرز بذلك هذا الانعام العظيم والتذكير به فهو كالوارد في قوله تعالى
انا سخرنا الجبال معه يسبحن وقال تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات ويقبضن وهذا كثير فلاحرازه ورد تفصيل الاخبار **قلت**
قصد هذا المعنى من الامكان فاحراز عند ما تقتضيه من معناها
كذلك ولا يعارض من تلك القصدين والاحراز يقتضي حصول المعنيين

يجي بما يجوز همّا باوجز لفظ وابلغ عبارة والله اعلم **فان قلت** فباب
التعبير بعنده وورد في ذكر ما ورد من الضرب العام من الغيب
قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهي استعارة
عبر بها عن التوصل للغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفاتح الى المغيب
عن الانسان مما لا يصل مما ليست عنده مفاتحه وقد دخل ذلك
تحت حكم عنده ومقتضاها من الاختصاص مع ان الايه لم ترد بها
خصوص علم الساعة على ما تقدم **فالجواب** ان هذا مما يزيد ما تقدم
وضوحا اذ قد تقدم قبل ان الوارد من ذكر الغيب في كتاب الله العزيز
ضربان احدهما خاص وهو المراد في سورة الجن وان لا مطمع لاحد
من الخلق في الوصول الى شي منه على ما مر في ذكر الايه والثاني عام
على ما تقدم والوصول الى علمه علم استيفا وحصر واحاطة بجزئياته
مقدورا وغاية وسبقنا لذلك كله جملة وتفصيلا ممنوع فهو لاحق
من هذه الجهة بخصوص الضرب الاول فلا يحيط بعلمه على ما يبين
الا الله سبحانه يحق لهذا اذا اريد به ما ذكرناه الدخول تحت حكم عنده وهو
المراد بهذه الايه الا ترى انها مفصحة بذلك في قوله تعالى ويعلم ما في
البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فقد وقفت هذه الايه
على تفاصيل المغيبات وحصرها والاحاطة بها بجزئياتها ولا يعلمها
على ذلك الا الله سبحانه ولو تتبع هذا الكلام من تعرض لبسط المراد
من

من آية سورة الجن فان قلت وقع في التفسير المنسوب لفخر
الدين ابي الفضل ابن الخطيب رحمه الله بعد تقرير مفهوم اية
سورة الجن وان المراد بها ما قدم من التخصيص فقال في رده
على الزمخشري ومن قال بقوله في انكار كرامات الاولياء واستجازة
مع ذلك انكار التكهين والتنجيم وما يرجع الى هذا ودعواه
ان هذا نص القران يتعلقا بهذه الاية انه لا يطلع احد شي من
المغيبات الا الرسل يدل لما ثبت بالاخبار القريبة من التواتر
ان شقا وسطيحا كانا كاهنين واخبارهما بظهور نبينا صلى الله عليه
وسلم وبعث زمانه وشهرتهما بهذا العلم حتى رجع اليهما كسرى
في تعرف اخبار نبينا صلى الله عليه وسلم فثبت انه تعالى قد يطلع على
ما يشا من الغيب ودليل ثان وهو ان جميع ارباب الملل والاديان
مطبقون على صحة التعبير وان المعبر يخبر عن وقوع الاشيا
الاتية في المستقبل فيقع كما اخبر ودليل ثالث وهو ان الكاهنة
البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد الى
خراسان سالها عن الاحوال الاتية في المستقبل فذكرت ما وقع
على وفق اخبارها **قال** ابو الفضل ابن الخطيب رحمه الله وانا قد رايت
محققين في علوم الكلام والحكمة حكوا عنها انها اخبرت عن الاشيا
الغائبة اخبارا على سبيل التفصيل وجات تلك الوقائع على وفق خبرها
قال وبلغ ابو البركات في كتاب المعتبر في شرح حالها وقال تفحصت

عن حالها مدة من ثلاث سنة حتى تحققت انها كانت تخبر المغيبات
اخبارا مطابقا ودليل رابع انا نشاهد اصحاب الالهامات الصادقة
وليس هذا مختصا بالاوليا بل قد يوجد في السحرة من قد يكون كذلك
ونرى الاخبار النجومية قد تكون مطابقة موافقة للامور وان
كانوا قد يكذبون في كثير منها واذا كان ذلك مشاهدا محسوسا
فالقول بان القران بما يدل على خلافه مما يجر الى الطعن في القران
وذلك باطل فعلمنا ان الاولى الصحيح ما ذكرناه والله اعلم ثم نشير الى ما
تقدم من كلامه هذا وهو ان قوله على غيبه ليس فيه عموم فيكفي
في مقتضاه ان لا يطلع سبحانه ولا يظهر خلقه على غيب واحد
من غيوبه فنحمل على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من
الاية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الاية دلالة
على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ويؤكد هذا التاويل انه
تعالى انما ذكر هذه الاية عقب قوله قل ان ادري اقريب ما توعدون
ام يجعل له ربي امدا يعني وقوع القيامة فانه من الغيب الذي لا
يظهره الله لاحد بالجملة فقوله على غيبه لفظ مفرد مضاف فيكفي
في العمل به ارادة غيب واحد واما العموم فليس في الاية لفظ يدل
عليه انتهى معنى كلام ابي الفضل رحمه الله وقد حصل مضمنه فيما
تقدم باوفى مما اردناه من كلامه فان قلت قد تبين ما بين الضربين
من العموم والخصوص واتضحت الحال فيهما فما وجه انتظام ما
ورد

ورد في اية لقمان مع ذكر الساعة وظاهر ما تقدم من التاويل
حاكم بالفرق وان امر الساعة يخالف خصوصه ما ذكر معها من
الاربع والحديث الصحيح قد ورد على مقتضى ظاهر الاية حين ذكر
صلى الله عليه وسلم الساعة مجيبا للسائل واتبع بقوله خمس لا
يعلمهن الا الله وتلا الاية وذلك ملحق لهذه الاربع بحكم الساعة
في خصوص غيبها فاقول واسال الله توفيقه ان الحديث
الصحيح مشير الى التفصيل في هذه الغيوب وانها في استغلاقها
والاطلاع على ما شا تعالى ان يطلع عليه منها ليست على منهج
واحد الا ترى انها يعظم موقعها في العالم ولا يخص لتقلب
الدهور والدول وتغير الحالات التي تعم وما يرجع الى هذا وهذه
هي المرادة بحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي خرجه الترمذي
قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من اصحابه
اذ رمي بنجم فاستنار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم
تقولون لمثل هذا في الجاهلية اذا رايتموه قالوا كنا نقول يموت
عظيم او يولد عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يرمى
به لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه وتعالى اذا قضى
امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السما الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى هذه السما ثم يسال اهل السما السادسة
اهل السما السابعة ماذا قال ربكم قال فيخبرونهم ثم يستخبر اهل كل سما

حتى يبلغ الخبر اهل السما الدنيا وتخطف الشياطين السمع
ويرمون يعني بالشهب فيقذفونه الى اوليائهم فما جاءوا به على
وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون وحديث ابي هريرة
رضي الله عنه الذي خرجه البخاري وهو ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا قضى الله في السما ضربت الملائكة باجنحتها
خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق
السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصفه
سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها
الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان
الساحر او الكاهن فربما ادرك الشهاب قبل ان يلقيها وربما
القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال
لنا يوم كذا وكذا كذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما
قلت فهذان الحديثان وما ورد من مثلهما معرفة بعض ما
تروج لها السموات وتستطلع لها ملايكة السبع تحملها
ويخطفها الشياطين مترصدين لتلقفها ولا تختص بما يختص
من الملايكة من غيرهم اما ما يتكرر في عالم الكون والفساد من
توالي ايجاد الاجساد وتكرر نزول الامطار وشبه ذلك فلا يستطلعها
من الملايكة الا احاد وكلوا وان تكاثروا عددا وانفسي ذلك كالمعلوم

في

في الحديثين لعظيم عمومه من ذلك حديث ابن مسعود يجمع
خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك
ثم يكون مضغة الى قوله في الحديث اذكر ام انثى اشقي ام سعيد
الحديث كما اشار اليه حديث
وقوله فيه اسبق حديقة فلان الى ما يرجع الى هذا الفصل ولا توقف
في ان اربعة الغيوب المذكورة مع الساعة في سورة لقمان
راجعة الى قبيل ما ذكرناه وذلك كله ليس من جنس المقدورات
العامة بل هي بالنسبة الى تلك جزئيات يعلمها من وكل بها من الملائكة
ولا يستعجمها اهل السموات ولا ترصدها الشياطين ترصد
تلك القضايا العامة وصحيح الحديث قاض بالفرق البين فاشارت
الايات الاربع والاحاديث المشار اليها الى ان هذا الضرب من
المغيبات كانها ابلغ في حالها الغيبي وما ذكر معها من امر الساعة
والساعة خصوص ما انقضيه عنده كما تقدم فهذا والله اعلم
وجه انتظام هذه الغيوب الاربعة مع ذكر الساعة ويحصل
بهذا الاعتبار تفصيل الغيوب الى عام وخاص من ذلك الخاص
وهذا الخاص الاخير لا يعلمه مطلقا الا المنفرد بعلمه سبحانه
ثم لا يحيط بالضربين قبله على ما اشير اليه من تفصيل احكامها
على الاستيفا والحصر الا هو سبحانه وانه تعالى المنفرد بكل الغيوب
لا يعلمها احد على ما هي عنده كما وضح قبل وتبين ولم يبق للطاعن

مدخل لوجه ولا على حال واما التخصيص انه سورة الجن بما ورد
فيها فوجه ذلك والله اعلم انه لما تقدم من قول الجن في اخبار الله تعالى
عنهم بقوله تعالى وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا
وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد
له شهابا رصدا فلما تقدم هذا من قولهم واخبارهم عما كانت الحاله
الحاله عليه قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان في ذلك
من قولهم واطلاعهم على الغيوب او الكثير منها اعلم تعالى ان من
الغيب ما ليس لهم ولا لغيرهم مطمع في الاطلاع فيه وانهم في
ترصدهم ومقاعدهم للسمع ممنوعون هم ومن سواهم عما انفرد
سبحانه بعلمه وحكم لا يطلع عليه احد من خلقه فهذا وجه ورود
هذه الايه هنا وهنا انتهى ما الهم الله اليه في هذه الاية مما تعرض
له الامام ابو الفضل رحمه الله تعالى وبسطناه بما يرفع ما يوهمه
موجز كلامه في التمثيل للغيب المخصوص فبسطته بما ارجوا
به مراده ودافع لما يعترض عليه فيه حسن اجمل واغفاله لوجه
تخصيص الغيوب الاربعه بذكرها مع غيب الساعه في سورة
لقمان ووجه اختصاص انه سورة الجن بالوارد فيها واسبب
في ذلك بما الهم الله سبحانه اليه وارجوا انه شاف ان شا الله تعالى
وان تحمل غفله وسهوا فاسال الله تعالى عفوه في ذلك وعذري
اني لم اجد في ذلك من تعرض لشي من هذا الا ما قدمت ذكره مع اشكال
الامر

الامر في ذلك والله سبحانه اعلم بما اراد **سورة المزمل والمدثر**
قوله تعالى في اولها يا ايها المزمل قم الليل الى ما بعده وقال في سورة
المدثر تلوها يا ايها المدثر قم فانذر الى ما بعد **فللسائل** ان يسال
عما ورد في هاتين السورتين من تسميته صلى الله عليه وسلم
في الاولى بالمزمل وفي الثانية بالمدثر وامره في الاولى بقيام الليل
وما اعقب به في ذلك وفي الثانية بانذار الخلق ودعائهم الى الله
ما وجه هذا التخصيص في السورتين بما ذكرنا من التسمية
والامر وتمهيد **الجواب** عن ذلك والله اعلم ان الله سبحانه امرنا
في كتابه العزيز بتعزيز نبينا صلى الله عليه وسلم وتوقيره ونهانا
ان نجري في خطابه على حد تخاطبنا فقال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا وجرى المسلمون بتوفيق الله على
ذلك في دعائهم اياه يا رسول الله يا نبي الله غير رافعي اصواتهم
في ندائه ودعائه على مقتضى امره سبحانه بذلك ثم ان العرب
قد علم من حالهم ان السيد اذا خاطب عبده متلطفا به ومشيرا
الى مكانته لديه او قصد تانيسه خاطبه باسم يشتقه من حال او
صفة يكون العبد عليها ويعدل عن معروف اسميته ليريه
مكانته ويظهر كريم تحفيه به وعظيم تلطفه كقول نبينا صلى الله عليه
وسلم لعلي رضي الله عنه في قصيته المعلومة وقد وجده نايما وقد
اثر التراب في جنبه قم ابا تراب فعلى ذلك جرى الوارد في ندا نبينا صلى

الله عليه وسلم في هاتين السورتين فنودي بالمزمل والمدثر
وخصت هاتان السورتان بهما لبنائهما على ما خوطب به صلى
الله عليه وسلم فاما تعقيب كل من الاسمين في السورتين بما
اعقب به فعلى مقتضى كل واحدة من السورتين وما بنيتا عليه
اما الاولى فبناؤها على اوامر من جليل اعمال الطاعات مما يزلف عند
الله سبحانه من قيام الليل وترتيل القران والتجلد والتحمل لتلقي
اوامر الكتاب ونواهيه المفهوم من قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا والامر بذكر اسمه تعالى تضرعا وسؤالا والتبتل اليه سبحانه
والاعتماد عليه تعالى وكيلا والصبر على قول الطاعنين من الكفار والامر
بتحمل تجرؤهم فهذه اوامر ثمانية بين صريح ومكني واما سورة المدثر
فتضمنها من الاوامر دون ما في السورة قبلها عددا وليس اكثرها
من نمط تلك الاوامر وهو مع ذلك اوامر اولية والاكثر منها بسبب
من تلك الاوامر العلية من سورة المزمل وهي من مادة [?] ومعالي
الترتيب الثابت من قوله تعالى في سورة الجن عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ليعلم نبينا صلى الله عليه
وسلم انه امام المرتضين من اولئك المصطفين بما خص به صلى الله
عليه وسلم من الاوامر بقيام الليل والترتيل وتحمل الملقى الامتثال
لما القي عليه اعتناء وتخصيصا محفوظا فيه ميسرا ما عليه من الهوان
الثقل كما ناسب بين امره صلى الله عليه وسلم بالاعلام والانذار والتانيس

فمن

فيمن افرط تمردا وعنادا من عتاة الكفار حين قال النبي صلى
الله عليه وسلم تهديدا للعدو [?] واعلاما بما تعقبه كفره ذرني ومن
خلقت وحيدا الى قوله سارهقه صعودا وقوله سأصليه سقر
فحصل من المجموع بمقدم الانذار والاعلام بعاقبة المعاندين
من الكفار ما حصل من قوله تعالى في سورة الغاشية تعريفا
له صلى الله عليه وسلم انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر واعظم [?]
اول الكلام العلي واخره اجل انتظام وورد كل على ما يجب ولا يلائم
غيره والله سبحانه اعلم بما اراد **الاية الثانية من سورة
المدثر** قوله تعالى انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر
للسائل ان يسال عن تكرر قوله قدر ثلاث مرات في كلام متصل
متقارب **والجواب** والله اعلم ان قوله فكر وقدر اخبار عن حال
الوليد المنزل فيه هذا حين قال لقريش ان الناس يردون
الموسم فليكن قولكم في محمد واحدا وفكر في اقرب ما يمكن
ان تستمال به العرب وتصدق قريشا وراى الوليد انهم مكذبون
فقال انظروا ان قالوا شاعر او مجنون او كاهن او ساحر ووافقته
قريش لوضوح ذلك من امره صلى الله عليه وسلم مع تصميمهم
على عناده وبهذا انبأه الله تعالى في قوله فانهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون وروي ان الوليد قال لبني مخزوم
والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن

ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه يعلو ولا يعلى عليه ولما تكلم قريش في شانه صلى الله عليه وسلم
فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون
انه كاهن فهل رايتموه قط تكهن وتقولون انه شاعر فهل
رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه
شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قال هذا من كلام الوليد
ورد الوارد مما جاء طريقه ما سمعت العرب من مثله من قوله انه
فكر وقدر فقتل كيف قدر كما تقول العرب قاتله الله ما اشعره
ولا يريدون دعاء على من يقولون له ذلك وانما يقولونه تعجبا
وانما نزل القران بلسانهم فقوله فقتل كيف قدر تعجيب مما ممن
يصح منه التعجب والله سبحانه متعال عن ذلك وكان تقديره
هذا مما تتعجبون منه وتقولون هذا الكلام فقوله تعالى انه فكر
وقدر اخبار عن حال الوليد وتفكره فيما يقوله وتقديره ما يرد
عليه ان قال بانه صلى الله عليه وسلم ساحر او مجنون او غير ذلك
مما رموه به وانهم مكذبون في كل ما يرمونه به من ذلك
لبيان حاله صلى الله عليه وسلم وقوله فقتل كيف قدر تعجب من اصابته
في نفي الجنون والتكهن والشعر عنه صلى الله عليه وسلم وقوله
لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن
تقديره في هذا الوليد انه الامر فالاول اخبار اعني قوله انه فكر وقدر
والثاني

في الثاني تعجب من اصابته بتقديره بعد التفكر وهو قوله فقتل كيف
والثالث هو قوله ثم قتل كيف قدر تاكيد للتعجب من حاله في تحويمه
لولا سابقة شقاوته لقاده صعودا والسابعة هي التي حملته على ادباره
واستكباره فقال ان هذا الا سحر يؤثر فنكص على عقبه لما
سبق له بعد مقاربته وتحويمه ودنا مما تقدم من مقاربته وتحويمه
في تنزيهه النبي صلى الله عليه وسلم عما رموه به ورد التعجب
وفي طي الكلام شديد توعده على كفره بعد ان تبين الامر فظ
على علمه مثل هذا التكرار واستعظاما للواقع موجود في فصيح
كلامهم ومنه قول الشاعر الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي وجا
بثم لتحرز رتبة استعنا بهذا المعطوف بها وانه اكد من الاول
يوضح وجه ورود ما يتوهم تكرارا واستدعا مقصود الكلام اياه
والله سبحانه اعلم **الاية الثالثة** من سورة المدثر قوله تعالى
كلا بل لا يخافون الاخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا
ان يشاء الله وقال في سورة الانسان ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا وما تشاءون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما
حكيما **للسائل** ان يسال عن ما بين الايتين من الاختلاف وورود
الضمير في قوله انه في الاول مذكرا وتانيثه في الثانية **والجواب**
ان هذا مما لا اشكال فيه لان المذكر به عظة او موعظة وهو ايضا
وعظ وتنبيه من تذكير او تانيث وهذا كثير ومنه قول بعض العرب

ولان جاذبه كتاب فمن قراها فسال عن التابعين في قوله جاذبته وفي
قراءه من قرها عمال المسبب بصحفه والسبب الى فمن جاءه موعظة
من ربه فانتهى واما فواصل الايتين ومقاطعها فوقع فيها موافقه
ما اتصل بها للتناسب مع اتحاد المعنى الا ترى بنا ما في اية الانسان
على ما في اية المدثر لو قيل في الكلام انه تذكره فمن شا ذكره فاتخذ الى
ربه سبيلا فذكر ما ذكر به ثم اقتضت الفواصل المناسبة ولما
اكتنفت اية المدثر فواصل تكون في الوصف هاهنا بين لذلك قوله تعالى
كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة الى قوله هو اهل التقوى
واهل المغفرة ناسبها قوله فمن شا ذكره واما سورة الانسان
فما قبلها وما بعدها من الفواصل مستدع ايضا ورودها على ما
وردت فقيل فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا على ما تقدم في قوله تعالى
انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا وما بعد ولم يكن ليناسب هنا
ما ورد في سورة المدثر من قوله فمن شا ذكره كما لا يناسب قوله فمن
شا اتخذ الى ربه سبيلا ما ورد في سورة المدثر فكل هذا لا اشكال فيه
لرعي المناسبة وحصولها في كل من السورتين اتم وجه والله اعلم

سورة القيامة قوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع
الشمس والقمر يسال عن اعادة القمر في الفاصلتين والجوا[ب]
عنه ان ذلك لبيان اهوال القيامة وتعظيمها والعرب تستعمل
مثل هذا لما تقصد به التهويل والتعظيم ومنه : لا ارى الموت
يسبق

يسبق الموت شي : نغص الموت ذا الغنى والفقيرا : فكرر الموت
ثلاث مرات تعظيما للامر كما قال تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه
معرضون وقد اجتمع في اية القيامة قصد التعظيم ورعي
الاسجاع فتاكد الحامل على التكرير واذا تكرر احد الشرطين المراد
اجتماعهما اغنى عن تكرر الاخر وطلبت الفواصل فيهما ما يناسب
فجا على اتم وجه في البلاغة والله اعلم الاية الثانية منها قوله تعالى
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى يسال عن اعادة اللفظ وفائدة
ذلك ولم خص ذلك استدعا استحقاق اللفظ ومعناه والجواب
عن ذلك والله اعلم انه لما تقدم وصف المجرم المكذب بقوله فلا صدق
ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر في مشيته
ويتبختر غضبا للتكذيب واغتباطا بكفره على مظنة التعريف
بسوء عاقبته واستحقاقه العذاب فقيل اولى لك فاولى فعدل
بالكلام عن اخبار الغيبة الى الخطاب تحكما لاستحقاقه وتبكيتا
[illegible] على فعله وهو كلام تعالى لمستوجب الامتحان جار مجرى الدعا
وقد جعله بعضهم مقلوبا من قوله ويل اخرت اليا وقدمت اللام
فتحركت اليا وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا فقيل اولى والاصل اويل
فهو على هذا من الدعا بالويل وكان قد قيل للمخاطب به اعظم
الويل واشده له وليس بالمعنى الجاري من الدعا وكان قد قيل في
هذه الاية الويل له فاكد بتكرير اللفظ اشعارا بالاهلية والاستحقاق

كما قالوا ويلا له وبلا كيلا وعطف بثم المقتضية رتبة في المعطوف
بواو ضربت لهم واعتنا لتكون الدعا عليهم بالمرة في بيته الكلام الملغ من
الاول وذلك من معنى ثم هنا قائم مقام مهلة الزمان لصلح عندها
معنى الغاية فيما قصد منه وبين المعنى المفهوم من هنا من لفظه
اولى قوله تعالى في سورة القتال ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة
فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم
مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فلما ذكر
سبحانه من حال المنافقين عند نزول سورة محكمة واضحة
المقاصد ما ذكر مما يشهد بقبح ضمائرهم وسوء سرائرهم اعقبها
بالدعا عليهم فقال فاولى لهم كانه قال فاشد الويل لهم ثم البيته
صلى الله عليه وسلم طاعة وقول معروف فدرة سيئوله رحمه
الله طاعة وقول معروف امثل ونظير هذا الوارد في سورة القتال
وبيان مناسبة الخاتمة قوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة
سعيرا اذا راتهم من مكان بعيد الى قوله وادعوا ثبورا كثيرا ثم
قال قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون فقوله قل اذلك
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاية الى اخرها مع ما قبله
نظير قوله في القتال طاعة وقول معروف مع ما قبله **سورة**
الانسان قوله تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب
كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا ثم قال بعد ويطوف
عليهم

عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا **للسائل**
ان يسال لم بني الفعل في الاية الاولى للمفعول ولم يسم الفاعل
وبناه في الثانية للفاعل ولم يذكر مستدعاه المعرور فلم يقل كذا
ما الفائدة في ذلك وهل الفاعل في الثانية هو الذي لم يسم اولا في قوله
ويطاف عليهم **والجواب** عن ذلك ان بنا الايتين في هذه السورة
على بعض حال اهل الجنة وما اعد الله لهم فيها فذكر فيها ما يطاف
به عليهم من اواني الفضة والاكواب بالطعام والشراب وما
يمزج به شرابهم من الزنجبيل والعين التي تسمى سلسبيلا ثم
ذكر الطائفون عليهم بذلك ووصفوا بكونهم ولدانا لا اثر عليهم
للعناء ولا يلحقهم في طوافهم مشقة وانهم كاللؤلؤ المنثور حسنا
وتناسبا فلما ذكرت احوالهم على التفصيل وقصد الاستيفا
لما منحوه بحسب ذلك اراد تنعمهم مفصلا فذكر المطاف به مستوفى
ثم ذكر الطائفون وقدم المطاف لانه الذي به تنعمهم ثانيا ولا
وانما الا وبطعمها وعدا ما كلا ومشربا فكان اهم للتقديم ثم اعقب
بذكر الطائفين وهم الولدان المخلدون ليكمل المجموع مفصلا
تفصيلا محرزا لاغاية التعريف والثنا وقد جمعت هذا الفصل
اية واحدة المفسرة لما ذكرته من ان الطائفين باواني الفضة
والاكواب هم الولدان المذكورون بعد وذلك قوله تعالى في سورة
الواقعة يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس

من بعض الآية فقد وضح الجواب عن الأسولة الثلاثة على أحسن وجه
سورة والمرسلات قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين
للسائل أن يسأل عن تكريرها عشر مرات وعن الترتيب فيما
تخلل تكرر هذه الآية من الآيات وأيضا الفائدة في كل آية منها
واختصاصها بموضعها وعن الفرق بين الوارد في هذه الآية هنا
وفي سورة المطففين من حيث تكررت هنا ولم تتكرر في سورة
المطففين فهذه ثلاث سؤالات في ما بعدها مفصلة والجواب
عن الأول أن سورة الإنسان لما تضمنت التعريف بحال
الفريقين ذوي السعادة وأهل الشقاء وابتدئت بذكر حال المكذبين
فقال تعالى إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ثم أردف
هذا بالتعريف بحال ذوي النعيم وجرى في وصفهم إطناب ثم عاد
الكلام إلى حال من تقدم ذكره في وعد الكافرين أقسم تعالى على
وقوعه إبلاغا في الإنذار فقال تعالى والمرسلات عرفا إلى قوله
إنما توعدون لواقع ثم عرف سبحانه بصفة يوم الوقوع وكائنه
على تقدير سؤال كائن فقال في ذلك فقال فإذا النجوم طمست
وإذا السماء فرجت إلى قوله ليوم الفصل ثم ابتدأ هول ذلك اليوم و سؤاله
صلى الله عليه وسلم عن تعريفه فقال وما أدراك ما يوم الفصل تعظيما
لأمره وإنباء بأهواله وشدائده ثم قال ويل يومئذ للمكذبين ثم
تكرر هذا الدعاء بالويل لحالهم سبع مرات رعيا لما تقدم في سورة
الرحمن

الرحمن آخرها إن كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين
ثم رجع الكلام إلى التعريف بحال الناجين في آيات ثلاث ثم
تخللها الدعاء بالويل لئلا تشوب بشارتهم تنغيص فقال تعالى
إن المتقين في ظلال وعيون الآيات إلى قوله إنا كذلك نجزي
المحسنين ثم عادت الآيات لما بنيت السورة من وعيد المكذبين
وتخويفهم إلى آخر السورة وتكرر فيها ذلك الدعاء بالويل للمكذبين
ثلاث مرات يطرد بها عدة آيات وصف المتقين ليكون زيادة
في تنكيل المكذبين وتحسرهم بسماع حال من حالهم على الضد منهم
فتلك العشرة التي تضمنتها السورة فإن قلت لم يفصل بين ما
جرى من الآي المتقدمة وبين هاتين الآيتين من قوله كلوا وتمتعوا
قليلا إنكم مجرمون وقوله وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مع أن
جميعها راجع إلى مقصد واحد من تقريع المكذبين ووصف أحوالهم
فلم فصل بين ذلك بذكر وصف المتقين وأحوالهم قلت بدا أولا
بتوبيخهم في عدم اعتبارهم بما ذكروا به من إهلاك من تقدمهم
ممن كذب وبداءة خلقهم من ماء مهين وجعل الأرض كفاتا أحياء
وأمواتا ثم عرفوا بجزائهم الأخراوي وما يشاهدون فقال
لهم عند مصيرهم إلى العذاب ووصف جهنم ثم أعقب بذكر
الضد من حال المتقين ليكون زائدا في تحسر المكذبين حين
لا ينفع الندم وتم هذا المقصد على أتم مناسبة ثم إلى الضرب الآخر

المتقدم من التوبيخ بذكر حالهم الاسناوى فى تنعمهم وتمتعهم واورد ذلك بصيغة الامر تهكما بهم وقيل كلوا وتمتعوا قليلا ... ذلك ما تقدم ذكره لكم ثم نبه على ابايتهم عن الاستجابة للايمان تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فلم يكن الوارد فى هاتين الايتين لتناسب ما تقدم من توبيخهم ففصل منه **والجواب** عن السوال الثانى ان وجه الترتيب فيما تخلل مكررا به الاعلام الايات انه لما ذكر سبحانه اهوال ذلك اليوم فى قوله فاذا . . . الايه اعقب تعالى بتوبيخ المكذبين على غفلتهم عن التدبر بما جرى من تقدم من مكذبى الامم واهلاكهم وعذابهم فقال تعالى الم نهلك الاولين اى مما اعطوا ابهم كما قال تعالى فى موضع اخر الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن وقال تعالى وقد خلت من قبلهم المثلات اكفاركم خير من اولائكم ثم اردف سبحانه بقوله الم نخلقكم من ماء مهين فذكرهم باصل الخلقة وتطور الانسان وتقلبه الى كمال امره بعد بعد الحطام وكمال العقل كما قال تعالى الم ار او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفه فاذا هو خصيم مبين ثم ذكر سبحانه خلق الارض وبنا معها وما به ارساها من الجبال وفجر فيها من المياه لسقيها فحصل التذكير بضروب ثلاثه وهى اهلاك الامم السالفه بتكذيبهم وخلق الانسان وخلق الارض بما جعل فيها ثم اعقب بما نال لهم فى الاخره وما يشاهدونه مما عد لهم جزا على تكذيبهم وتعاميهم عن الاعتبار فقال انطلقوا

في

الى ما كنتم به تكذبون الى قوله فان كان لكم كيد فكيدون ثم ذكر تعالى المتقين ومصيرهم فى ثلاث ايات تانيسا للمومنين وعلى المطرد فى الكتاب العزيز من ذكر الاعقاب متى ذكر احد الفريقين من اهل النجاة واهل الامتحان ان يعقب بذكر الفريق الاخر ثم الكلام عاد الى تهديد من تقدم واعقب بما يلايم من امتناعهم عن الاستجابه والخشوع **والجواب** عن السوال الثالث ان سورة المطففين لم تبن على التفصيل المقصود هنا فلم يتكرر فيها اية الدعا والله اعلم **سورة النبا** **قوله** تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون **يسال** عن تكرار التهديد وفائدته **والجواب** عن ذلك انه قد تقدم ان العرب متى تهممت لشى اراده لتحقيقه وقرب وقوعه او قصدت الدعا عليه كررته توكيدا وكانه يقيم تكراره مقام القسم عليه والاجتهاد فى الدعا عليه حيث يقصد الدعا والقا نزل القران بلسانهم وكانت مخاطباته جاريه فيما بين بعضهم وبعض وبهذا المشترك تستحكم الحجه عليهم فى عجزهم عن المعارضه وقد تقدم هذا او تقرر وعلى ذلك الجرى ما ورد من هذا الوعيد ومنه قوله تعالى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر وقوله اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ومنه لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وهو كثير **الاية الثانية** من سورة عم يتساءلون قوله تعالى لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا وفى اهل الجنه جزاء من ربك عطا

حسنة بالجميع ان كل ذلك جزا **والجواب** عن ذلك ان الله سبحانه
اعلمنا انه يجازي على الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف
الى ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالى
من جا بالحسنة فله عشر امثالها وقال تعالى مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة وقال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقال لكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون وقال تعالى
في الجزا عن السيئات وجزا سيئة سيئة مثلها وقال تعالى انما تجزون
ما كنتم تعملون فحصل من هذا ان حكم السيئات المقابلة بامثالها
وذلك فيمن نفذ عليه الوعيد ولم يغفر له اذ المعتقد انه تعالى
يغفر ما دون الشرك لمن يشا ولا يخلد في النار الا كافر واذا تقرر
ما ذكرناه فاعلم ان تسميه ما منحه الله تعالى اهل الجنة جزا انما ذلك
فضل منه سبحانه اذ الجزا لهم على اعمالهم اكثر من اعمالهم بوعده سبحانه
واذا انما حاصله عطا واحسان وانعام وانما سمي جزا من حيث قوبل
به عمل وارتبط به بحسب الانعام اذ لا يجب عليه شي فهذا حال
الجزا الاحساني واما الطرف الاخر فاسم الجزا عليه اوقع واحق
من حيث المقابلة فلهذا امثل في هذا جزا وفاقا كما قال تعالى لا ظلم اليوم
انما تجزون ما كنتم تعملون واما الجزا الاحساني فعن وفاء الوعد
وتحقق عنه العدد فلهذا اعقب قوله سبحانه جزا بحرف انه على حكم
الانعام

الانعام والاحسان من الله تعالى من ربك وفي هذه الاضافة ما يشعر
بعظيم الرحمة وزلفى القرب بقوله من ربك ثم قال عطا فاعلم انه
لا يقابل بما ارتبط به من عمل العبد بل يفوق رجا العبد وتقديره ثم
قال تعالى حسابا فاشار الى التضعيف المتقدم ولم يكن ليلائم جزا
السيئة ان يقال فيها من ربك ولا يسمى عطا ولا احسانا بل على ما
بناه يرد كل على ما يناسب ولا يمكن فيه العكس والله اعلم **فان
قيل** فقد ورد التضعيف في جزا السيئات قال تعالى اولئك
لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اوليا يضاعف
لهم العذاب **فالجواب** ان التضعيف هنا ليس على الحد المتقدم
في تضعيف جزا ~~الحسنة~~ الحسنة وان المراد هنا ان الحسنة
الواحدة يضاعف عليها الجزا بعشر امثالها الى اكثر كما تقدم واما
المراد بتضعيف العذاب فتكثيره بحسب تكثير المجرمات
لا ان السيئة الواحدة يضاعف الجزا عليها بدليل قوله تعالى وجزا
سيئة سيئة مثلها وقد تقدم هذا ويعدم قبل قوله في اهل الاسحات
يضاعف لهم العذاب ما يشهد بما ذكرته ويبين المراد وهو قوله
تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم
ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم
بالاخرة هم كافرون فهؤلاء كذبوا على ربهم وصدوا عن سبيله وبغوها

بمكر من مكر

عتو جاؤ كفروا بالخزاهيم من مكثات عد نوا لجل من نكث منها فضاعف
عذابهم لتضاعف من نكثا نهم اكثر من نكث منها عددا مخالفه والجنس
ما ذكر من التضعيف في هذا الطرف على حد ما هو في الطرف الاخر
وقولهن القران ذلك تعبير الحوات عن مخلدتهم وكشف نبه عليه
انه وفاق لكفرهم **سورة والنازعات** قوله تعالى فاذا جاءت
الطامة الكبرى وقال في سورة عبس فاذا جاءت الصاخه والمراد
بهما القيامه **فيسال** عن وجه افتراق العبارة وهل كان يحسن
ورود الصاخة هنا والطامه هناك **والجواب** عن ذلك والله اعلم
ان الطامة والصاخة وان اريد بهما في السورتين شي واحد فان
اسم الطامة ارهب وانبا باهوال القيامه لانها من قولهم طم السيل
اذا علا وغلب واما الصاخه فالصيحة الشديدة من قولهم صخ باذنيه
مثل اصاخ فاستعيرت في اسما القيامه مجازا لان الناس يصخون
لها فلما كانت الطامه ابلغ في الاشارة الى اهوال الفاحص بها ابلغ
السورتين في التخويف والانذار وعلى ذلك بنيت سورة والنازعات
الاترى قوله يوم ترجف الراجفه تتبعها الرادفه ووصف الطامه
بالكبرى وما اتبع به بعد وابتدا السورة وختامها فكلها تخويف
وترهيب فناسبها اشد العبارتين موقعا وارهبها واما سورة
عبس وتولى فلم تبن على ذلك الغرض وانما ابتنيت على قصة عبد الله
ابن ام مكتوم الاعمى وذلك مشهور ثم ورد قوله فاذا جاءت الصاخة

عقب

عقب التذكير بقوله انها تذكرة والتحريك للاعتبار بقوله فلينظر
الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم ثم اتبع بعد ذكر
الصاخه بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكه مستبشرة فسورة
النازعات على الجملة اشد في التخويف والترهيب فناسبها ابلغ
العبارتين من اسما القيامه في التخويف والانذار بحالها وليست
سورة عبس وتولى كسورة والنازعات في التخويف والترهيب
فناسبها ايراد اسم القيامه بالصاخة اذ ليس في الارهاب كالطامة
فجا كل على ما يناسب ولا يناسب عكس الوارد على ما تمهد والله سبحانه
اعلم بما اراد **سورة التكوير** قوله تعالى واذا البحار سجرت وفي
سورة الانفطار واذا البحار فجرت **يسال** عن اختصاص الاولى
بقوله سجرت والثانيه بقوله فجرت **والجواب** عن ذلك والله اعلم
ان قوله سجرت معناه ملئت من قوله سجرت التنور اذا ملاته
بالحطب وقرئ مخففا ومثقلا والمعنى واحد والمراد اجتماع مائها
واما قوله فجرت فمعناه فتح بعضها الى بعض واختلط العذب بالملح
فصار بحرا واحدا اذ زال البرزخ الحاجز بينهما وكل من الاخبارين
يؤدي معنى غير معنى الاخر فان معنى الامتلا غير الانفجار ثم كل
من الاخبارين مناط بالاخر لما بينهما من الشبه ولهذا اجرى كلام
اكثر المفسرين على تفسير كل واحد من اللفظين بما يحوز المجموع
من معنييهما وتفصيل ذلك على ما ذكرته مما يقتضي التناسب

والترادف والاخبار بكل واحد منهما مقصود متعمد لا الاطراد
وانما خص سورة الانفطار بلفظ الانفجار انسب بما جاء في السور
واسماحها الاترى ان في انفجار العذب الى المالح والمالح الى العذب
وبعضها الى بعض انفطار ناسب انشقاق السماء وانفطارها
فانفطار السماء وانفجار البحار وبعثرة القبور وانتثار النجوم
كل ذلك متناسب اوضح تناسب وابينه وحشر الوحوش وتزويج
النفوس وتسجير البحار هذا كله اجتماع وائتلاف يناسب بعضه
بعضا كما ان انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة
القبور يناسب بعض ذلك بعضا فالتحام هذه الجمل في السورتين
ابين التحام واوضح ملائمة وتناسبا فورد كل من ذلك على ما يجب
ويناسب والله اعلم بما اراد الاية الثامنة منها قوله تعالى علمت نفس
ما احضرت وفي سورة الانفطار علمت نفس ما قدمت واخرت
للسائل ان يسال عن وجه الاختلاف مع اتحاد المقصود في السورتين
والجواب عن ذلك ان المعنى في الايتين واحد اذ الذي احضرته كل
نفس هو الذي قدمت من عملها واخرت الا ان كلا من الموضعين
في السورتين خص بما يناسبه اما الاية الاولى فانه لما انحصر فيها
وفيما قبلها من اول قوله اذا الشمس كورت الى اخر قوله واذا الجنة
ازلفت للاهوال المشاهدة من اول ابتداء نفخة الصعق الى انتهاء تلك
المقامات بتسعير الجحيم وازلاف الجنة وهو عبارة عن ادنائها لداخليها

وهي

وهي جملة الاخبارات معطوفة بالواو المقتضية للجمع حتى كانت
تلك المقامات قد اخبر عنها بلفظ واحد وحصلت حاصرة للتصور
الذهني ناسبت ذلك بعد ذكر الاعمال المترتب عليها الجزاء حاضرة
والمجازاة عنها لما تحصل ذلك فقيل علمت نفس ما احضرت
وكان قد قيل اذا احضرت هذه الاهوال مدركة بالعيان حضرت
اعمالكم بالتذكر ومطالعتها مكتوبة محصورة في الصحف التي لا
تغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فتناسب هذا قوله فاذا جاءت
الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وقوله تعالى ووجدوا
ما عملوا حاضرا اما الاية الثانية فانه لما كان قوله علمت نفس
ما احضرت غير مفصح بانسحابها على اعمال الخلائق جيء بهذه الاية
بعدها مشيرة الى الحصر بما يسر الله من ضبط طرفي اعمال المكلفين
فقيل علمت نفس ما قدمت واخرت فحصرت مجمل ما قبلها وكان
قد قيل علمت نفس ما احضرت من متقدم عملها ومتاخره واقتضى
التناسب تقدم الاختصاص حيث ورد تاخر ذكر التقدم والتاخير
حيث ذكر واتصل كل بما يشاكله ويلائمه ولا يمكن سواه اذ التعريف
بالاحاطة والحصر بذكر ما تقدم وما تاخر مقصود معتمد ان يذكر ذلك
على الاستيفاء في كل من السورتين من غير تفصيل وذلك تكرار من
غير داع ولا مسوغ له واما ان يذكر مفصلا على غير ما ورد وذلك غير
مناسب فلم يبق وروده الا على اتم الملائمة والمناسبة وهذا على رعي

قد تقدمه القربات على ما تقرر علمه فعرف الانسان لا محالة الا
المحصورة ما تقدم منها وما اخر اي ما اهمله المكلف في اول عمره
وبدء تكلفه في اخر عمره وختم عمله كما اخبر تعالى عن قول
المجرمين يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها فعدم ذكر ما احصاها ولا يناسب به ما تقدم واخر
ذكر احصائها للعلم بالحصر والاستيفا وجا كل على ما يجب ويناسب
والله سبحانه اعلم بما اراد **سورة الانشقاق** قوله تعالى واذنت
لربها وحقت وتكرر ذلك بعد لا سوال فيه لان كل واحد من الاخبار
معقب به ما عقب به الاخر فالاول اخبار عن السماء انها طاعت
وانقادت والاخر اخبار عن الارض بمثل ذلك وان كل واحدة
منهما سمعت وانقادت فانفطرت السما وتشققت وانتثرت
نجومها وازيلت الجبال عن الارض فامدت والقت ما تحملته من
الاموات وغير ذلك بما استودعته من المعادن والكنوز وتخلت
عنها سامعة مطيعة وان كان الاخبار الاول عن السما والاخر عن
الارض فلا تكرار **الاية الثانية منها** قوله تعالى بل الذين كفروا
يكذبون والله اعلم بما يوعون وفي سورة البروج بل الذين كفروا
في تكذيب والله من ورائهم محيط **للسائل** ان يسال عن اختصاص
الاولى بقوله يكذبون بلفظ المضارع والثانية بقوله في تكذيب بلفظ
المصدر مع اتحاد المعنى المقصود **والجواب** عن ذلك والله اعلم

ان

ان ايتي الانشقاق تقدمها وعيد اخراوي كله لم يقع بعد وهم مكذبون
بجميعه فجي هنا بالفعل المقول على الاستقبال وان كان يصلح
للحال ليطابق الاخبار لانه عمل اتي ولم يقع بعد فجي بما يطابقه
في استقباله فاما اية البروج فقد تقدمها قوله تعالى هل اتاك حديث
الجنود فرعون وثمود وحديث هولا واخذهم بتكذيبهم قد تقدم
ومضى زمانه وهولا متبعون على تكذيبهم ومصرون على تكذيب وحي
بالمصدر ليحرز تماديهم وان كان شانهم ابدا فيما اخبرهم به وفيما
يدعوهم اليه وتحيرهم عنه ولفظ المصدر اعطى لما قصد من هذا
من لفظ المضارع فجي في كل اية من الايتين بما يناسب **سورة
البلد الاية الاولى منها** قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد **للسائل** ان يسال عن تكرير لفظ البلد وجعله
مقطوعا وفاصلة في الايتين وكيف موقع ذلك في البلاغة او
عند الفصحا **والجواب** انه تقدم ان العرب مهما اعتنت
بشي واهتمت به كررته وان ذلك من فصيح كلامهم وارد منه
قوله • وان صخرا لوالينا وسيدنا • البيتان والبلد الحرام لم يزل
معظما عند العرب وما شانه كذلك فتكريره مستحسن مع ان
التكرير هنا ليس كالتكرير الواقع في قوله • لا ارى الموت يسبق
الموت • وقول الاخر • ليت الغراب غداة ينعب دائبا • كان الغراب
مقطع الاوداج • لان هذا انما وقع في موقع المضمر المحتاج

ذكر في الاصل في [illegible] بياض نصف صفحة

اليه في ربط الخبر بذي الخبر فجاوا به ظاهرا تهويلا لامر الموت فقال
يسبق وهو يريد يسبقه وهو ضمير لا ثم جعل موضعه الظاهر
تعظيما له والكلام واحد حصل فيه الربط باعادة الاسم ظاهرا
وكذا فعل الاخر في قوله كان الغراب مقطع الاوداج • اعاد الظاهر
موضع المضمر وارتبط الكلام وحسن اعادة الظاهر لما قصد
من التهويل والتشنيع وعظم ما تقول من المقاول به وهذا فيما
وقع في جملة واحدة واما ما يقع من تكرير المكرر في جملتين اذا
كرر اعتناء وتهويلا فافصح عندهم من الواقع في جملة واحدة لحصول
مناسبة تحسن كقوله في عجز البيت المتقدم • نغص الموت ذا الغنى
والفقيرا • فتكرير الموت هنا اوسع التوجيه من تكراره في قوله
في صدر البيت • يسبق الموت شيء • لانا اذا اعللنا هذا انما هو لاعاد
الظاهر موضع المضمر لما اراد من تعظيم الموت وتهويل امره
فاذا اعللنا تكريره في قوله • نغص الموت ذا الغنى والفقيرا •
اعللناه بهذا وبان الكلام جملتان فحسن فيهما ما لا يحسن في
الجملة الواحدة واذا تقرر هذا فاعلم ان الواقع في الاية العلية اجل
البلاغة من هذا كله واعظم موقعا في الفصاحة لاتساع مجال التوسع
الا ترى ان المراد معظم فهذا مسوغ كاف والكلام جملتان وهذا
مسوغ ثان والجملة الواقع فيها التكرر جملة اعتراض وجملة
الاعتراض كالكلام الاجنبي بوجه ما انما يؤتى بالجملة تسديدا

وانما

ص

وانما ما يقصد من الاعتناء او تحرير كلام او لكون جملة الاعتراض
اجنبية في الاصل من الكلام حسن فيها ما لا يحسن في غيرها
فساغ التكرير وحسن في الاية من هذه الاوجه الثلاثة الا ترى
القسم انما وقع بقوله اقسم بهذا البلد ووالد وما ولد وليس قوله
وانت حل بهذا البلد مما وقع فيه قسم بوجه وانما هي جملة اعتراض
سيقت بيانا لعظيم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه وان هذا
البلد العظيم الحرمة احل ولم يحل لاحد غيره فكان قد قيل اقسم
بهذا البلد العظيم لانا قد احللناه لك على عظم قدره وذكره ظاهرا
انما جرى لهذا المعنى من تعظيمه لما فيه من التنبيه والتحريك
فسيقت هذه الجملة اعتراضا وكلاما قد يما بنفسه ليس في
المقسم به في شيء وانما جيء به لما ذكر واذا تباين الكلام بجهة
ما لم يستثقلوا فيه اعادة الظاهر اذ هو بمثابة ما الثاني فيه
غير الاول فوضح ان الاية الواردة على اعلى وجوه البلاغة
وافصح الكلام وانه لو جيء هنا بالمضمر مكان الظاهر لم يكن
وجه الكلام والله اعلم **الاية الثانية** من سورة البلد قوله تعالى
لقد خلقنا الانسان في كبد وفي سورة والتين والزيتون
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم **للسايل** ان يسال عن
قوله في الاولى في كبد وقوله في الثانية في احسن تقويم **فالجواب**
عنه انهما حالان من حالات الانسان لا تعارض بينهما

لان مصروف كل من هاتين الحالتين بين وكلام المفسرين
في ذلك شاف وليس هذا بالجملة من الغرض المنبه عليه في هذا الكتاب
اذ لا اشكال فيه **سورة الم نشرح لك صدرك** قوله تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا **يسال** عن وجه
التكرير **والجواب** عنه ان هذه السورة تضمنت ذكرا لنعمه سبحانه
على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم اتبعت تلك المنح الجليلة بما شركه
فيه امته من التانيس بتيسير ما عرض فيه عسر للمومن
في امر دينه ودنياه فقال تعالى فان مع العسر يسرا فبشر عباده
ان العسر يتبعه اليسر وتاكد ذلك بان المؤكدة للخبر وزيد
تاكيدا بالتكرير وتوسيع التانيس بالاشعار الحاصل من تنكير
الاسم
اليسر وتعريف العسر فان العرب اذا اعادت بأداة العهد وهي
الالف واللام كان المذكور ثانيا هو المذكور اولا سوا كان المذكور
اولا نكرة او معرفة تقول لقيت رجلا فاكرمت الرجل انما تريد
الاول الذي لقيته فاذا قلت لقيت رجلا فاكرمت رجلا كان
الثاني غير الاول هكذا كلامهم وقد وقع اليسر في الاية منكرا
في الموضعين فاشعر بالتوسعة ولهذا قيل لن يغلب عسر
يسرين فتحصل من التكرير وتنكير ما نكر توسعة طرق الرجاء الذي
وذلك المناسب لما بنيت عليه السورة والله اعلم **سورة**
العلق قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
يسال

وسال عن تكرير خلق **والجواب** عنه انهما قصدان فالمراد
اولا بخلق المخلوقات وشتى العوالم والمراد ثانيا تخصيص خلق
الانسان وان خلقه من علق فلا تكرير على هذا **سورة التكاثر**
قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون **يسال** عن
تكرير قوله سوف تعلمون **والجواب** انه تهديد ووعيد فناسبه
التكرير تحقيقا وتثبيتا كقوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة
وما اتى من مثل هذا ودخلت ثم العاطفة في العطف بها كما دخلت
في قوله ثم قتل كيف قدر وقد تقدم **سورة الكافرين** **للسايل**
ان يسال عن ما ورد فيها **والجواب** انها لم تكرر فيها اية واحدة
اذا اعتبرت لان كل اية منها تفيد من المعنى وتحرز ما لا تفيده
الاخرى تدل التحرز وكانها متباينة الالفاظ لتباين معانيها مع
جليل التشاكل وعلى التلاوم والتناسب **بيان ذلك** انه
ورد سبب نزول هذه السورة ان قريشا قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اعبد الهتنا سنة ونعبد الاهك سنة وروي
انهم قالوا تعال فلنشترك في عبادة الهتنا والهك فيما حد
الخير حيث كان فتبرا صلى الله عليه وسلم من مقالهم فانزل الله السورة
فتلاها عليهم وهم مجتمعون في المسجد فقوله لا اعبد ما تعبدون
اي لا افعل ذلك فيما استقبله من زماني ولا انتم تفعلونه فيما
تستقبل وهذا اخبار منه عن اولئك العصبة انهم لا يومنون وهم

الذين قتلهم الله يوم بدر فهذا اخبار بغيب ثم قال ولا انا عابد
ما عبدتم اي ولا انا متصف فيما مضى من عمري الى الآن بعبادة
الهتكم ولا كنتم انتم فيما مضى متصفين بعبادة الله سبحانه
فحصل من ذلك الاخبار عن حال ما يستقبل منه صلى الله عليه
وسلم ومنهم وحال ما مضى وتقدم منه صلى الله عليه وسلم ومنهم
فعبر عن اربعة احوال متباينة وهي حاله صلى الله عليه وسلم
فيما يستقبل وحالهم وحاله فيما تقدم من قبل وحالهم فعبر عن هذه
الاربع باربع ايات ولا تكرار **فان قلت** وكيف ينزل على هذا
قلت ان لا النافية اذا دخلت على المضارع المبهم مجردة عن قرينة
من لفظ خلصته للاستقبال وقد دخلت في اول اية على قوله
اعبد فتخلص بهذا الاخبار للاستقبال ثم بقيت الجملة من قوله
ولا انتم عابدون ما اعبد على ما قبلها لتمام الاخبار ولتلتيم نظم
نظم الكلام وجي فيه بالجملة الاسمية لانها ابلغ من حيث تسلط
النفي على الصفة اي انها لا توجد فيهم ولا يتصفون بها في شي مما
يستقبلونه من الزمان فنفي الصفة ابلغ بمعنى ما يستعمل
من نفي الفعل **فان قيل** فاذا كان نفي الصفة على ما ذكرت فلم
لا كان كذلك اولا وكان يقال لا انا عابد ما تعبدون او ما انا عابد ما
تعبدون **قلت** لم يكن كذلك لامرين احدهما انه جواب لقولهم
اعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فلما كان بجواب الفعل
اي

غير

الى قوله في الفعل نفيا احسن ما طلبوه ولو نفي الاسم لكانت مطابقة
لقولهم والثاني ان الجملة الاسمية انما نفيها بما لا بلا وما
ليست مخلصة للاستقبال ونفي المستقبل مقصود فلم يكن مما يحرز
منه هذا ما احتمل اولا على ما عليه الكلام واما الجملة المنفية على هذه وهي
قوله ولا انتم عابدون ما اعبد فتنبيه لما قصد تعريفهم به اذ هي
طرق معرفة لحالهم بناء على ما تقدمها من شان حاله صلى الله عليه
وسلم من جملة جوابهم وبناؤها على ما خلص استقباله يغني عن
الاداة المخلصة لان حكمها حكم ما بنيت عليه وتم بها انه قد وقع
الفعل المبهم في صلة ما وهي معمولة لاسم الفاعل المجموع الواقع
خبرا عن انتم ولا يعمل الا بمعنى الحال والاستقبال ولكن المعتمد
الجزالة على ما تقدم بعد تبيين ان قوله لا اعبد ما تعبدون ولا
انتم عابدون ما اعبد اخبارا عما يستقبل من الزمان وعن حاله صلى
الله عليه وسلم فيه وحالهم فيه ايضا ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم فهذا
نفي لما تقدم ومضى على كفاية الحال الماضية ولهذا اعمل اسم
الفاعل في ما ولما كان فيه الافصاح عنا بالماضي تحرز المقصود
جاءت الجملة اسمية لتحصل الماضي والحال اما الماضي فمفهوم من
اللفظ وهو قوله ما عبدتم ولو لم يقع الافصاح بالفعل لا فهم
الاستقبال في ما ذكر لانه قد تقدم ما يستعمل في حق الفريقين فلم يبق
الا الماضي ولا مانع من اللفظ يعين المقصود واما الحال فان الجملة

الاسمية اذا دخل عليها النفي حملت على الحال الا ان يقع في
الكلام ما يقيدها بغيره **فان قيل** فلم وقع التقييد بقوله ما عبدتم
قلت قوله ما عبدتم من صلة ما بعد حصول خبر المبتدا الذي
هو انا وهو اسم الفاعل فحصل من قوله ولا انا عابد نفي عبادته صلى
الله عليه وسلم في الحال لعبادة الهتهم وانما الحال عندنا الماضي
غير المنقطع قال سيبويه رحمه الله تعالى معرفا ما يطلق عليه اسم
الحال فعال وهو كائن لم ينقطع فحصل عن المبتدا والخبر من قوله
ولا انا عابد ما عبدتم الاخبار عن حاله المستمرة على ذلك ولما
تقدم متصله غير منفصله وحصل من الجملة الخبرية الواقعة
صله وهي عبدتم فجعلوا ذلك فيما مضى ولا يحصل فيما تقدم استمرارهم
على ذلك الحال الى حال الاخبار ثم زيد بيانا وتاكيدا بقوله تعالى ولا
انتم عابدون ما اعبد وقد حصل فيما تقدم ان تلك حالهم فيما
يستقبلونه فحصل من المجموع انه صلى الله عليه وسلم تبرا من
عبادة الهتهم فيما مضى وفي الحال وما ياتي وانهم ما عبدوا الله
كما يجب له سبحانه فيما مضى ولا في الحال ولا يفعلون ذلك فيما ياتي
وهو الحاصل من قوله سبحانه ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون الاية ثم قال سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
ولا انتم عابدون ما اعبد هذا في مقابلة قوله ولا انا عابد ما عبدتم
فهو اخبار عن حاله صلى الله عليه وسلم فيما مضى وتقدم من عمره
صلى

صلى الله عليه وسلم وقد تبين ما قبل **فان قيل** لم لم يقل هنا ولا انتم
عابدون ما عبدت وكان يجري مجرى ما بني عليه وقوبل به **قلت**
لو قيل ما عبدت لاوهم انقطاعا لان قول القائل لا يقتضي الدوام والاتصال
وذلك وان كان هنا مفهوما مما تقدم ومن مقصود الكلام بالجملة
فان الاولى دفع الاحتمال من اللفظ كما احرز المعنى وهو الجاري في
الكتاب العزيز ثم قال لكم دينكم ولي دين فحصل التبري ووضح
التفصيل المتقدم **سورة الاخلاص** قوله تعالى قل هو الله احد
قيل في احد هنا انه بمعنى واحد واصله وحد وربما يعتضد من
قال بهذا بقراءة من قرا قل هو الله الواحد فتحمل هذه القراءة
مفسرة للاخرى وهي قراءة شاذة خارجة عن خط المصحف
وليست مما يقطع به وربما عضد هذا القول ايضا بان احد
الواقع في الواجب انما ينبغي ان يكون بمعنى واحد مرادا قاله لانه
لم يصح عن ائمة اللسان اتفاقهم على ان احد المختص بغير الواجب
من الكلام يقع عاما فقولك ما جاني احد فيحصل منه النفي العام ولا
تقول جاني احد قال سيبويه رحمه الله لو قلت كان احد من ال
فلان لم يكن كلاما فاذا ورد في واجب فينبغي ان يحمل على انه بمعنى
واحد اذ قد تبين ان احد المختص للعموم والاستغراق لا يرد في
واجب ولا يستعمل فيه وعلى هذا كلام العرب فحصل منه ان لفظ احد
يحتمل ان يكون للنفي العام فهذا لا يقع في كل واجب ويكون بمعنى واحد

فيقع في الواجب وغيره والواقع في سورة الاخلاص هو هذا الغير
اعني الذي احد فيه بمعنى واحد فان قلت فكيف اشكل موقع هذا
على المفسرين قلت اما القول بان احدا هنا مرادف لواحد ومعناه
من كل جهة فقول ليس ببدع ولذلك جرى عليه اكثر المفسرين
ولكن فيه ادعا ترادف اللفظين من غير حاجة وعلى الكرمين وقوع
احد في بعض المواضع مستغنى به عن واحد انما هو الواقع في العدد
عند التركيب او العطف في قولك احد عشر وواحد وعشرون
ونحو ذلك ولا تنكر من كلامهم الاستغنا بالشي عن الشي لتقارب
بينهما او لسبه واشتراك في طرف ما وما اراك تجد في كلامهم احد
احد المجرد عن التركيب والاضافة والعطف وارادوا به معنى
واحد ومرادفا له على القطع ابدا فاذا ثبت هذا وجب اجرا الكلام
على ابقا كل من اللفظين على ما استعمل لها من المعنى ولا يعدل
عن ذلك ما وجد عنه مندوحة وقد اوضح الاعتبار الفرق بين
احد وواحد من جهة اللفظ وحكمه ومن جهة المعنى اما الفرق
اللفظي فان لفظ واحد قد فرقوا فيه بين المذكر والمؤنث فقالوا
واحد وواحدة وفي الجمع الحقوه التا وجمعوه فقالوا وحدان
واما احد فلم يلحقوه علامة التانيث ولا جمعوه وفرق ثان وهو
انهم استعملوا واحدا في الواجب وغير الواجب فقالوا جاني رجل
واحد ومررت برجل واحد وقال الله تعالى والهكم اله واحد ولما
الله

لله الواحد قل انما اعظكم بواحدة اي بموعظة واحدة وبقي عمن
الواجب انما نشرك به الا واحدا اجعل الالهة الها واحدا واما احد
فلا يقع مفردا مجردا عن اضافة او تركيب في كلام واجب اصلا
فلا تقول جاني احد ولا مررت باحد ولا ورد في كتاب الله سبحانه
في كلام واجب الا قوله هو الله احد فانه يقع في غير الواجب وهو
النفي الذي تختص به تقول ما جاني احد وما مررت باحد قال الله تعالى
ولا يشرك في حكمه احدا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ولا اشرك
بربي احدا لن يجيرني من الله احد ولن نشرك بربنا احدا وذلك كثير
جدا وفرق ثالث وهو ان واحدا يقع تابعا في اكثر موارده وهو الوجه
فيه لانه جرى صفة وان كان الوصف به عارضا كما في الاعداد
لكنه قد اجري وصفه وحكم ما ليس بخاص من الصفات لزوم التبعية
ولا يقع احدا تابعا اصلا الا في نادر فلا تقول ما جاني رجل احد كما تقول
رجل واحد ولا ما اشبه ذلك فهذه فروق من جهة حكم اللفظ واما
الفرق من جهة المعنى فان واحدا يقع على كل مفرد مما هو مفرد
كان مما يتصف بالعقل والعلم من الملائكة والانس والجن وفرق
ثان وهو انك تقول ما جاني رجل فيحتمل ذلك ثلاثة معان احدها
ان تريد ما جاني رجل واحد بل جاني اكثر والثاني ان تريد ما جاني
رجل غناء وقوة بل جاني الضعفا والثالث ان تريد المعنى العام ان
ما جاني رجل واحد ولا اكثر ولا اقوى ولا اضعف فاذا قلت ما جاني

احد لم يحتمل غيره بمعنى واحد وهو النفي العام وهذا اوضح فارق
بين لفظ واحد واحد. **فان قلت** قد تقرر الفرق ما بين لفظ واحد
واحد فما الحاصل المعتمد في معنى احد ومقتضاه **قلت** معناه
وحدة لا غيرية معها ولا اثنينية واليه يشير ما فسره به اهل
اللغة فالصاحب المعنى الوحيد المنفرد وهو وحد في هذا
الامر اي منفرد وقد استشعر الفرق من المفسرين من قال
احد بمعنى واحد وزاد من جميع جهات الوحدانية ليس كمثله
شي وهذا قول بعض جماعة المفسرين وقد احسن ايما احسان
الزمخشري على تزاله في البيان وتوفر حظه من علم اللسان
على ان قال احد بمعنى واحد واصله وحد ولم يزد على هذا بعض
ما يناسب لمشكلة وقال بعض الائمة الفرق بين واحد واحد ان
الواحد المنفرد بالذات والاحد المنفرد بالمعنى ومنه في اسمائه
تعالى الواحد الاحد وقيل ان احد اسم لمفتاح العدد ومن جنسه
واحد لنفي ما يذكر معه من العدد وقيل احد يدل على محض الوحدة
الا انه قال لما يرد معه مزيد في نحو قولك ما اتاني احد لا سيما الواحد
وما سواه بخلاف قولك ما اتاني واحد اذ يحتمل ان تريد به اثنان
اكثر من واحد وقد تعدم هذا ولا يحتمل ذلك قولك ما اتاني احد
ومن المعلوم المطرد ان حكم اللفظ المنفي لا بد ان يكون جنسه في عموم
ما اقتضته اداة النفي وان سبق الكلام فما يعدم حكم النفي على

ما كان ولم يتغير منه شي سوى استعماله من الايجاب الى دخول
النفي وكذا الحكم في كل اداة تدخل على لفظ الواحد من تمن او
استفهام او عرض او غير ذلك هذا كلام العرب ولفظ احد لاسناد ل
غير الوحدة فلو تكلم به في الواجب فقيل جاءني احد لكان معناه
احد لا ثاني له ولو قلت جاءني واحد لم يلزم منه ذلك بل كان يحتمل
ان تريد جاءني واحد تعتد به وتعتمد ولم ينف ان يجي معه من لا
يعتد به او يعتمد عليه اذ ليس يمتنع بوصفه الزائد على واحد اذا
غايره من حيث ذكر فاذا تقرر ان حكم احد من مقتضى الوحدة ما
ذكر تبين انه لا يتصور ولا يصح معناه في واجب حيث يراد
المخلوق المحدث لان كلا من المخلوقات لهم النظير والمثيل
حتى ان المتباعدات والمتباينة متماثلة من حيث الافتقار والسمات
سمات الحدوث وقد لا ان عدم الاستعمال الى غير ذلك من شواهد
الحدوث وكلها لا ينفك عن وجود النظير والانداد فلم يصح وقوع
لفظ احد في كلام واجب يقع فيه لفظ احد لمخلوق لما بين وصح
ورود ذلك في حق الخالق جل جلاله لانفراده بالوحدانية وتنزهه
عن النظير والمثيل فورد لفظ احد حيث صح معناه من الكلام
الواجب وامتنع حيث لا يصح معناه اما غير الواجب فيصح فيه
بمعنى احد لصحة معنى الكلام لانك اذا قلت ما اتاني احدا انتفى كل
ما يمكن ونفيه بالاثبات لمقتضى العموم فانتفى ما وقع عليه لفظ احد

واسمى اللطيف والمتين ونحو هذا الى المخلوق بخلاف اين وقلت ...
احد وانك فيه يتكلم بما لا يصح معناه ولا يعقل اذ ... الطرين
من لا مثل له فلما كان لفظ احد بالنظر الى المخلوقين يصح معناه
في غير الواجب ولا يصح في الواجب ورد من كلامهم حيث يصح
معناه وامتنع حيث لا يستقيم معناه ووضح قول ائمة اللسان
انه لا يرد في الواجب يريدون في محاورات المخلوقين ومخاطبهم
اذ لا يصح معناه هنالك واما في الخالق جل جلاله فهو في موضعه
الذي فيه ولا يتعداه ولم يتعرض النحويون لعلة امتناعه في
الواجب بل اكتفوا بتقرير السماع من غير تعرض للعلة اذ لا
ينبني لهم على ذلك فائدة تتسع جهاته وتنتشر مسايله واذا
وضحت العلة بين وجه وروده في السورة الكريمة فلم يحتج الى
ادعا اشتراك ولا تاويل والله اعلم **سورة الفلق** قوله تعالى
ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر
حاسد اذا حسد **للسايل** ان يسال عن المقصود بالظرفية في
قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب وفي قوله ومن شر حاسد
اذا حسد ولم يقع الاستعاذة من شرهما دون اولا يقصد
الوقوب في الغاسق ووقوع الحسد من الحاسد واطلق حكم
الاستعاذة ومن شر النفاثات وهن الساحرات ولم يقل اذا
نفثن او اذا سحرن بقيد كما قيد ما قبل وما بعد هذا الغرض

الجواب

والجواب عن ذلك والله اعلم ان قوله في سورة طه ولا يفلح الساحر
حيث اتى اطلاق يحاكم ... وعاد حكمه على تلك الصفة
المذمومة فلم يكن المقصد في اية الفلق تقييد اذا ... لتطابق
ما ورد في سورة طه من الاطلاق ثم ان السحر كفر وقد حكى
سبحانه قول الملكين لطالب تعلمه انما نحن فتنة فلا تكفر
اي بتعلم السحر وورد التعوذ منه مطلقا غير مقيد بوقوع
الـ ... تاثير وقوع الكواكب وذلك كفر وما
اجرى سبحانه من التاثير في العالم عند ملاقيها وتقابلها وتناظرها
واما في ذلك من تحصيل الناظر كل ذلك فعل الله سبحانه ولا
تاثير الا له جل وتعالى ... ويفعل الساحر ولا
استعانة له في ذلك واما الغاسق فانه الليل اذا اظلم وليس الشر
منه بما هو ليل مظلم انما هو ستر لذوي الشر للاحتجاب بظلمته
عن اعين الناس فيتوقعون فيه شرهم فالشر فيه لا منه الا ترى
انه لاهل الخير رحمة ونعمة وكذلك لكل من لا يريد الشر قال
تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله اي لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضل الله بالنهار
وقد تكرر ذكر الليل في غير ما اية من كتاب الله تعالى تعدادا في
نعم الله تعالى على عباده وهو شقيق النهار في ذلك ثم انه من حيث
هو لباس وستر عن الاعين تتمكن فيه لاهل الشر ما لا

يمكنهم في نهارهم فيستحكم فيه شرهم عند امتداد ظلمته
لاستيقاظهم من الناس في ذلك وقوله تعالى انه لم يقل شر الليل اهو
ليلا اذ الشر فيه وعنده لا به مما هو ليل ولا سته ولا سكن
مطلوب ذوي الشر الا في ظلمته فيسبب الشر اليه بهذا الوجه
والاضافه في لسان العرب تكون بادنى ملابسه قال تعالى
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها والضحى ليس للعشي وانما هو طرفا
للنهار فصحت الاضافه بهذا القدر وقال تعالى بل مكر الليل والنهار
والليل والنهار لا يمكران انما يكون المكر فيهما فاضافه
سيبويه رحمه الله تعالى واما الحاسد فان الفاعل لنفسه من
هذه الصفه فلان لعل يمكن لك يتقدها حسدا او يمكن
ان يتقدها غبطه فاذا الاين كونها حسدا الا تعدان يمضي
ويوقع الاثر الحادث المقوم بالنفس اولا من هذه الصفه بيان
ذلك ان كل عاقل انما هو عاقل اذا راى نعمة على غيره من دين او
دنيا احبته وتمناها لنفسه فان اراد زوالها عن من ظهرت
عليه وانفراده هو بها فهذا هو الحسد المذموم وان تمنى مثلها
لنفسه او اكثر وبقاء تلك على صاحبها فهذه هي الغبطه وهي
من صفات المؤمنين فقد وضح انه انما يكون حسدا او يوصف
بتلك الصفه عند ظهوره ووقوعه على الصفه المذمومة واما
قبل ذلك فلا شر فيه ولا هو شر الاثر لو ان الحاسد لو قامت به

تلك

الصفه ثم تذكر واستغفر لمن راى النعمة به بالحسن
فتنبه الى ذلك لم يواخذ شرعا بتلك الهمه والخطره
وقد نص الشرع على ذلك واتفق العلما على ذلك والقاضي
ابو بكر وبن قال بقوله على بلغني الوارد في هذا عن الشارع صلى
الله عليه وسلم متزلا على ما ذكرته فلما كان الحسد على ما ذكر
وحال الفاسق على ما تقدم لذلك فاوقع التقييد في الاستعاذة
من شرهما بالظرف فعلا اذا وقب واذا حسد ولم يقع
تقييد في الاستعاذة من شر السحرة وجا كل من ذلك على
ما يجب ويناسب ولا يمكن خلافه والله اعلم سورة قل اعوذ
برب الناس قوله تعالى قل اعوذ برب الناس الى اخر السورة
يسال عن تكرار الناس في قوله ملك الناس واله الناس
وما وجه ذلك والجواب ان التبعية في ملك الناس واله
الناس على عطف البيان ولا يحسن فيه الاضافه الى الضمير
لان ذلك يودي الى تعرف الاسمين بضمير الاول الذي
حكم عليه حملها وكان يكون الاول ذا الاعرف من اللفظ التابع له
وذلك عكس ما عليه عطف البيان اما اذا اضيف التابع لما
اضيف اليه متبوعه فانه اذ ذاك يكون مساويا له وذلك
هو الجاري المطرد في هذا الضرب من التوابع اعني ان
يكون في الاغلب الكثير مساويا للاول او اعرف ولهذا جا

مضافا الى الظاهر منها والله اعلم ثم الجزو الثاني من كتاب
ملاك التاويل وبتمامه كمل جميع الكتاب بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وكان الفراغ من تعليقه في يوم الثلاثا
سادس عشر شهر رمضان المبارك عام خمس وخمسين
وثمان مائة احسن الله عاقبتها وكتبه لنفسه ولمن شا الله
تعالى من بعده العبد الفقير الى الله تعالى المعترف بالعجز
والتقصير ابراهيم بن محمد بن احمد الادفوي المالكي غفر الله
له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين والحمد لله وحده
وصلى الله على اشرف الانبيا والمرسلين محمد وعلى اله وصحبه
الطيبين الطاهرين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم